تفسير سورة الزمر

قال الله تعالى:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن
دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا
هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣ لَّوْ أَرَادَ
اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ
الْقَهَّارُ ۝٤ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ
مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ۝٥ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ
خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ
فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٦ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ
وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٧﴾ [الزمر: ١-٧].

(٦) أحمر أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(ٱلْكِتَٰبِ -بِٱلْحَقِّ -مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ -ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ -أَوْلِيَآءَ -كَٰذِبٌ -كَفَّارٌ -
لَّٱصْطَفَىٰ -سُبْحَٰنَهُۥ -ٱلْقَهَّارُ -يُكَوِّرُ -لِأَجَلٍ مُّسَمًّى -نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ -زَوْجَهَا -ثَمَٰنِيَةَ
أَزْوَٰجٍ -ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ -فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ -وَلَا تَزِرُ -وَازِرَةٌ -وِزْرَ).

ج:

الكلمة	معناها
(ٱلْكِتَٰبِ)	القرآن
(بِٱلْحَقِّ)	متضمنًا الحق - محتويًا على الحق - بالحق لا
(مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ)	مخلصًا له عبادتك لا تعبد معه غيره ولا ترائي
(ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ)	العبادة الخالصة لا يشوبها شيء
(أَوْلِيَآءَ)	أنصار - شفعاء
(كَٰذِبٌ)	كثير الكذاب - مفترٍ على الله
(كَفَّارٌ)	شديد الكفر
(لَّٱصْطَفَىٰ)	لاختار
(سُبْحَٰنَهُۥ)	تنزه
(ٱلْقَهَّارُ)	الذي قهر ويقهر الخلق بقدرته
(يُكَوِّرُ)	يمدُّ وقت الليل حتى يدخل في النهار ويغطي على
(لِأَجَلٍ مُّسَمًّى)	لوقتٍ مُحدَّد
(نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ)	المراد آدم ع
(زَوْجَهَا)	المراد حواء ث

(ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ)	الأنعام الثمانية (الجمل - الناقة - الثور - البقرة - الكبش - النعجة - الجدي - العنز).
(ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖ)	ظلمة البطن - ظلمة الرحم - ظُلمة المشيمة
(فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ)	من أي وجهٍ تنصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره
(وَلَا تَزِرُ)	ولا تحمل
(وَازِرَةٞ)	نفس حاملة
(وِزۡرَ)	حمل (حملٌ من الآثام والأوزار)

❁ ❁ ❁

س: هل ثبت أن النبي ﷺ كان يقرأ في كل ليلة بني إسرائيل والزمر؟

ج: ورد ذلك من طريق حماد بن زيد[(١)] عن أبي لبابة (مروان)[(٢)] عن عائشة ؓ، وسنده صحيح لكن حكم عليه بعض العلماء بالشذوذ، وأراها شاذة كما قالوا؛ لأن المتن المطول له أن النبي ﷺ كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم... وكان يقرأ في كل ليلة الزمر وبني إسرائيل، وفي لفظ: وكان لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل، فحكم فريق من العلماء على هذه اللفظة بالشذوذ لمخالفة أبي لبابة لمن رووه عن عائشة ؓ، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) «عمل اليوم والليلة» رقم (٧١٢)، أخرجه أحمد (٦/٦٨، ١٢٢، ١٨٩)، والترمذي في فضائل القرآن حديث (٢٩٢٠)، وفي الدعوات حديث (٣٤٠٥).

(٢) في ز، خ: مروان بن أبي لبابة، والمثبت من سنن النسائي، وغيره.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن هذا الكتاب - الذي هو القرآن - نزل من عند الله ﷻ العزيز الذي لا يُغلب الحكيم في تشريعه الذي يشرع وفي تدبيره الذي يُدبر والحكيم في كل شيء.

وقال بعض أهل العلم: إن المعنى من الله العزيز الحكيم تنزيل الكتاب.

والمؤدى واحد.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى أن تنزيل هذا الكتاب -وهو القرآن العظيم-من عنده، تبارك وتعالى، فهو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾.

[الشعراء: ١٩٢-١٩٥]

وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ **[فصلت: ٤١، ٤٢]**. وقال هاهنا: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ أي: المنيع الجناب، ﴿ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ أي: في أقواله وأفعاله، وشرعه، وقدره .

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إنا أنزلنا عليك يا رسول الله القرآن متضمنًا الحق محتويًا عليه يأمر بالحق والعدل فاعبد الله وحده لا شريك

(٩) أحمر أسود

له ولا تشرك في عبادته أحدًا، واسمع له وأطع ولا تتجه بعبادتك إلى أحدٍ سواه، وكذا لا ترائى بعملك أحدًا من الخلق.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: إنا أنزلنا إليك يا محمد الكتاب، يعني بالكتاب: القرآن، ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ يعني: بالعدل، يقول: أنزلنا إليك هذا القرآن يأمر بالحق والعدل، ومن ذلك الحق والعدل أن تعبد الله مخلصا له الدين، لأن الدين له لا للأوثان التي لا تملك ضرًّا ولا نفعًا.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢﴾ يقول تعالى ذكره: فاخشع لله يا محمد بالطاعة، وأخلص له الألوهة، وأفرده بالعبادة، ولا تجعل له في عبادتك إياه شريكا، كما فعلت عبدة الأوثان.

وقال الحافظ ابن كثير $:

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢﴾ أي: فاعبد الله وحده لا شريك له، وادع الخلق إلى ذلك، وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له، وأنه ليس له شريك ولا عديل ولا نديد.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ألا إن العبادة والطاعة تكون لله وحده لا شريك له خالصة له لا يشاركه فيها أحدٌ ولا يُتجه بها إلى أحدٍ سواه.

قال الطبري $:

(١٠) أحمر
أسود

وقوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ﴾ يقول تعالى ذكره: ألا لله العبادة والطاعة وحده لا شريك له، خالصة لا شريك لأحد معه فيها، فلا ينبغي ذلك لأحد، لأن كل ما دونه ملكه، وعلى المملوك طاعة مالكه لا من لا يملك منه شيئًا.

قال السعدي $ «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ﴾ هذا تقرير للأمر بالإخلاص، وبيان أنه تعالى كما أنه له الكمال كله، وله التفضل على عباده من جميع الوجوه، فكذلك له الدين الخالص الصافي من جميع الشوائب، فهو الدين الذي ارتضاه لنفسه، وارتضاه لصفوة خلقه وأمرهم به، لأنه متضمن للتألـه لله في حبه وخوفه ورجائه، والإنابة إليه في تحصيل مطالب عباده.

وذلك الذي يصلح القلوب ويزكيها ويطهرها، دون الشرك به في شيء من العبادة. فإن الله بريء منه، وليس لله فيه شيء، فهو أغنى الشركاء عن الشرك، وهو مفسد للقلوب والأرواح والدنيا والآخرة، مُشْقٍ للنفوس غاية الشقاء، فلذلك لما أمر بالتوحيد والإخلاص، نهى عن الشرك به، وأخبر بذم من أشرك به فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: يتولونهم بعبادتهم ودعائهم، معتذرين عن أنفسهم وقائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ أي: لترفع حوائجنا لله، وتشفع لنا عنده، وإلا فنحن نعلم أنها لا تخلق، ولا ترزق، ولا تملك من الأمر شيئًا.

أي: فهؤلاء، قد تركوا ما أمر الله به من الإخلاص، وتجرأوا على أعظم المحرمات، وهو الشرك، وقاسوا الذي ليس كمثله شيء، الملك العظيم، بالملوك، وزعموا بعقولهم الفاسدة ورأيهم السقيم، أن الملوك كما

أنه لا يوصل إليهم إلا بوجهاء، وشفعاء، ووزراء يرفعون إليهم حوائج رعاياهم، ويستعطفونهم عليهم، ويمهدون لهم الأمر في ذلك، أن الله تعالى كذلك.

وهذا القياس من أفسد الأقيسة، وهو يتضمن التسوية بين الخالق والمخلوق، مع ثبوت الفرق العظيم، عقلًا ونقلًا وفطرةً، فإن الملوك، إنما احتاجوا للوساطة بينهم وبين رعاياهم، لأنهم لا يعلمون أحوالهم. فيحتاج من يعلمهم بأحوالهم، وربما لا يكون في قلوبهم رحمة لصاحب الحاجة، فيحتاجون إلى من يعطفهم عليه ويسترحمه لهم ويحتاجون إلى الشفعاء والوزراء، ويخافون منهم، فيقضون حوائج من توسطوا لهم، مراعاة لهم، ومداراة لخواطرهم، وهم أيضا فقراء، قد يمنعون لما يخشون من الفقر.

وأما الرب تعالى: فهو الذي أحاط علمه بظواهر الأمور وبواطنها، الذي لا يحتاج من يخبره بأحوال رعيته وعباده، وهو تعالى أرحم الراحمين، وأجود الأجودين، لا يحتاج إلى أحد من خلقه يجعله راحمًا لعباده، بل هو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم، وهو الذي يحثهم ويدعوهم إلى الأسباب التي ينالون بها رحمته، وهو يريد من مصالحهم ما لا يريدونه لأنفسهم، وهو الغني، الذي له الغنى التام المطلق، الذي لو اجتمع الخلق من أولهم وآخرهم في صعيد واحد فسألوه، فأعطى كلا منهم ما سأل وتمنى، لم ينقصوا من غناه شيئا، ولم ينقصوا مما عنده، إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المخيط.

وجميع الشفعاء يخافونه، فلا يشفع منهم أحد إلا بإذنه، وله الشفاعة كلها.

(١٢) أحمر
أسود

فبهذه الفروق يعلم جهل المشركين به، وسفههم العظيم، وشدة جراءتهم عليه.

ويعلم أيضا الحكمة في كون الشرك لا يغفره الله تعالى، لأنه يتضمن القدح في الله تعالى، ولهذا قال حاكما بين الفريقين، المخلصين والمشركين، وفي ضمنه التهديد للمشركين-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ ﴾.

وقد علم أن حكمه أن المؤمنين المخلصين في جنات النعيم، ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي﴾ أي: لا يوفق للهداية إلى الصراط المستقيم ﴿مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣﴾ أي: وصفه الكذب أو الكفر، بحيث تأتيه المواعظ والآيات، ولا يزول عنه ما اتصف به، ويريه الله الآيات، فيجحدها ويكفر بها ويكذب، فهذا أنَّى له الهدى وقد سد على نفسه الباب، وعوقب بأن طبع الله على قلبه، فهو لا يؤمن؟!!

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والذين أشركوا في عبادة الله ه فعبدوا معه غيره، وطلبوا النصرة من غيره، وقدموا الطاعة لغيره وسجدوا لغيره هؤلاء يقولون - إذا سألهم عن سبب صنيعهم هذا -: ما نعبدهم إلا ليقربوننا من الله ه منزلةً، ويشفعوا لنا عند ربنا كي يرزقنا وكي يُنجينا وكي ينصرنا (وكل ذلك في الدنيا أما الآخرة فكانوا لها جاحدين منكرين).

قال الطبري $:

(١٣) أحمر
أسود

وقولــــه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ يقول تعالى ذكره: والذين اتخذوا من دون الله أولياء يتولونهم، ويعبدونهم من دون الله، يقولون لهم: ما نعبدكم أيها الآلهة إلا لتقربونا إلى الله زلفى، قربة ومنزلة، وتشفعوا لنا عنده في حاجاتنا، وهي فيما ذكر في قراءة أبي: (**ما نعبدكم**)، وفي قراءة عبد الله: (**قالوا ما نعبدهم**) وإنما حسن ذلك لأن الحكاية إذا كانت بالقول مضمرا كان أو ظاهرا، جعل الغائب أحيانا كالمخاطب، ويترك أخرى كالغائب، وقد بينت ذلك في موضعه فيما مضى.

وقال الحافظ ابن كثير $:

ثم أخبر تعالى عن عُبّاد الأصنام من المشركين أنهم يقولون: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ أي: إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم، فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة؛ ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم، وما ينوبهم من أمر الدنيا، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به.

قال قتادة، والسدي، ومالك عن زيد بن أسلم، وابن زيد: ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ أي: ليشفعوا لنا، ويقربونا عنده منزلة.

ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم: «لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك». وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه، وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بردها والنهي عنها، والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له، وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم، لم يأذن الله

فيه ولا رضي به، بل أبغضه ونهى عنه: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦] ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء:٢٥] .

وأخبر أن الملائكة التي في السموات من المقربين وغيرهم، كلهم عبيد خاضعون لله، لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم، يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك وأبوه، ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ﴾ [النحل:٧٤]، تعالى الله عن ذلك.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إن الله ۵ يحكم بين العباد يوم القيامة فيما كانوا يختلفون فيه في دنياهم من أمر عبادتهم وأمر آخرتهم فيجازى أهل الشرك بسوء صنيعهم الذي صنعوه في دنياهم، ويجازى أهل التوحيد بفسيح الجنات.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله يفصل بين هؤلاء الأحزاب الذين اتخذوا في الدنيا من دون الله أولياء يوم القيامة، فيما هم فيه يختلفون في الدنيا من عبادتهم ما كانوا يعبدون فيها، بأن يصليهم جميعًا جهنم، إلا من أخلص الدين لله، فوحده، ولم يشرك به شيئًا.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ﴾

أي: سيفصل بين الخلائق يوم معادهم، ويجزي كل عامل بعمله، ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤١، ٤٠].

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إن الله ۵ لا يوفق للهداية من كاذب على الله ۵ جحود لآياته ونعمه منكرٌ لها.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾ إلى الحق ودينه الإسلام، والإقرار بوحدانيته، فيوفقه له ﴿مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾ مفتر على الله، يتقول عليه الباطل، ويضيف إليه ما ليس من صفته، ويزعم أن له ولدا افتراء عليه، كفار لنعمه، جحودًا لربوبيته.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ أي: لا يرشد إلى الهداية من قصده الكذب والافتراء على الله، وقلبه كفار يجحد بآياته وبراهينه.

وقال القرطبي $:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ أي من سبق له القضاء بالكفر لم يهتد أي للدين الذي ارتضاه وهو دين الإسلام كما قال الله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣] وفي هذا رد على القدرية وغيرهم على ما تقدم.

(١٦) أحمر
أسود

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: (لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٤).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، لو أراد الله ۵ أن يتخذ ولدًا كما يزعم المشركون من اليهود والنصارى وغيرهم لاختار من خلقه لنفسه أفضل ما يشاء، ولكنه تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا وتنزَّه عن ذلك تنزيهًا عظيمًا، فهو الله وحده لا شريك له، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. وهو الذي قهر كل شيء بقدرته، فالجميع عبيده يفعل فيهم ما يشاء ويمضي فيهم ما يريد.

قال الطبري $:

وقوله: (لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا) يقول تعالى ذكره: لو شاء الله اتخاذ ولد، ولا ينبغي له ذلك، لاصطفى مما يخلق ما يشاء، يقول: لاختار من خلقه ما يشاء. وقوله: (سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٤) يقول: تنزيها لله عن أن يكون له ولد، وعما أضاف إليه المشركون به من شركهم (هُوَ ٱللَّهُ) يقول: هو الذي يعبده كل شيء، ولو كان له ولد لم يكن له عبدا، يقول: فالأشياء كلها له ملك، فأنى يكون له ولد، وهو الواحد الذي لا شريك له في ملكه وسلطانه، والقهار لخلقه بقدرته، فكل شيء له متذلل، ومن سطوته خاشع.

وقال ابن كثير $:

ثم بيَّن تعالى أنه لا ولد له كما يزعمه جهلة المشركين في الملائكة، والمعاندون من اليهود والنصارى في العزير، وعيسى فقال: (لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن

(١٧) أحمر
أسود

﴿يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: لكان الأمر على خلاف ما يزعمون . وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه، بل هو محال، وإنما قصد تجهيلهم فيما ادعوه وزعموه، كما قال: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأنبياء:١٧] ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الزخرف:٨١]، كل هذا من باب الشرط، ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لقصد المتكلم.

وقوله: ﴿سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ أي: تعالى وتنزه وتقدس عن أن يكون له ولد، فإنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي كل شيء عبد لديه، فقير إليه، وهو الغني عما سواه الذي قد قهر الأشياء فدانت له وذلت وخضعت.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي لو أراد أن يسمي أحدًا من خلقه بهذا ما جعله ٥ إليهم. ﴿سُبْحَانَهُ ۖ﴾ أي: تنزيهًا له عن الولد ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾.

❀ ❀ ❀

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۖ﴾.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [الحج: ٦١].

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى الآية الكريمة: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ

عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ الآية.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله ۵ غنيٌّ عن كل خلقه فهو الذي خلق السموات والأرض، ولم يخلقها لعبًا ولا لهوًا بل خلقهما لأمور جليلة عظيمة، منها استدلال الخلق بها على وحدانية ربهم ۵ وعلى قدرته على البعث والثواب والعقاب، ثم هو سبحانه يمدُّ الليل ويطوله حتى يأخذ من وقت النهار ويمدُّ النهار ويطوِّله حتى يأخذ من وقت الليل، وكذا من قدرته والأدلة على وحدانيته أنه سبحانه سخر الشمس والقمر كل منهما يجري في مجراه إلى أجل قد سماه الله ۵ وحدَّده وعند انتهائه يتوقف جريانهما ألا هو العزيز القوي الغالب الذي يقضي ما يريد ويفعل ما يشاء لا دافع لما أراد، ولا راد لما قضى ومع ذلك - مع أنه العزيز تبارك وتعالى وتمجد، فهو الغفار كذلك، يغفر للعباد ذنوبهم ويتجاوز لهم عن خطاياهم، قد فتح باب التوبة بقوله: ﴿ٱلْغَفَّٰرُ ۝٥﴾ أمام المستغفرين.

وهذه بعض أقوال العلماء في الآية الكريمة:

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره واصفًا نفسه بصفتها: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ يقول: يغشي هذا على هذا، وهذا على هذا، كما قال: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [الحج: ٦١].

وقال $:

وقوله: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ يقول تعالى ذكره: وسخر الشمس والقمر لعباده، ليعلموا بذلك عدد السنين والحساب، ويعرفوا الليل من النهار لمصلحة معاشهم ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول: ﴿كُلٌّ﴾ ذلك يعني الشمس والقمر ﴿يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني إلى قيام الساعة، وذلك إلى

(١٩) أحمر
أسود

أن تكور الشمس، وتنكدر النجوم. وقيل: معنى ذلك: أن لكل واحد منهما منازل، لا تعدوه ولا تقصر دونه ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٥﴾ يقول تعالى ذكره: ألا إن الله الذي فعل هذه الأفعال وأنعم على خلقه هذه النعم هو العزيز في انتقامه ممن عاداه، الغفار لذنوب عباده التائبين إليه منها بعفوه لهم عنها.

وقال ابن كثير $:

يخبر تعالى أنه الخالق لما في السموات والأرض، وما بين ذلك من الأشياء، وأنه مالك الملك المتصرف، فيه يقلب ليله ونهاره، ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ أي: سخرهما يجريان متعاقبين لا يقران، كل منهما يطلب الآخر طلبًا حثيثًا، كقوله: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف:٥٤] هذا معنى ما روي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وغيرهم .

وقوله: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى مدة معلومة عند الله ثم تنقضي يوم القيامة. ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٥﴾ أي: مع عزته وعظمته وكبريائه هو غفار لمن عصاه ثم تاب وأناب إليه.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي هو القادر على الكمال المستغني عن الصاحبة والولد ومن كان هكذا فحقه أن يفرد بالعبادة لا أنه يشرك به ونبه بهذا على أن له أن يتعبد العباد بما شاء وقد فعل وقوله تعالى : ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ قال الضحاك : أي يلقي هذا على هذا وهذا على هذا وهذا على معنى التكوير في اللغة وهو طرح

(٢٠) أحمر
أسود

الشيء بعضه على بعض يقال كور المتاع أي ألقى بعضه على بعض ومنه كور العمامة وقد روي عن ابن عباس هذا في معنى الآية قال : ما نقص من الليل دخل في النهار وما نقص من النهار دخل في الليل وهو معنى قوله تعالى : ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ [فاطر : ١٣] وقيل : تكوير الليل على النهار تغشيته إياه حتى يذهب ضوءه ويغشى النهار على الليل فيذهب ظلمته وهذا قول قتادة وهو معنى قوله تعالى : ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا﴾ [الأعراف : ٥٤]، ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ﴾ أي بالطلوع والغروب لمنافع العباد ﴿كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ﴾ أي في فلكه إلى أن تنصرم الدنيا وهو يوم القيامة [حين] تنفطر السماء وتنتثر الكواكب وقيل : الأجل المسمى هو الوقت الذي ينتهي فيه سير الشمس والقمر إلى المنازل المرتبة لغروبها وطلوعها قال الكلبي : يسران إلى أقصى منازلهما ثم يرجعان إلى أدني منازلها لا يجاوزانه وقد تقدم بيان هذا في سورة (يس) ﴿أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ۝٥﴾، ﴿أَلَا﴾ تنبيه أي تنبهوا فإني أن ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿ٱلۡغَفَّٰرُ ۝٥﴾ الساتر لذنوب خلقه برحمته.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالنفس الواحدة، وما المراد بزوجها، وكيف خلق منها زوجها؟

ج: النفس الواحدة آدم ﻍ، والمراد بزوجها حواء ﺯ، وقد خلقت من ضلع من أضلاعه كما في الحديث عن رسول الله □ : «**إن المرأة خلقت**

(٢١) أحمر
أسود

من ضلع»[(١)].

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالإنزال في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم ...﴾؟

ج: المراد، والله أعلم، وخلق لكم أو جعل لكم.

قال القرطبي $:

﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ أخبر عن الأزواج بالنزول لأنها تكونت بالنبات والنبات بالماء المنزل هذا يسمى التدريج ومثله قوله تعالى : ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ [الأعراف : ٢٦] الآية وقيل : أنزل أنشأ وجعل وقال سعيد بن جبير : خلق وقيل : إن الله تعالى خلق هذه الأنعام في الجنة ثم أنزلها إلى الأرض كما قيل في قوله تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد : ٢٥]، فإن آدم لما هبط إلى الأرض أنزل معه الحديد وقيل : ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أي أعطاكم وقيل : جعل الخلق إنزالا لأن الخلق إنما يكون بأمر ينزل من السماء فالمعنى : خلق لكم كذا بأمره النازل قال قتادة: من الإبل اثنين ومن البقر اثنين ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين كل واحد زوج.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالأزواج الثمانية؟

ج: هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِي

(١) البخاري (٥١٨٦)، ومسلم (١٤٦٨).

بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ) [الأنعام: ١٤٣-١٤٤] الآيات، فهي الجمل والناقة والثور والبقرة، والكبش والنعجة والجدي والعنز.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالظلمات الثلاث؟

ج: هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة، كذا قال جمهور المفسرين، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ...) الآية.

ج:- المعنى، والله أعلم، خلقكم الله ۵ يا بني آدم من نفس واحدةٍ وهي آدم ‌غ، فقد كنتم في ظهره وفي صلبه ثم خلق حواء ‌ژ من ضلع من أضلاع آدم وكذا خلق لكم في الأرض التي تعيشون عليها ثمانية أزواج من الأنعام، وهي الجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والجدي والعنز، ثم بيَّن الله ۵ أحوال خلقنا في بطون أمهاتنا فقال: يخلقكم (يا بني آدم) في بطون أمهاتكم خلقًا من بعد خلق، أي أنكم تكونون نطفة ثم علقة ثم مضغة.. كما ذكر الله ۵ في كتابه الكريم وكما ذكر النبي في سنته[(١)].

---

(١) انظر البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

أما قوله: ﴿فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖ﴾، فهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة، فهذا خالقكم وربكم وإلهكم له مُلك كل شيء يفعل ما يشاء ويقضي بما يريد.

وهو إله واحد لا شريك له ولا معبود سواه فمن أي وجهٍ تُصرفون عن الحق إلى الباطل وعن الإيمان والتوحيد إلى الكفر والشرك.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿خَلَقَكُم﴾ أيها الناس ﴿مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ يعني: من آدم﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ يقول: ثم جعل من آدم زوجه حواء، وذلك أن الله خلقها من ضلع من أضلاعه.

وقال:

وقوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعل لكم من الأنعام ثمانية أزواج من الإبل زوجين، ومن البقر زوجين، ومن الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ﴾ [الأنعام: ١٤٣].

وقال:

وقوله: ﴿يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ﴾ يقول تعالى ذكره: يبتدئ خلقكم أيها الناس في بطون أمهاتكم خلقًا من بعد خلق، وذلك أنه يحدث فيها نطفة، ثم يجعلها علقة، ثم مضغة، ثم عظامًا، ثم يكسو العظام لحمًا، ثم ينشئه خلقًا آخر، تبارك الله وتعالى، فذلك خلقه إياه خلقا بعد خلق.

(٢٤) أحمر
أسود

وقال:

وقوله: (فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ) يعني: في ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة.

وقال:

وقوله: (ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ) يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعل هذه الأفعال أيها الناس هو ربكم، لا من لا يجلب لنفسه نفعًا، ولا يدفع عنها ضرًّا، ولا يسوق إليكم خيرا، ولا يدفع عنكم سوءا من أوثانكم وآلهتكم.

وقوله: (لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ) يقول جل وعز: لربكم أيها الناس الذي صفته ما وصف لكم، وقدرته ما بين لكم الملك، ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما لا لغيره، فأما ملوك الدنيا فإنما يملك أحدهما شيئا دون شيء، فإنما له خاص من الملك. وأما الملك التام الذي هو الملك بالإطلاق فلله الواحد القهار.

وقوله: (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٦) يقول تعالى ذكره: لا ينبغي أن يكون معبود سواه، ولا تصلح العبادة إلا له (فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٦) يقول تعالى ذكره: فأنى تصرفون أيها الناس فتذهبون عن عبادة ربكم، الذي هذه الصفة صفته، إلى عبادة من لا ضر عنده لكم ولا نفع.

(٢٥) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقولــه: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ أي: خلقكــم مــع اخــتلاف أجناســكم وأصـنافكم وألسـنتكم وألـوانكم مـن نفس واحـدة، وهـو آدم غ ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ ، وهي حواء، عليهما السلام، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾ [النساء:١] .

وقولــه: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ﴾ أي: وخلـق لكـم مـن ظهـور الأنعام ثمانية، أزواج وهي المذكورة في سورة الأنعام: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ﴾ [الأنعـام:١٤٣] ، ﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ﴾ [الأنعـام: ١٤٤] وقولــه: ﴿يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ﴾ أي: قــدركم فــي بطون أمهاتكم ﴿خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ﴾ أي: يكون أحدكم أولا نطفة، ثم يكون علقة، ثم يكون مضغة، ثم يخلق فيكون لحما وعظما وعصبا وعروقا، وينفخ فيه الروح فيصير خلقا آخر، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون:١٤] .

وقولـه: ﴿فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ﴾ يعني: ظلمة الرحم، وظلمة المشيمة -التي هي كالغشاوة والوقاية على الولد -وظلمة البطن. كذا قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمـة، وأبـو مالـك، والضـحاك، وقتـادة، والسـدي، وابـن زيـد وقولـه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ﴾ أي: هذا الذي خلق السموات والأرض وما بينهما وخلقكم وخلق آباءكم، هو الرب له الملك والتصرف في جميع ذلك، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ أي: الـذي لا تنبغـي العبـادة إلا لــه وحـده، ﴿فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٦﴾ أي: فكيـف تعبدون معه غيره؟ أين يُذْهَبُ بعقولكم؟!

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٧﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، إن تكفروا يا بني آدم، فإن كفركم لن يضر الله شيئًا، وإيمانكم لن ينتفع به ربكم ۵ ولكن ربنا سبحانه وتعالى لا يرضى لعباده أن يكونوا كفارًا ويرضى منكم أن تشكروه ويثيبكم على شكركم له ولا تحمل نفس إثم نفسٍ أُخرى بل كل نفس تحمل إثم ما ارتكبته وما اجتنته ثم إلى ربكم مرجعكم يوم القيامة بعد بعثكم وخروجكم من قبوركم فيخبركم ربكم سبحانه وتعالى بما كنتم تعملون في دنياكم إنه عليم بما تخفيه الصدور.

قال الطبري $:

والصواب من القول في ذلك ما قال الله جل وعز: إن تكفروا بالله أيها الكفار به، فإن الله غني عن إيمانكم وعبادتكم إياه، ولا يرضى لعباده الكفر، بمعنى: ولا يرضى لعباده أن يكفروا به، كما يقال: لست أحب الظلم، وإن أحببت أن يظلم فلان فلانا فيعاقب.

وقوله: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ يقول: وإن تؤمنوا بربكم وتطيعوه يرض شكركم له، وذلك هو إيمانهم به وطاعتهم إياه، فكنى عن الشكر ولم يذكر، وإنما ذكر الفعل الدال عليه، وذلك نظير قوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ [آل عمران: ١٧٣] بمعنى: فزادهم قول الناس لهم ذلك إيمانًا.

(٢٧) أحمر
أسود

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ يقول: لا تأثم آثمة إثم آثمة أخرى غيرها، ولا تؤاخذ إلا بإثم نفسها، يعلم ﷻ عباده أن على كل نفس ما جنت، وأنها لا تؤاخذ بذنب غيرها.

وقال:

وقوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم بعد اجتراحكم في الدنيا ما اجترحتم من صالح وسيئ، وإيمان وكفر أيها الناس، إلى ربكم مصيركم من بعد وفاتكم، ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ يقول: فيخبركم بما كنتم في الدنيا تعملونه من خير وشر، فيجازيكم على كل ذلك جزاءكم، المحسن منكم بإحسانه، والمسيئ بما يستحقه، يقول ﷻ لعباده: فاتقوا أن تلقوا ربكم وقد عملتم في الدنيا بما لا يرضاه منكم فتهلكوا، فإنه لا يخفى عليه عمل عامل منكم.

وقوله: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله لا يخفى عليه ما أضمرته صدوركم أيها الناس مما لا تدركه أعينكم، فكيف بما أدركته العيون ورأته الأبصار. وإنما يعني جل وعز بذلك الخبر عن أنه لا يخفى عليه شيء، وأنه محص على عباده أعمالهم، ليجازيهم بها كي يتقوه في سر أمورهم وعلانيتها.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عن نفسه تعالى: أنه الغني عما سواه من المخلوقات، كما قال موسى: ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾.

(٢٨) أحمر
أسود

[إبراهيم: ٨]

وفـي صـحيح مسلم(١): «**يـا عبـادي، لـو أن أولكـم وآخـركم وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا**».

وقولـه: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ أي: لا يحبـه ولا يـأمر بـه، ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أي: يحبه منكم ويزدكم من فضله.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: لا تحمـل نفس عـن نفس شـيئا، بـل كـل مطالب بأمر نفسه، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧﴾ أي: فلا تخفى عليه خافية .

❀ ❀ ❀

(١) مسلم (حديث ٢٥٧٧).

قال الله تعالى:

(۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا
كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ
إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ٨ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ
ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ
ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠ قُلۡ إِنِّيٓ
أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٢ قُلۡ إِنِّيٓ
أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٣ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا
شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ
ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ
بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ١٦ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ
ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨ أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ
تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ١٩ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠)

[الزمر: ٨-٢٠]

(٣٠) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(مَسَّ - ضُرٌّ - مُنِيبًا - خَوَّلَهُۥ - أَندَادًا - لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ - قَٰنِتٌ - ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ - يَتَذَكَّرُ - أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ - ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ - ظُلَلٌ - فَٱتَّقُونِ - ٱلطَّٰغُوتَ - وَأَنَابُوٓاْ).

ج:

الكلمة	معناها
(مَسَّ)	أصاب
(ضُرٌّ)	شدة - مرض – فقر
(مُنِيبًا)	راجعًا إليه – تائبًا
(خَوَّلَهُۥ)	أعطاه – منحه
(أَندَادًا)	أمثالًا - شركاء
(لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ)	ليصرف الناس بصنيعه عن طاعة الله
(قَٰنِتٌ)	قائم في الصلاة مُطيل القيام - طائع لربه
(ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ)	ساعات الليل - أوله ووسطه وآخره
(يَتَذَكَّرُ)	يتعظ - يعتبر
(أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ)	أصحاب العقول النيرة الرشيدة
(ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ)	اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية - احذروا غضب ربكم
(ظُلَلٌ)	ظلٌّ - مظلة - سقف
(فَٱتَّقُونِ)	فاحذروا غضبي وعذابي

(٣١) أحمر
أسود

(ٱلطَّٰغُوتَ)	كل ما عبد من دون الله (من صنم ووثن وشيطان وساحر وكاهن - ومدعي للربوبية والإلهية...)
(وَأَنَابُوٓاْ)	رجعوا - تابوا

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ...) الآية.

ج: يبين الله ۵ حال هذا الإنسان الكافر الجاحد لنعم الله ۵، أنه إذا أصابه ضرٌ في بدنه أو فقرٌ أو شدة اتجه إلى ربِّه ۵ سائلًا راجيًّا منيبًا توابًا ثم إذا عافاه الله ۵ ومنحه الصحة والمال وكشف عنه شدته التي ألمت به إذا به ينسى ربه ۵، وينسى نعم الله عليه، بل ويجعل الله ۵ شركاء يعبدهم من دون الله ليقتدي به الناس في ذلك فينصرفون عن طاعة الله وتوحيده إلى الشرك به والكفر بنعمه، فقل يا رسول الله مهددًا هذا الشخص الجاحد الكافر، تمتع بما أنت عليه من دنياك الفانية الزائلة واكفر ما شئت أن تكفر فكل هذا المتاع الذي أنت فيه قليل وزائل وفانٍ وإنك من أصحاب النار.

وبنحو هذا قال أهل التأويل.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وإذا مس الإنسان بلاء في جسده من مرض، أو عاهة، أو شدة في معيشته، وجهد وضيق (دَعَا رَبَّهُۥ) يقول: استغاث بربه الذي خلقه من شدة ذلك، ورغب إليه في كشف ما نزل به من شدة ذلك. وقوله: (مُنِيبًا إِلَيْهِ) يقول: تائبا إليه مما كان من قبل ذلك عليه من الكفر به، وإشراك الآلهة والأوثان به في عبادته، راجعا إلى طاعته.

(٣٢) أحمر
أسود

وقوله: (ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةً مِّنۡهُ) يقول تعالى ذكره: ثم إذا منحه ربه نعمة منه، يعني عافية، فكشف عنه ضره، وأبدله بالسقم صحة، وبالشدة رخاء.

والعرب تقول لكل من أعطى غيره من مال أو غيره: قد خوله.

وقوله: (نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ) يقول: ترك دعاءه الذي كان يدعو إلى الله من قبل أن يكشف ما كان به من ضر (وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا) يعني: شركاء.

ولـ(مَا) التي في قوله: (نَسِيَ مَا كَانَ) وجهان: أحدهما: أن يكون بمعنى الذي، ويكون معنى الكلام حينئذ: ترك الذي كان يدعوه في حال الضر الذي كان به، يعني به الله تعالى ذكره، فتكون (مَا) موضوعة عند ذلك موضع (من) كما قيل:(وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣) [الكافرون: ٣] يعني به الله، وكما قيل: (فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ) [النساء: ٣]. والثاني: أن يكون بمعنى المصدر على ما ذكرت. وإذا كانت بمعنى المصدر، كان في الهاء التي في قوله: (إِلَيۡهِ) وجهان: أحدهما: أن يكون من ذكر ما. والآخر: من ذكر الرب.

وقوله: (وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا) يقول: وجعل لله أمثالا وأشباها.

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي جعلوها فيه له أندادا، قال بعضهم: جعلوها له أندادا في طاعتهم إياه في معاصي الله.

وقال آخرون: عنى بذلك أنه عبد الأوثان، فجعلها لله أندادا في عبادتهم إياها.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى به أنه أطاع الشيطان في عبادة الأوثان، فجعل له الأوثان أندادا، لأن ذلك في سياق

(٣٣) أحمر
أسود

عتاب الله إياهم له على عبادتها.

وقوله: ﴿لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ يقول: ليزيل من أراد أن يوحد الله ويؤمن به عن توحيده، والإقرار به، والدخول في الإسلام. وقوله: ﴿قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لفاعل ذلك: تمتع بكفرك بالله قليلا إلى أن تستوفي أجلك، فتأتيك منيتك ﴿إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ۝٨﴾ : أي إنك من أهل النار الماكثين فيها. وقوله: ﴿تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ﴾ : وعيد من الله وتهدد.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: ﴿۞وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ﴾ أي: عند الحاجة يضرع ويستغيث بالله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ۝٦٧﴾ [الإسراء:٦٧]. ولهذا قال: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ﴾ أي: في حال الرفاهية ينسى ذلك الدعاء والتضرع، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ
دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ﴾.
[يونس: ١٢]

﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ أي: في حال العافية يشرك بالله، ويجعل له أندادا. ﴿قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ۝٨﴾ أي: قل لمن هذه حاله وطريقته ومسلكه: تمتع بكفرك قليلا. وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، كقوله: ﴿قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٣٠﴾ [إبراهيم:٣٠]، وقوله: ﴿نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ۝٢٤﴾ [لقمان:٢٤].

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

يخبر تعالى عن كرمه بعبده وإحسانه وبره، وقلة شكر عبده، وأنه حين يمسه الضر، من مرض أو فقر، أو وقوع في كربة بَحْرٍ أو غيره، أنه يعلم أنه لا ينجيه في هذه الحال إلا الله، فيدعوه متضرعا منيبا، ويستغيث به في كشف ما نزل به ويلح في ذلك.

(ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ) الله (نِعۡمَةً مِّنۡهُ) بأن كشف ما به من الضر والكربة، (نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ) أي: نسي ذلك الضر الذي دعا الله لأجله، ومر كأنه ما أصابه ضر، واستمر على شركه.

(وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ) أي: ليضل بنفسه، ويضل غيره، لأن الإضلال فرع عن الضلال، فأتى بالملزوم ليدل على اللازم.

(قُلۡ) لهذا العاتي، الذي بدل نعمة الله كفرا: (تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ٨) فلا يغنيك ما تتمتع به إذا كان المآل النار.

❀ ❀ ❀

س: ما وجه الهمزة في قوله تعالى: (أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ..).

ج: من العلماء من قال إنها للنداء فيكون المعنى يا من هو قانت آناء الليل... قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون.

ومن العلماء من قال إنها استفهامية كما قال تعالى: (أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨) [السجدة: ١٨].

❀ ❀ ❀

س: أين جواب الاستفهام في قوله تعالى: (أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ).

(٣٥) أحمر
أسود

ج: جوابه محذوف مفهوم من السياق، والمعنى هل يستوي هذا مع المضيع لأوامر الله ٥ المتغافل عن طاعته المُعرض عن توحيده.

كالآية الأخرى: أفنجعل المسلمين كالمجرمين.

وكقوله: (أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا) [السجدة: ١٨]، إلى غير ذلك.

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ...).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أفمن هو قائم لله ٥ مطيع له يصلي له من الليل أحيانًا ساجدًا مُطيلًا للسجود وأحيانًا مطيلًا للقيام يسأل ربه أن يصرف عنه العذاب في الآخرة ويسأله سبحانه أن يرحمه ويدخله جنته، قل هل يستوي الذي يعلمون أن هناك بعثٌ وثواب وعقاب والذين لا يعلمون ذلك، كلا فليس هناك استوءا إنما يتعظ أصحاب العقول النيرة الرشيدة.

قال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى: أمن هذه صفته كمن أشرك بالله وجعل له أندادا؟ لا يستوون عند الله، كما قال تعالى: (۞ لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾) [آل عمران:١١٣]، وقال هاهنا: (أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا) أي: في حال سجوده وفي حال قيامه؛ ولهذا استدل بهذه الآية من ذهب إلى أن القنوت هو الخشوع في الصلاة، ليس هو القيام وحده كما ذهب إليه آخرون.

وقال:

وقوله: (يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ) أي: في حال عبادته خائف راج، ولا بد في العبادة من هذا وهذا، وأن يكون الخوف في مدة الحياة هو الغالب؛ ولهذا قال: (يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ) ، فإذا كان عند الاحتضار فليكن الرجاء هو الغالب عليه.

وقال:

(٣٧) أحمر
أسود

وقوله: (قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ) أي: هل يستوي هذا والذي قبله ممن جعل لله أندادا ليضل عن سبيله؟! (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩) أي: إنما يعلم الفرق بين هذا وهذا من له لب وهو العقل.

وقال الطبري $:

اختلفت القراء في قراءة قوله: (أَمَّنۡ) فقرأ ذلك بعض المكيين وبعض المدنيين وعامة الكوفيين: (**أمن**) بتخفيف الميم، ولقراءتهم ذلك كذلك وجهان: أحدهما أن يكون الألف في (أمن) بمعنى الدعاء، يراد بها: يا من هو قانت آناء الليل، والعرب تنادي بالألف كما تنادي بيا، فتقول: أزيد أقبل، ويا زيد أقبل، ومنه قول أوس بن حجر:

أبني لبينى لستم بيد ... إلا يدا ليست لها عضد

وإذا وجهت الألف إلى النداء كان معنى الكلام: قل تمتع أيها الكافر بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار، ويا من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما إنك من أهل الجنة، ويكون في النار عما للفريق الكافر عند الله من الجزاء في الآخرة، الكفاية عن بيان ما للفريق المؤمن، إذ كان معلوما اختلاف أحوالهما في الدنيا، ومعقولا أن أحدهما إذا كان من أصحاب النار لكفره بربه أن الآخر من أصحاب الجنة، فحذف الخبر عما له، اكتفاء بفهم السامع المراد منه من ذكره، إذ كان قد دل على المحذوف بالمذكور.
والثاني: أن تكون الألف التي في قوله: «أمن» ألف استفهام، فيكون معنى الكلام: أهذا كالذي جعل لله أندادا ليضل عن سبيله، ثم اكتفى بما قد سبق من خبر الله عن فريق الكفر به من أعدائه، إذ كان مفهوما المراد بالكلام، كما قال الشاعر:

فأقسم لو شيء أتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

فحذف لدفعناه وهو مراد في الكلام إذ كان مفهوما عند السامع مراده. وقرأ ذلك بعض قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة: (أَمَّنْ) بتشديد الميم، بمعنى: أم من هو؟ ويقولون: إنما هي (أَمَّنْ) استفهام اعترض في الكلام بعد كلام قد مضى، فجاء بأم، فعلى هذا التأويل يجب أن يكون جواب الاستفهام متروكا من أجل أنه قد جرى الخبر عن فريق الكفر، وما أعد له في الآخرة، ثم أتبع الخبر عن فريق الإيمان، فعلم بذلك المراد، فاستغني بمعرفة السامع بمعناه من ذكره، إذ كان معقولا أن معناه: هذا أفضل أم هذا؟.

والقول في ذلك عندنا أنهما قراءتان قرأ بكل واحدة علماء من القراء مع صحة كل واحدة منهما في التأويل والإعراب، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وأورد الطبري جملة من المعاني لقوله: (قَٰنِتٌ).

منها: قراءة القارئ قائمًا في الصلاة.

ومنها: الطاعة.

وقال:

وقوله: (سَاجِدًا وَقَآئِمًا) يقول: يقنت ساجدًا أحيانًا، وأحيانًا قائمًا، يعني: يطيع، والقنوت عندنا الطاعة، ولذلك نصب قوله: (سَاجِدًا وَقَآئِمًا) لأن معناه: أمن هو يقنت آناء الليل ساجدًا طورًا، وقائما طورا، فهما حال من قانت.

وقوله: (يَحْذَرُ ٱلْأٓخِرَةَ) يقول: يحذر عذاب الآخرة.

(٣٩) أحمر
أسود

وقال:

وقولـه: (قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ) يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لقومك: هل يستوي الذين يعلمون ما لهم في طاعتهم لربهم من الثواب، وما عليهم في معصيتهم إياه من التبعات، والذين لا يعلمون ذلك، فهم يخبطون في عشواء، لا يرجون بحسن أعمالهم خيرًا، ولا يخافون بسيئها شرًّا؟ يقول: ما هذان بمتساويين.

وقولـه: (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩) يقول تعالى ذكره: إنما يعتبر حجج الله، فيتعظ، ويتفكر فيها، ويتدبرها أهل العقول والحجا، لا أهل الجهل والنقص في العقول.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى الآية الكريمة (قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ...).

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا رسول الله يا من آمن من عباد الله جعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية، وذلك بامتثال أمره وبطاعته واجتناب نواهيه فالذين أطاعوا منكم وراقبوا الله ۵ واتقوه في هذه الدنيا لهم حسنة عند الله ۵ مدخرة، فإذا لم تستطيعوا طاعة الله وإقامة أمره واجتناب نهيه في مكان، فها هي أرض واسعة فهاجروا إلى مكانٍ تستطيعون فيه إقامة دينكم، فالصابرون على طاعة الله ۵ يوفيهم الله أجورهم يوم القيامة في الجنة بلا حساب فيتفضل عليهم بما يشاء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: (قُلۡ) يا محمد لعبادي الذين آمنوا:

(٤٠) أحمر
أسود

(يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ) بالله، وصدقوا رسوله (ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ) بطاعته واجتناب معاصيه (لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ).

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: للذين أطاعوا الله حسنة في هذه الدنيا، وقال: (فِي) من صلة حسنة، وجعل معنى الحسنة: الصحة والعافية.

وقال آخرون: (فِي) من صلة أحسنوا، ومعنى الحسنة: الجنة.

وقوله: (وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ) يقول تعالى ذكره: وأرض الله فسيحة واسعة، فهاجروا من أرض الشرك إلى دار الإسلام.

وقوله: (إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠) يقول تعالى ذكره: إنما يعطي الله أهل الصبر على ما لقوا فيه في الدنيا أجرهم في الآخرة بغير حساب، يقول: ثوابهم بغير حساب.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين بالاستمرار على طاعته وتقواه: (قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ) أي: لمن أحسن العمل في هذه الدنيا حسنة في دنياهم وأخراهم.

وقوله: (وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ) قال مجاهد: فهاجروا فيها، وجاهدوا، واعتزلوا الأوثان.

وقال شريك، عن منصور، عن عطاء في قوله: (وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ) قال: إذا دعيتم إلى المعصية فاهربوا، ثم قرأ: (أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ). **[النساء:٩٧]**

وقوله: (إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠) قال الأوزاعي: ليس يوزن

(٤١) أحمر
أسود

لهم ولا يكال، إنما يغرف لهم غرفًا.

وقال ابن جريج: بلغني أنه لا يحسب ثواب عملهم قط، ولكن يزادون على ذلك.

وقال السدي: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ يعني: في الجنة.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى في «أضواء البيان» في معنى قوله تعالى: ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾: الظاهر أن معنى الآية: أن الإنسان إذا كان في محل لا يتمكن فيه من إقامة دينه على الوجه المطلوب، فعليه أن يهاجر منه، في مناكب أرض الله الواسعة، حتى يجد محلًّا تمكنه فيه إقامة دينه.

وقد أوضح تعالى هذا المعنى في غير هذا الموضع، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ﴾ [النساء: ٩٧]. وقوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [العنكبوت: ٥٦]، ولا يخفى أن الترتيب بالفاء في قوله: ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ على قوله: ﴿إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ﴾ دليل واضح على ذلك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٢ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا رسول الله لقومك ومن بعثت فيهم إن الله
٥ أمرني أن أُفرده وحده بالعبادة وأتجه إليه بالطاعة ولا أشرك معه أحدًا في العبادة وكذا أمرني ربي أن أكون أول المسلمين من أمتي، أول من وحَّده من أمتي وقل لهم أيضًا إنني أخشى إذا خالفت ربي في هذا الذي أمرني به عذاب يوم القيامة، وهو عذاب شديد عظيم، وبنحو هذا قال أهل

العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه □: قل يا محمد لمشركي قومك: إن الله أمرني أن أعبده مفردا له الطاعة، دون كل ما تدعون من دونه من الآلهة والأنداد ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٢﴾ : يقول: وأمرني ربي جل ثناؤه بذلك، لأن أكون بفعل ذلك أول من أسلم منكم، فخضع له بالتوحيد، وأخلص له العبادة، وبرئ من كل ما دونه من الآلهة. وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝١٣﴾ : يقول تعالى ذكره: قال يا محمد لهم إني أخاف إن عصيت ربي فيما أمرني به من عبادته، مخلصا له الطاعة، ومفرده بالربوبية. ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝١٣﴾ : يعني عذاب يوم القيامة، ذلك هو اليوم الذي يعظم هوله.

❀ ❀ ❀

س: كيف يؤمر صلوات الله وسلامه عليه أن يكون أول المسلمين، والأنبياء من قبله كانوا على الإسلام، قال يعقوب غ لبنيه: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝١٣٢﴾ [البقرة: ١٣٢].

ج: المراد، والله أعلم، أول المسلمين من أمته.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١﴾ أي: إنما أمرت بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له.

﴿وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٢﴾ قال السدي: يعني من أمته □.

يقول تعالى: قل يا محمد وأنت رسول الله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ

(٤٣) أحمر
أسود

عَظِيمٍ﴿١٣﴾)، وهو يوم القيامة. وهذا شَرْط، ومعناه التعريض بغيره بطريق الأولى والأحرى.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: (فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ) هل يخوّل لهم أن يعبدوا الأصنام؟

ج: لا يخوِّل لهم ذلك، إنما هو على سبيل التهديد للكفار وبيان ثبات النبي ﷺ على الحق، وهذه الآية كقوله تعالى: (فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ) [الكهف: ٢٩]، وكقوله تعالى: (ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ) [فصلت: ٤٠]، ونحو ذلك، والله أعلم.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي﴿١٤﴾ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴿١٥﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، قل يا رسول الله لقومك إنني أعبد الله ۵ وحده لا شريك له، وسأستمر على تلك العبادة مُفردًا له بها دون ما سواه من الأصنام والأنداد فاعبدوا ما شئتم يا مشعر قريش من شاء أن يعبد صمنًا عبده، ومن شاء أن يعبد حجرًا عبده، ومن شاء أن يعبد شجرًا عبد، ومن شاء أن يعبد شيطانًا عبد، ومن شاء أن يعبد أي إلهٍ آخر عبده، فستعلمون عاقبة أمري وعاقبة أمركم وسنجازي بصنيعنا وستجازون بصنيعكم، فالخاسرون حق الخسران هم الذين ضيعوا أنفسهم وباعوها بأتفه الأثمان، واعتاضوا عن الإيمان بالشرك بالله، فهؤلاء الذين خسروا أنفسهم وضيعوها وخسروا أهليهم كذلك يوم القيامة، فإنهم إذا دخلوا النار، ودخل أهلوهم النار معهم فهنالك بينهم التلاعن والسباب، وإذا دخل

(٤٤) أحمر
أسود

أهلوهم الجنة فسيتبرأ أهلوهم منهم كذلك، فهذا هو الخسران الحقيقي أن يخسر الشخص نفسه ويوردها نارًا تلظى، وكذا أن يخسر أهله ومحبيه ويخسر حور العين اللواتي أعدهن له إذا كان قد أسلم بل ويلعنونه في الجحيم. والعياذ بالله.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد : قل يا محمد لمشركي قومك: الله أعبد مخلصا، مفردا له طاعتي وعبادتي، لا أجعل له في ذلك شريكًا، ولكني أفرده بالألوهة، وأبرأ مما سواه من الأنداد والآلهة، فاعبدوا أنتم أيها القوم ما شئتم من الأوثان والأصنام، وغير ذلك مما تعبدون من سائر خلقه، فستعلمون وبال عاقبة عبادتكم ذلك إذا لقيتم ربكم.

وقوله: (قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ) يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهم: إن الهالكين الذين غبنوا أنفسهم، وهلكت بعذاب الله أهلوهم مع أنفسهم، فلم يكن لهم إذ دخلوا النار فيها أهل، وقد كان لهم في الدنيا أهلون.

وقوله: (أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾) يقول تعالى ذكره: ألا إن خسران هؤلاء المشركين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، وذلك هلاكها هو الخسران المبين، يقول تعالى ذكره: هو الهلاك الذي يبين لمن عاينه وعلمه أنه الخسران.

وقال ابن كثير $:

(قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ) وهذا أيضا تهديد وتبرٍّ منهم، (قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ) أي: إنما الخاسرون كل الخسران (ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ

(٤٥) أحمر
أسود

وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ) أي: تفارقوا فلا التقاء لهم أبدًا، سواء ذهب أهلوهم إلى الجنة وقد ذهبوا هم إلى النار، أو أن الجميع أسكنوا النار، ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور، (أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾) أي: هذا هو الخسار البين الظاهر الواضح.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: (لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن هؤلاء الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بشركهم وكفرهم بالله ﻫ أعد لهم الله ﻫ نارًا تلظى، وكذا الظِّل الذي يستظلون به نارٌ كذلك كما قال تعالى: (ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ) [المرسلات: ٣٠-٣١]، وكما قال: (وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ). [الواقعة: ٤٣]

وكما قال تعالى: (لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ) [الأعراف: ٤١]، فهذا الخطر العظيم يحذر الله منه العباد ويخوفهم به ليقلعوا عن شركهم، فشركهم الذي يتسبب لهم فيه، ويحثهم ربنا على طاعته فطاعته تنجيهم من ذلك.

وقوله: (يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾) أي: فاحذروا عذابي، واتقوا غضبي.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الخاسرين يوم القيامة في جهنم: (مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ) وذلك كهيئة الظلل المبنية من النار (وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ) يقول: ومن

(٤٦) أحمر
أسود

تحتهم من النار ما يعلوهم، حتى يصير ما يعلوهم منها من تحتهم ظللا وذلك نظير قوله جل ثناؤه لهم: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١] يغشاهم مما تحتهم فيها من المهاد.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي أخبرتكم أيها الناس به، مما للخاسرين يوم القيامة من العذاب، تخويف من ربكم لكم، يخوفكم به لتحذروه، فتجتنبوا معاصيه، وتنيبوا من كفركم إلى الإيمان به، وتصديق رسوله، واتباع أمره ونهيه، فتنجوا من عذابه في الآخرة ﴿فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ يقول: فاتقوني بأداء فرائضي عليكم، واجتناب معاصي، لتنجوا من عذابي وسخطي.

وقال ابن كثير $:

ثم وصف حالهم في النار فقال: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ كما قال: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [الأعراف:٤١]، وقال: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [العنكبوت:٥٥].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ أي: إنما يقص خبر هذا الكائن لا محالة ليخوف به عباده، لينزجروا عن المحارم والمآثم.

وقوله: ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ أي: اخشوا بأسي وسطوتي، وعذابي ونقمتي .

❀ ❀ ❀

س: ما المراد بالطاغوت؟

(٤٧) أحمر
أسود

ج: المراد بالطاغوت كل ما عُبد من دون الله ۵ من شيطان وصنم وكبير قومٍ وساحر وكاهن وغير ذلك، فهو كل من تجاوز به العباد الحدَّ فعبدوه من دون الله ۵.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، والذين ابتعدوا عن الآلهة التي عُبدت من دون الله من أصنام وأوثان وأشجار وأحجار، وشياطين وكهان وسحرة ومردة وغير ذلك مما عُبد من دون الله، فاتقوها وابتعدوا عنها وجانبوها، ورجعوا إلى الله ۵ وإلى عبادته وحده لا شريك له، هؤلاء المبشرون في دنياهم بأن لهم الجنة في الآخرة فبشرهم بذلك يا رسول الله، بشر هؤلاء العباد الصالحين المتقين الذين يستمعون الأقوال فيأخذون بأحسنها وأوضحها وأدلها على توحيد الله ۵ وهي الآيات البينات النيرات، فهؤلاء المتبعون للآيات البينات النيرات هم الذين وفقهم الله لسلوك طريق الحق، ذلكم الطريق الموصل إلى جنة الله ومرضاته، هؤلاء هم أصحاب العقول النيرة الرشيدة إذ اختاروا توحيد الله على الشرك به واختاروا الاستقامة على أمره.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ : أي اجتنبوا كل ما عبد من دون الله من

شيء.

وقال:

وقولــه: (وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ) يقـول: وتـابوا إلـى الله ورجعـوا إلـى الإقـرار بتوحيده، والعمل بطاعته، والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد.

وقال:

وقولـه: (لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ) يقول: لهم البشرى في الدنيا بالجنـة في الآخـرة (فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ) يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: فبشر يا محمد عبادي الذين يستمعون القول من القائلين، فيتبعون أرشده وأهداه، وأدله على توحيد الله، والعمل بطاعته، ويتركون ما سوى ذلك من القول الذي لا يدل على رشاد، ولا يهدي إلى سداد.

وقولــه: (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ) يقـول تعـالى ذكـره: الـذين يسـتمعون القول فيتبعون أحسنه، الذين هداهم الله، يقول: وفقهم الله للرشاد وإصابة الصواب، لا الذين يعرضون عن سماع الحق، ويعبدون ما لا يضر، ولا ينفع. وقوله: (وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾) يعني: أولو العقول والحجا.

وقال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ) التي لا يقادر قدرها، ولا يعلم وصفها، إلا من أكرمهم بها، وهذا شامل للبشرى في الحياة الدنيا بالثناء الحسن، والرؤيا الصالحة، والعناية الربانية من الله، التي يرون في خلالها، أنه مريد لإكرامهم في الدنيا والآخرة، ولهم البشرى في الآخرة عند الموت، وفي القبر، وفي القيامة، وخاتمة البشرى ما يبشرهم به الرب الكريم، من دوام رضوانه

(٤٩) أحمر
أسود

وبره وإحسانه وحلول أمانه في الجنة.

قال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ).

أظهر الأقوال في الآية الكريمة، أن المراد بالقول، ما جاء به النبي □، من وحي الكتاب والسنة، ومن إطلاق القول على القرآن قوله تعالى: (أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ) الآية [المؤمنون: ٦٨]. وقوله تعالى: (إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ١٤) [الطارق: ١٣-١٤]. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ) أي: يقدمون الأحسن، الذي هو أشد حسنًا، على الأحسن الذي هو دونه في الحسن، ويقدمون الأحسن مطلقًا على الحسن. ويدل لهذا آيات من كتاب الله.

أما الدليل على أن القول الأحسن المتبع. ما أنزل عليه □ من الوحي، فهو في آيات من كتاب الله كقوله تعالى: (وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم) [الزمر: ٥٥]، وقوله تعالى لموسى يأمره بالأخذ بأحسن ما في التوراة: (فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ).

وأما كون القرآن فيه الأحسن والحسن، فقد دلت عليه آيات من كتابه.

واعلم أولًا أنه لا شك في أن الواجب أحسن من المندوب، وأن المندوب أحسن من مطلق الحسن، فإذا سمعوا مثلًا قوله تعالى: (وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ٧٧) [الحج: ٧٧] قدموا فعل الخير الواجب، على فعل الخير المندوب، وقدموا هذا الأخير، على مطلق الحسن الذي هو الجائز، ولذا كان الجزاء بخصوص الأحسن الذي هو الواجب

(٥٠) أحمر
أسود

والمندوب، لا على مطلق الحسن، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٧﴾ [العنكبوت: ٧]. وقال تعالى: ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٣٥﴾ [الزمر: ٣٥] كما قدمنا إيضاحه في سورة النحل، في الكلام على قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٩٧﴾ [النحل: ٩٧]، وبينا هناك دلالة الآيات على أن المباح حسن، كما قال صاحب المراقي:

ما ربنا لم ينه عنه حسن وغيره القبيح والمستهجن

ومن أمثلة الترغيب في الأخذ بالأحسن وأفضليته مع جواز الأخذ بالحسن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ۝١٢٦﴾ [النحل: ١٢٦]، فالأمر في قوله: ﴿فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ للجواز، والله لا يأمر إلا بحسن. فدل ذلك على أن الانتقام حسن، ولكن الله بين أن العفو والصبر، خير منه وأحسن في قوله: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ۝١٢٦﴾ وأمثال ذلك كثيرة في القرآن، كقوله تعالى في إباحة الانتقام: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۝٤١﴾ [الشورى: ٤١]، مع أنه بين أن الصبر والغفران خير منه، في قوله بعده: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝٤٣﴾، وكقوله في جواز الانتقام: ﴿۞ لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨]، مع أنه أشار إلى أن العفو خير منه، وأنه من صفاته جل وعلا مع كمال قدرته وذلك في قوله بعده: ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ۝١٤٩﴾ [النساء: ١٤٩].

وكقوله جلَّ وعلا مثنيًا على من تصدق، فأبدى صدقته ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ

﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١]، ثم بين أن إخفاءها وإيتاءها الفقراء، خير من إبدائها الذي مدحه بالفعل الجامد، الذي هو لإنشاء المدح الذي هو نعم، في قوله: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١].

وكقوله في نصف الصداق اللازم، للزوجة بالطلاق، قبل الدخول: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ولا شك أن أخذ كل واحد من الزوجين النصف حسن، لأن الله شرعه في كتابه في قوله: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، مع أنه رغب كل واحد منهما، أن يعفو للآخر عن نصفه، وبين أن ذلك أقرب للتقوى وذلك في قوله بعده: ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وقد قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾، ثم أرشد إلى الأحسن بقوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾، ثم أرشد إلى الأحسن، في قوله: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ [المائدة: ٤٥].

واعلم أن في هذه الآية الكريمة أقوالًا غير الذي اخترنا.

منها ما روي عن ابن عباس، في معنى: ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ قال: «هو الرجل يسمع الحسن والقبيح فيتحدث بالحسن، وينكف عن القبيح، فلا يتحدث به».

وقيل: «يستمعون القرآن وغيره، فيتبعون القرآن».

وقيل: «إن المراد بأحسن القول: لا إله إلا الله»، وبعض من يقول بهذا يقول: «إن الآية نزلت فيمن كان يؤمن بالله قبل بعث الرسول ﷺ، كزيد

بن عمرو بن نفيل العدوي، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي»، إلى غير ذلك من الأقوال.

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

ولما أخبر أن لهم البشرى، أمره الله ببشارتهم، وذكر الوصف الذي استحقوا به البشارة فقال: ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ﴾ وهذا جنس يشمل كل قول فهم يستمعون جنس القول ليميزوا بين ما ينبغي إيثاره مما ينبغي اجتنابه، فلهذا كان من حزمهم وعقلهم أنهم يتبعون أحسنه، وأحسنه على الإطلاق كلام الله وكلام رسوله، كما قال في هذه السورة: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ الآية [الزمر: ٢٣].

وفي هذه الآية نكتة، وهي: أنه لما أخبر عن هؤلاء الممدوحين أنهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه، كأنه قيل: هل من طريق إلى معرفة أحسنه حتى نتصف بصفات أولي الألباب، وحتى نعرف أن من أثره علمنا أنه من أولي الألباب؟

قيل: نعم، أحسنه ما نص الله عليه ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ الآية.

أولئك الذين ﴿يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ لأحسن الأخلاق والأعمال ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝١٨﴾ أي: العقول الزاكية.

ومن لبهم وحزمهم، أنهم عرفوا الحسن من غيره، وآثروا ما ينبغي إيثاره، على ما سواه، وهذا علامة العقل، بل لا علامة للعقل سوى ذلك، فإن الذي لا يميز بين الأقوال، حسنها، وقبيحها، ليس من أهل العقول

الصحيحة، أو الذي يميز، لكن لما غلبت شهوته على عقله، فبقي عقله تابعًا لشهوته فلم يؤثر الأحسن، كان ناقص العقل.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١٩﴾﴾.

ج: هذه الآية الكريمة كالمواساة لرسول الله ﷺ فالمعني لا تحزن يا رسول الله من عدم إسلامهم وعدم إيمانهم، فالذي سبق في علم الله أنه سيكون من أهل النار سيكون ولا بُدَّ من أهلها ولن تستطيع مهما بذلت معه من جهدٍ أن تهديه، وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾: أفمن وجبت عليه كلمة العذاب في سابق علم ربك يا محمد بكفره به.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: أفمن كتب الله أنه شَقِي تَقْدر تُنْقذُه مما هو فيه من الضلال والهلاك؟ أي: لا يهديه أحد من بعد الله؛ لأنه من يضلل الله فلا هادي له، ومن يهده فلا مضل له .

وقال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١٩﴾﴾.

أظهر القولين في الآية الكريمة: أنهما جملتان مستقلتان، فقوله: ﴿أَفَمَن

حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ)، جملة مستقلة، لكن فيها حذفًا، وحذف ما دل المقام عليه واضح، لا إشكال فيه.

والتقدير: أفمن حق عليه كلمة العذاب، تخلصه أنت منه؟ والاستفهام مضمن معنى النفي، أي: لا تخلص أنت يا نبي الله أحدًا سبق في علم الله أنه يعذبه من ذلك العذاب، وهذا المحذوف دل عليه قوله بعده: (أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ۝١٩).

وقد قدمنا مرارًا قولي المفسرين في أداة الاستفهام المقترنة بأداة عطف كالفاء والواو وثم كقوله هنا: (أَفَمَنۡ حَقَّ)، وقوله: (أَفَأَنتَ تُنقِذُ).

❀ ❀ ❀

س: اذكر بعض الوارد في الغُرف التي أُعدت لأهل الإيمان في فسيح الجنان.

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم [(١)] من حديث سهل بن سعد الساعدي ﭬ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليتراؤون الغرفة في الجنة كما تراءؤون الكوكب في السماء**»، وفي الصحيحين [(٢)] أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري ﭬ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراوؤن الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم**»، قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء. لا يبلغها غيرهم. قال: «**بلى، والذي نفسي بيده! رجال آمنوا بالله**

---

(١) البخاري (٦٥٥٥)، ومسلم (٢٨٣٠)، واللفظ له.
(٢) البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١)، واللفظ له.

وصدقوا المرسلين».

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: (لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ...) الآية.

ج: المعنى، والله أعلم، لكن الذين خافوا الله واجتنبوا الشرك به وعبدوا الله وحده لا شريك له وأطاعوه لهم يوم القيامة غرفٌ من فوقها غرف مبنية بعضها - كما في الأحاديث بلبنةٍ من ذهب وبلبنيةٍ من فضة، وبعضها من ذهب وبعضها من فضة... تجري تحت قصورها الأنهار، فهذا تحقيق وعد الله الذي وعدهم إياه، ولا يخلف الله الميعاد.

قال الطبري $:

وقوله: (لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ) يقول تعالى ذكره: لكن الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب محارمه، لهم في الجنة غرف من فوقها غرف مبنية علالي بعضها فوق بعض (تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ) يقول تعالى ذكره: تجري من تحت أشجار جناتها الأنهار.

وقوله: (وَعۡدَ ٱللَّهِۖ) يقول جل ثناؤه: وعدنا هذه الغرف التي من فوقها غرف مبنية في الجنة، هؤلاء المتقين (لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠) يقول جل ثناؤه: والله لا يخلفهم وعده، ولكنه يوفي بوعده.

وقال ابن كثير $:

ثم أخبر عن عباده السعداء أنهم لهم غرف في الجنة، وهي القصور الشاهقة (مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ) ، أي: طباق فوق طباق، مَبْنيات محكمات

(٥٦) أحمر
أسود

مزخرفات عاليات.

وقولـه: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ أي: تسلك الأنهار بين خلال ذلك، كما يشاؤوا وأين أرادوا، ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ﴾ أي: هذا الذي ذكرناه وعد وعده الله عباده المؤمنين ﴿لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠﴾.

❁ ❁ ❁

(٥٧) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ
زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن
رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ
أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ
مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ
ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى
هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ
هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ
﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾)

[الزمر: ٢١-٣١]

(٥٨) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(فَسَلَكَهُۥ - يَنَٰبِيعَ - يَهِيجُ - مُصۡفَرّٗا - حُطَٰمًاۚ - لَذِكۡرَىٰ - شَرَحَ - فَوَيۡلٌ - لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم - ضَلَٰلٍ - مُّتَشَٰبِهٗا - مَّثَانِيَ - تَقۡشَعِرُّ - يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ - عِوَجٍ - مُتَشَٰكِسُونَ - سَلَمٗا - تَخۡتَصِمُونَ).

ج:

الكلمة	معناها
(فَسَلَكَهُۥ)	فأدخله
(يَنَٰبِيعَ)	جمع ينبوع وهو العين - عيون
(يَهِيجُ)	ييبس
(مُصۡفَرّٗا)	أصفر (بعد خُضرته)
(حُطَٰمًاۚ)	متفتتًا
(لَذِكۡرَىٰ)	لعظةً وعبرةً
(شَرَحَ)	وسَّع - فسح
(فَوَيۡلٌ)	توعدٌ بعذاب شديد - واد في جهنم
(لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم)	للذين لا تلين قلوبهم ولا تخضع للحق
(ضَلَٰلٍ)	بُعد عن الصواب والهدى
(مُّتَشَٰبِهٗا)	يشبه بعضه بعضًا في الحسن والأحكام
(مَّثَانِيَ)	متكرر - تتكرر معانيه وتتكرر الأوامر فيه بالشيء الواحد حتى يفهم، وكذا القصص
(تَقۡشَعِرُّ)	تضطرب من الخوف

(٥٩) أحمر
أسود

﴿يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾	يدفع النار عن نفسه بوجهه - لا يجد ما يدافع به عن نفسه إلا وجهه فيستقبل به أسوأ العذاب
﴿عِوَجٍ﴾	لبس - اختلاف - تعارض - تضاد
﴿مُتَشَٰكِسُونَ﴾	مختلفون وأخلاقهم سيئة
﴿سَلَمًا﴾	خالصًا (لا يشاركه فيه غيره)، وقيل: سلمًا ضد
﴿تَخْتَصِمُونَ﴾	تتحاكمون

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ..﴾ الآية.

ج: ألم تر بعينيك ومن ثمَّ تستدل بها على وحدانية الله وقدرته وعلى البعث بعد الموت ألم تر ما يحدث أمام عينيك فالله ۵ أنزل من السماء ماءً فأدخل في عيونه في الأرض - فكل الماء الذي في الأرض إنما هو من السماء - فيخرج ربنا ۵ وتعاظم وتقدس يُخرج من هذه الأرض صنوفًا من الزروع مختلفة الأشكال والألوان والأطعمة والروائح ثم ييبس هذا النبات من بعد خضرته، ويذبل من بعد بهجته فتراه مصفرًّا بعد اخضرار ثم يجعله يابسًا يتفتت ويتكسر كالتبن ونحو ذلك، إن في هذا الذي يحدث أمامك وتراه بعينيك لعظةٍ يتعظ بها من أنار الله بصيرته وأحيا قلبه، وكذا عبرة لمن أراد أن يعتبر ولكن المعتبر هو من هداه الله ووفقه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

(٦٠) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: (أَلَمْ تَرَ) يا محمد (أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً) وهو المطر (فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ) يقول: فأجراه عيونًا في الأرض، واحدها ينبوع، وهو ما جاش من الأرض.

وقال:

(زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ) يعني: أنواعًا مختلفة من بين حنطة وشعير وسمسم وأرز، ونحو ذلك من الأنواع المختلفة (ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا) يقول: ثم ييبس ذلك الزوع من بعد خضرته، يقال للأرض إذا يبس ما فيها من الخضر وذوى: هاجت الأرض، وهاج الزرع.

وقوله: (فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا) يقول: فتراه من بعد خضرته ورطوبته قد يبس فصار أصفر، وكذلك الزرع إذا يبس اصفر (ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا) والحطام: فتات التبن والحشيش، يقول: ثم يجعل ذلك الزرع بعد ما صار يابسا فتاتا متكسرا.

وقوله: (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾) يقول تعالى ذكره: إن في فعل الله ذلك كالذي وصف لذكرى وموعظة لأهل العقول والحجا يتذكرون به، فيعلمون أن من فعل ذلك فلن يتعذر عليه إحداث ما شاء من الأشياء، وإنشاء ما أراد من الأجسام والأعراض، وإحياء من هلك من خلقه من بعد مماته وإعادته من بعد فنائه، كهيئته قبل فنائه، كالذي فعل بالأرض التي أنزل عليها من بعد موتها الماء، فأنبت بها الزرع المختلف الألوان بقدرته.

وقال ابن كثير $:

يخبر تعالى: أن أصل الماء في الأرض من السماء كما قال تعالى:

(٦١) أحمر
أسود

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ [الفرقان:٤٨]، فإذا أنزل الماء من السماء كَمَن في الأرض، ثم يصرفه تعالى في أجزاء الأرض كما يشاء، ويُنبِعُه عيونًا ما بين صغار وكبار، بحسب الحاجة إليها؛ ولهذا قال: ﴿فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾.

وقوله: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ أي: ثم يخرج بالماء النازل من السماء والنابع من الأرض زرعًا ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ أي: أشكاله وطعومه وروائحه ومنافعه، ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ أي: بعد نضارته وشبابه يكتهل ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾ ، قد خالطه اليُبْس، ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ أي: ثم يعود يابسًا يتحطم، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾﴾ أي: الذين يتذكرون بهذا فيعتبرون إلى أن الدنيا هكذا، تكون خضرةً نضرةً حسناء، ثم تعود عَجُوزا شوهاء، والشاب يعود شيخًا هَرِما كبيرًا ضعيفًا، وبعد ذلك كله الموت. فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير، وكثيرًا ما يضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا بما ينزل الله من السماء من ماء، وينبت به زروعا وثمارا، ثم يكون بعد ذلك حُطاما، كما قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف:٤٥] .

وقال الشنقيطي $:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾﴾.

قوله: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾: أي: ثم بعد نضارة ذلك الزرع وخضرته ييبس، ويتم جفافه ويثور من منابته فتراه أيها الناظر مصفرًا يابسًا، قد زالت خضرته

(٦٢) أحمر
أسود

ونضارته. ﴿ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ﴾ أي: فتاتًا، متكسرًا، هشيمًا، تذروه الرياح، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور من حالات ذلك الزرع، المختلف الألوان، ﴿لَذِكۡرَىٰ﴾ أي: عبرة وموعظة وتذكيرًا ﴿لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢١﴾. أي: لأصحاب العقول السليمة من شوائب الاختلال، فقد ذكر جل وعلا مصير هذا الزرع على سبيل الموعظة والتذكير، وبين في موضع آخر، أن ما وعظ به خلقه هنا من حالات هذا الزرع شبيه أيضًا بالدنيا. فوعظ به في موضع وشبه به حالة الدنيا في موضع آخر، وذلك في قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ﴾ [الحديد: ٢٠]. ويبين في سورة الروم أن من أسباب اصفراره المذكور إرسال الريح عليه، وذلك في قوله: ﴿وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ ٥١﴾ [الروم: ٥١].

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله: ﴿لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم إن معناها الذين تقسوا قلوبهم بذكر الله ولا تلين.

وقال آخرون: إن ﴿مِّن﴾ بمعنى: عن، أي: فويل للقاسية قلوبهم عن ذِكر الله ﷻ.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي للآية الكريمة: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ ...﴾ الآية.

ج: أيستوي من وسع الله ﷻ صدره وأفسحه وجعله رحبًا لاستقبال

(٦٣) أحمر
أسود

تعاليم الدين والإسلام وجعله يحب ويقبل كل ما قاله الله وكل ما قاله رسوله ، أيستوي هذا مع من ضيَّق صدره فلم يعد يقبل شيئًا من كتاب ربه وسنة رسوله ، ثم توعد الله هذا الأخير بقوله: (فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم) الذين لا تلين قلوبهم عن ذِكر الله ﻷ وذِكر كتابه الذي أنزل وأحكامه التي شرع (أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ) في بُعد عن الحق والصواب (مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾) قد أبان بُعدهم عن ضلالهم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: أفمن فسح الله قلبه لمعرفته، والإقرار بوحدانيته، والإذعان لربوبيته، والخضوع لطاعته (فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ) يقول: فهو على بصيرة مما هو عليه ويقين، بتنوير الحق في قلبه، فهو لذلك لأمر الله متبع، وعما نهاه عنه منته فيما يرضيه، كمن أقسى الله قلبه، وأخلاه من ذكره، وضيقه عن استماع الحق، واتباع الهدى، والعمل بالصواب؟ وترك ذكر الذي أقسى الله قلبه، وجواب الاستفهام اجتزاء بمعرفة السامعين المراد من الكلام، إذ ذكر أحد الصنفين، وجعل مكان ذكر الصنف الآخر الخبر عنه بقوله: (فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ).

قوله: (فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ) يقول تعالى ذكره: فويل للذين جفت قلوبهم ونأت عن ذكر الله وأعرضت، يعني: عن القرآن الذي أنزله تعالى ذكره، مذكرا به عباده، فلم يؤمن به، ولم يصدق بما فيه. وقيل: (مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ) والمعنى: عن ذكر الله، فوضعت (مِّن) مكان (عن)، كما يقال في الكلام: أتخمت من طعام أكلته، وعن طعام أكلته بمعنى واحد.

وقوله: (أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾) يقول تعالى ذكره: هؤلاء القاسية

(٦٤) أحمر
أسود

قلوبهم من ذكر الله في ضلال مبين، لمن تأمله وتدبره بفهم أنه في ضلال عن الحق جائر.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ) أي: هل يستوي هذا ومن هو قاسي القلب بعيد من الحق؟! كقوله تعالى: (أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ) [الأنعام: ١٢٢]؛ ولهذا قال: (فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ) أي: فلا تلين عند ذكره، ولا تخشع ولا تعي ولا تفهم، (أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾).

❀ ❀ ❀

س: هل صح لقوله تعالى: (ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ ...) سبب نزول؟

ج: نعم قد صح له سبب نزول وهو ما أخرجه الحاكم (١) وغيره بسند صحيح عن سعد بن أبي وقاص ﭬ في قول الله ﭨ: (نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ...) الآية [يوسف: ٣]، قال: نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فتلا عليهم زمانًا، فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا؟ فأنزل الله ﭨ: (الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿١﴾)، تلا إلى قوله: (نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ) الآيات [يوسف: ١- ٣]، فتلا عليهم زمانًا فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا؟ فأنزل الله ﭨ: (ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا) الآية، كل ذلك يؤمر بالقرآن.

❀ ❀ ❀

(١) الحاكم (٢/٣٤٥)، وابن حبان (موارد الظمآن ٤٣٢).
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وقال الذهبي: صحيح.

(٦٥) أحمر
أسود

س: ما المراد بالمتشابه في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾؟

ج: المراد، والله أعلم، يشبه بعضه بعضًا في الحسن فكله حسن وكله مؤثرٌ في النفوس. وأيضًا يشبه بعضه بعضًا في الأحكام فلا تضاد ولا تضارب في أحكامه وأوامره ونواهيه وقصصه وأخباره، وأيضًا يشبه الكتب التي قبله فيصدقها وتصدقه ولا تعارض بينه وبين سائر ما أنزل من عند الله ۵، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿مَّثَانِيَ﴾؟

المراد متكرر تتكرر فيه الأوامر والنواهي حتى يُفهم عن الله ۵ مراده وتتكرر فيه القصص في كثيرٍ من الأحيان بسياقات متقاربة حتى يفهم الذي قد يُجمل في موطن.

وقيل: مثاني أيضًا لأنه يتكرر عند القراءة فمن ثَمَّ سميت سورة الفاتحة: «السبع المثاني»؛ لأن قراءتها تكرر في الصلوات، وتتكرر الحين بعد الحين. والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: ثم تطمئن جلودهم بعد أن اعتراها الخوف والاضطراب عند سماع القرآن وما فيه من آيات الوعيد، تطمئن لما ترجوه من رحمة الله ۵، ولما تُؤمله من فضل الله.

الثاني: ثم تلين جلودهم إلى العمل بالقرآن فيعملون بعد ما يسمعون

(٦٦) أحمر
أسود

راجين مُؤملين.

فالمراد بذكر الله على هذا الوجه القرآن، والله أعلم.

قال السعدي $:

يخبر تعالى عن كتابه الذي نزله أنه (أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ) على الإطلاق، فأحسن الحديث كلام الله، وأحسن الكتب المنزلة من كلام الله هذا القرآن، وإذا كان هو الأحسن، علم أن ألفاظه أفصح الألفاظ وأوضحها، وأن معانيه، أجل المعاني، لأنه أحسن الحديث في لفظه ومعناه، متشابها في الحسن والائتلاف وعدم الاختلاف، بوجه من الوجوه. حتى إنه كلما تدبره المتدبر، وتفكر فيه المتفكر، رأى من اتفاقه، حتى في معانيه الغامضة، ما يبهر الناظرين، ويجزم بأنه لا يصدر إلا من حكيم عليم، هذا هو المراد بالتشابه في هذا الموضع.

وأما في قوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ) [آل عمران: ٧]، فالمراد بها، التي تشتبه على فهوم كثير من الناس، ولا يزول هذا الاشتباه إلا بردها إلى المحكم، ولهذا قال: (مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ) فجعل التشابه لبعضه، وهنا جعله كله متشابهًا، أي: في حسنه، لأنه قال: (أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ) وهو سور وآيات، والجميع يشبه بعضه بعضًا كما ذكرنا.

(مَّثَانِيَ) أي: تثنى فيه القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وصفات أهل الخير، وصفات أهل الشر، وتثنى فيه أسماء الله وصفاته، وهذا من جلالته، وحسنه، فإنه تعالى، لما علم احتياج الخلق إلى معانيه المزكية للقلوب، المكملة للأخلاق، وأن تلك المعاني للقلوب، بمنزلة الماء لسقي

الأشجار، فكما أن الأشجار كلما بعد عهدها بسقي الماء نقصت، بل ربما تلفت، وكلما تكرر سقيها حسنت وأثمرت أنواع الثمار النافعة، فكذلك القلب يحتاج دائمًا إلى تكرر معاني كلام اللّٰه تعالى عليه، وأنه لو تكرر عليه المعنى مرة واحدة في جميع القرآن، لم يقع منه موقعًا، ولم تحصل النتيجة منه، ولهذا سلكت في هذا التفسير هذا المسلك الكريم، اقتداءً بما هو تفسير له.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾؟

ج: المراد، والله أعلم، ومن يصرفه الله عن هذا الكتاب العزيز، وعن طريق الاستقامة والإسلام، وفسيح الجنان فلن تجد له أحدًا يهديه بحال من الأحوال، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ...﴾ الآية.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله ﻷ نزل أحسن الكتب المتضمنة لأحسن الكلام وأحسن الهدى كتابًا هو أحسنها يشبه بعضه بعضًا في الحسن فكله حسن، وإن تفاضلت آياته في تأثيرها إلا أن كله حسن، وكذا لا تضارب ولا اختلاف ولا تعارض بين آياته في أحكامها وأوامرها ونواهيها وأخبارها وقصصها فكله يصدق بعضه بعضًا، وكذا يصدق الكتب التي قبله، وتصدقه هي الأخرى، تكررت في هذا الكتاب العزيز الأوامر والنواهي بالشيء الواحد في كثير من المواطن فهو مثاني بهذا المعنى، تكررت حتى تفهم عن الله ﻷ وتبين مراده سبحانه وتعالى، فلا

تكن مثلًا آية تدعو إلى الشرك والعياذ بالله بل آياته متكررة متعددة تدعو كلها إلى توحيد الله ٥ وعبادته وحده لا شريك له.

أيضًا تجد آيات كثيرة تحث على بر الوالدين والإحسان إليهما، وليس ثم أمرٌ بالعقوق إلا النهي عن طاعتهما فيما يدعوان إليه من الشرك.

ترى الآيات تأمر بحفظ الأعراض وعدم هتكها.

ترى الآيات تحث على المحافظة على أموال الآخرين وعدم أخذها إلا بحقها، وهكذا.

هذا، وقوله تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ حاصل معناه أن الخوف يعتري أهل الإيمان أهل الخوف من الله الذين يرجون لقاءه ويخافون يوم الحساب، فجلودهم تضطرب خوفًا عند سماع هذا القرآن وسماع ما فيه من آيات الوعيد، فإذا تليت عليهم آيات الرحمة اطمأنت نفوسهم وقلوبهم وجلودهم لما يؤمّلونه من رحمة الله ٥ ولما يرجونه منها.

وكذا يتجهون إلى العمل بما في هذا الكتاب العزيز سامعين مطيعين له.

وهذا الذي أصابهم واعتراهم من اقشعرار الجلود ثم الطمأنينة والعمل بهذا القرآن توفيقٌ من الله لهم إذ هداهم لهذا، وأرشدهم وسددهم.

أما من أراد الله ضلالًا وبعد عن طريق الهداية فلن تجد له هاديًا يهديه ولا مرشدًا يرشده وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا﴾ يعني به: القرآن ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ يقول: يشبه بعضه بعضًا، لا اختلاف فيه، ولا تضاد.

(٦٩) أحمر
أسود

وقوله: ﴿مَّثَانِيَ﴾ يقول: تثنى فيه الأنباء والأخبار والقضاء والأحكام والحجج.

وقوله: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: تقشعر من سماعه إذا تلي عليهم جلود الذين يخافون ربهم ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ﴾ يعني: إلى العمل بما في كتاب الله، والتصديق به.

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي يصيب هؤلاء القوم الذين وصفت صفتهم عند سماعهم القرآن من اقشعرار جلودهم، ثم لينها ولين قلوبهم إلى ذكر الله من بعد ذلك، ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ يعني: توفيق الله إياهم وفقهم له ﴿يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ يقول: يهدي تبارك وتعالى بالقرآن من يشاء من عباده.

وقد يتوجه معنى قوله: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى﴾ إلى أن يكون ذلك من ذكر القرآن، فيكون معنى الكلام: هذا القرآن بيان الله يهدي به من يشاء، يوفق للإيمان به من يشاء.

وقوله: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ٢٣﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يخذله الله عن الإيمان بهذا القرآن والتصديق بما فيه، فيضله عنه، فما له من هاد، يقول: فما له من موفق له، ومسدد يسدده في اتباعه.

وقال الحافظ ابن كثير $:

هذا مَدْحٌ من الله ٥ لكتابه القرآن العظيم المنزل على رسوله الكريم، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ قال مجاهد: يعني القرآن كله متشابه مثاني.

وقال قتادة: الآية تشبه الآية، والحرف يشبه الحرف.

(٧٠) أحمر
أسود

وقال الضحاك: ﴿مَّثَانِيَ﴾ ترديد القول ليفهموا عن ربهم ٥.

وقال عكرمة والحسن: ثنَّى الله فيه القضاء -زاد الحسن: تكون السورة فيها آية، وفي السورة الأخرى آية تشبهها.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿مَّثَانِيَ﴾ مُرَدَّد، رُدِّد موسى في القرآن، وصالح وهود والأنبياء، عليهم السلام، في أمكنة كثيرة.

وقال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿مَّثَانِيَ﴾ قال: القرآن يشبه بعضه بعضًا، ويُرَدُّ بعضه على بعض.

وقال بعض العلماء: وُيرْوى عن سفيان بن عيينة معنى قوله: ﴿مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ أنّ سياقات القرآن تارةً تكونُ في معنى واحد، فهذا من المتشابه، وتارةً تكونُ بذكر الشيء وضده، كذكر المؤمنين ثم الكافرين، وكصفة الجنة ثم صفة النار، وما أشبه هذا، فهذا من المثاني، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤]، وكقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ﴿٧﴾﴾، إلى أن قال: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾ [المطففين: ٧-١٨]، ﴿هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾﴾، إلى أن قال: ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾﴾ [ص:٤٩-٥٥]، ونحو هذا من السياقات فهذا كله من المثاني، أي: في معنيين اثنين، وأما إذا كان السياق كله في معنى واحد يشبه بعضه بعضًا، فهو المتشابه وليس هذا من المتشابه المذكور في قوله: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾ [آل عمران :٧]، ذاك معنى آخر.

وقوله: ﴿تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ أي هذه صفة الأبرار، عند سماع كلام الجبار، المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد. والتخويف والتهديد، تقشعر منه جلودهم

من الخشية والخوف، ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ لما يرجون ويؤمِّلون من رحمته ولطفه، فهم مخالفون لغيرهم من الكفار من وجوه:

أحدها: أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات، وسماع أولئك نَغَمات الأبيات، من أصوات القَيْنات.

الثاني: أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجدًا وبكيًّا، بأدب وخشية، ورجاء ومحبة، وفهم وعلم، كما قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٢-٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۝٧٣﴾ [الفرقان:٧٣] أي: لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها، بل مصغين إليها، فاهمين بصيرين بمعانيها؛ فلهذا إنما يعملون بها، ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم -أي: يرون غيرهم قد سجد فيسجدون تبعًا له.

الثالث: أنهم يلزمون الأدب عند سماعها، كما كان الصحابة، ف عند سماعهم كلام الله من تلاوة رسول الله ﷺ تقشعر جلودهم، ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله. لم يكونوا يتصارخون ولا يتكلّفون ما ليس فيهم، بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك؛ ولهذا فازوا بالقِدح المُعلّى في الدنيا والآخرة.

إلى آخر ما قاله $.

وقال القرطبي $:

﴿كِتَٰبًا﴾ نصب على البدل من ﴿أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ ويحتمل أن يكون حالا

(٧٢) أحمر
أسود

منه (مُّتَشَٰبِهٗا) يشبه بعضه بعضًا في الحسن والحكمة ويصدق بعضه بعضًا ليس فيه تناقض ولا اختلاف. وقال قتادة: يشبه بعضه بعضًا في الآي والحروف. وقيل: يشبه كتب الله المنزلة على أنبيائه لما يتضمنه من أمر ونهي وترغيب وترهيب وإن كان أعم وأعجز ثم وصفه فقال: (مَّثَانِيَ) تثنى فيه القصص والمواعظ والأحكام وثني للتلاوة فلا يمل (تَقۡشَعِرُّ) تضطرب وتتحرك بالخوف مما فيه من الوعيد (ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ) أي عند آية الرحمة، وقيل: إلى العمل بكتاب الله والتصديق به وقيل: (إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ) يعني: الإسلام.

س: وضح معنى قوله تعالى: (أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٢٤).

ج: المعنى، والله أعلم، أفمن لا يجد شيئًا يدفع به النار عن نفسه إلا وجهه فيقابل النار بوجهه يوم القيامة أفضل أم الذي هو منعمٌ في الجنان؟

فيُقال يومئذٍ للظالمين الذين يتقون النار بوجوههم ذوقوا يا أهل الظلم جزاء أعمالكم التي عملتموها في الدنيا.

ولمزيد إيضاح لقوله: (أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ) أقول، وبالله التوفيق: إن الشخص في الدنيا إذا تضارب مع آخرٍ أو تقاتل معه فإنه يحرص تمام الحرص على أن لا تصل الضربات إلى وجه نفسه، فيدفع عن وجهه الضربات ما استطاع ويركز في الدفاع عن وجهه أما يوم القيامة فالأيدي مكتوفة والعذاب يتلقى بالوجه عياذًا بالله من ذلك.

وهذه بعض أقوال العلماء في هذا الصدد.

قال الطبري $:

اختلف أهل التأويل في صفة اتقاء هذا الضال بوجهه سوء العذاب، فقال بعضهم: هو أن يرمى به في جهنم مكبوبا على وجهه، فذلك اتقاؤه إياه.

وقال آخرون: هو أن ينطلق به إلى النار مكتوفا، ثم يرمى به فيها، فأول ما تمس النار وجهه، وهذا قول يذكر عن ابن عباس من وجه كرهت أن أذكره لضعف سنده، وهذا أيضا مما ترك جوابه استغناء بدلالة ما ذكر من الكلام عليه عنه. ومعنى الكلام: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة خير، أم من ينعم في الجنان؟.

وقوله: ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٢٤﴾ يقول: ويقال يومئذ للظالمين أنفسهم بإكسابهم إياها سخط الله. ذوقوا اليوم أيها القوم وبال ما كنتم في الدنيا تكسبون من معاصي الله.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾، ويُقْرَعُ فيقال له ولأمثاله من الظالمين: ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٢٤﴾، كمن يأتي آمنا يوم القيامة؟! كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٢﴾ [الملك:٢٢]، وقال: ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ٤٨﴾ [القمر:٤٨]، وقال: ﴿أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ [فصلت:٤٠]، واكتفى في هذه الآية بأحد القسمين عن الآخر، كقول الشاعر:

فَمَا أدْري إذَا يَمَّمْتُ أرْضًا ... أريدُ الخيرَ: أيّهما يَليني؟

يعني: الخير أو الشر .

(٧٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى قولـه تعالى: ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٢٥ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ۝٢٦﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، كذب قبل كفار قريش أقوام آخرون أبادهم الله وأفناهم، كذبوا فجاءهم العذاب من حيث لا يتوقعون، ومن موضع لا يشعرون أنه يأتيهم من قبله، كقوم نوح لما أغرقوا بالطوفان وكقوم عاد لما أرسلت عليهم الريح العقيم وقوم شعيب إذا أخذهم عذاب يوم الظلة وكقوم فرعون إذا انطبق عليهم البحر وغيرهم من الأمم المكذبة.

فهؤلاء نالهم الخزي والعار والذل والهوان في دنياهم وهنالك عذاب الآخرة هو أشد وأنكى ينتظرهم يوم القيامة.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ يقول تعالى ذكره: كذب الذين من قبل هؤلاء المشركين من قريش من الأمم الذين مضوا في الدهور الخالية رسلهم ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٢٥﴾ يقول: فجاءهم عذاب الله من الموضع الذي لا يشعرون أي: لا يعلمون بمجيئه منه.

يقول تعالى ذكره: فعجل الله لهؤلاء الأمم الذين كذبوا رسلهم الهوان في الدنيا، والعذاب قبل الآخرة، ولم ينظرهم إذ عتوا عن أمر ربهم ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ﴾ يقول: ولعذاب الله إياهم في الآخرة إذا أدخلهم النار، فعذبهم بها، أكبر من العذاب الذي عذبهم به في الدنيا، لو كانوا يعلمون، يقول: لو علم هؤلاء المشركون من قريش ذلك.

وقال الحافظ ابن كثير $:

(٧٥) أحمر
أسود

وقوله: ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ يعني: القرون الماضية المكذبة للرسل، أهلكهم الله بذنوبهم، وما كان لهم من الله من واق.

وقوله: ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ أي: بما أنزل بهم من العذاب والنكال وتشفي المؤمنين بهم، فليحذر المخاطبون من ذلك، فإنهم قد كذبوا أشرف الرسل، وخاتم الأنبياء، والذي أعده الله لهم في الآخرة من العذاب الشديد أعظمُ مما أصابهم في الدنيا؛ ولهذا قال: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ولقد بيَّنا للناس بضرب الأمثال في هذا الكتاب العزيز كل بيان ومثلنا لهم الأمثال التي تكون سببًا في هدايتهم، فأحيانا بيَّنا لهم مصائر الأمم المكذبة التي تقدمتهم وما حلَّ بها من أليم العقاب، وأحيانًا ضرب لهم مثلًا للحياة الدنيا وزخارفها وبهجتها، وإلى أن تذهب وكيف تزول، ومثلنا لهم بالنبات وبداياته ووسطه ومصيره وضربنا لهم أمثالًا من أنفسهم وفي أنفسهم، وأمثالًا بالدواب والحشرات، وأمثالًا بالمطر النازل من السماء إلى غير ذلك من الأمثال المذكور في كتاب الله، كل ذلك لعلهم يتعظون ويعتبرون ويرجعوا عن كفرهم وغيهم وشركهم وضلالهم وعصيانهم إلى توحيد خالقهم وطاعة بارئهم والإيمان

والتصديق.

وجعلنا هذا القرآن بلسانٍ عربي واضح لا لبس فيه ولا غموض ولا اختلاف فيه ولا اعوجاج ولا انحراف كل ذلك لعل التقوى تحدث لهم، لعلهم يحذرون غضب الله وعقابه، لعلهم يحذرون الشرك الذي يسبب لهم كل دماءٍ وكل بلاءٍ ويورثهم الجحيم عياذًا بالله وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ولقد مثلنا لهؤلاء المشركين بالله من كل مثل من أمثال القرون للأمم الخالية، تخويفًا منا لهم وتحذيرًا ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ يقول: ليتذكروا فينزجروا عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله.

وقوله: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره: لقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل قرآنًا عربيًّا ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ يعني: ذي لبس.

ونصب قوله: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ على الحال من قوله: هذا القرآن، لأن القرآن معرفة، وقوله: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ نكرة.

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ يقول: جعلنا قرآنا عربيًّا إذ كانوا عربًا، ليفهموا ما فيه من المواعظ، حتى يتقوا ما حذرهم الله فيه من بأسه وسطوته، فينيبوا إلى عبادته وإفراد الألوهة له، ويتبرءوا من الأنداد والآلهة.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: بينا للناس فيه بضرب الأمثال، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ ، فإن المثل يُقرّب المعنى إلى الأذهان، كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الروم:٢٨] أي: تعلمونه

من أنفسكم، وقال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت:٤٣].

وقوله: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ أي: هو قرآن بلسان عربي مبين، لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس، بل هو بيان ووضوح وبرهان، وإنما جعله الله كذلك، وأنزله بذلك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أي: يحذرون ما فيه من الوعيد، ويعملون بما فيه من الوعد.

وقال الشنقيطي $:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿عَرَبِيًّا﴾، أي: لأنه بلسان عربي كما قال تعالى: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣]. وقال تعالى في أول سورة يوسف: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]. وقال في أول الزخرف: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]. وقال في طه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾ [طه: ١١٣]، وقال تعالى في فصلت: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤]، وقال تعالى في الشعراء: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]، وقال تعالى في سورة الشورى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧]. وقال تعالى في الرعد: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الرعد: ٣٧]، إلى غير ذلك من الآيات.

وهذه الآيات القرآنية تدل على شرف اللغة العربية وعظمها، دلالة لا

ينكرها إلا مكابر.

قال السعدي $:

يخبر تعالى أنه ضرب في القرآن من جميع الأمثال، أمثال أهل الخير وأمثال أهل الشر، وأمثال التوحيد والشرك، وكل مثل يقرب حقائق الأشياء، والحكمة في ذلك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ عندما نوضح لهم الحق فيعلمون ويعملون.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ أي: جعلناه قرآنًا عربيًّا، واضح الألفاظ، سهل المعاني، خصوصًا على العرب. ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ أي: ليس فيه خلل ولا نقص بوجه من الوجوه، لا في ألفاظه ولا في معانيه، وهذا يستلزم كمال اعتداله واستقامته كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا﴾ **[الكهف: ١-٢]**.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ الله تعالى، حيث سهلنا عليهم طرق التقوى العلمية والعملية، بهذا القرآن العربي المستقيم، الذي ضرب الله فيه من كل مثل.

س: وضح معنى هذا المثل: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ...﴾.

ج: هذا مثل ضرب للمشرك الذي تتنازعه الشياطين وتتجاذبه وكل شيطان يقوده إلى ضلالةٍ من الضلالات وضربٍ من ضروب الكفر وسبيل من سُبل العصيان، وكذا ضُرب المثل برجل مؤمن بالله موحد أسلم وجهه لله وهو محسن، وحاصل المثل: ضرب الله لكم مثلًا تعرفونه يا أهل الكفر وتعايشونه فإذا كان بينكم عبدٌ اشتريتموه، اشترته جماعة منكم ولكل واحد من الجماعة فيه نصيب، وهذه الجماعة دائمًا متنازعة مختلفة في

شأن هذا العبد، وأخلاق أفراد هذه الجماعة سيئة فهذا يأمره بأمرٍ، وذاك يأمره بأمرٍ آخر وثالثٌ يأمره بأمرٍ ثالث، وإذا أطاع ضربه الآخرون، فلا تُحمد له طاعة ولا يُشكر له معروف ولا يُجازى بإحسان ولا يُكرم بكرامة، فهو مهانٌ على الدوام، هل يستوي هذا العبد مع عبدٍ آخر يملكه رجل واحد صالح فهو لسيده مطيع، وسيده يكرمه على طاعته ويعرف له قدره، هل يستوي هذا مع ذاك، قطعًا لا يستويان فإذا كان ذلك كذلك فقل يا رسول الله الحمد لله الذي أقام الحجة على عباده، وعلى هؤلاء أهل الشرك وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: مثل الله مثلًا للكافر بالله الذي يعبد آلهة شتى، ويطيع جماعة من الشياطين، والمؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد، يقول تعالى ذكره: ضرب الله مثلًا لهذا الكافر رجلًا فيه شركاء. يقول: هو بين جماعة مالكين متشاكسين - يعني: مختلفين متنازعين سيئة أخلاقهم، من قولهم: رجل شكس: إذا كان سيئ الخلق، وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه وملكه فيه، ورجلًا سلمًا لرجل، يقول: ورجلًا خلوصًا لرجل - يعني: المؤمن الموحد الذي أخلص عبادته لله - لا يعبد غيره ولا يدين لشيء سواه بالربوبية.

وقوله: ﴿هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾ يقول تعالى ذكره: هل يستوي مثل هذا الذي يخدم جماعة شركاء سيئة أخلاقهم مختلفة فيه لخدمته مع منازعته شركاءه فيه والذي يخدم واحدا لا ينازعه فيه منازع إذا أطاعه عرف له موضع طاعته وأكرمه، وإذا أخطأ صفح له عن خطئه، يقول: فأي هذين أحسن

(٨٠) أحمر
أسود

حالًا وأروح جسمًا وأقل تعبًا ونصبًا؟

وقوله: (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ) يقول: الشكر الكامل، والحمد التام لله وحده دون كل معبود سواه. وقوله: (بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾) يقول جل ثناؤه: وما يستوي هذا المشترك فيه، والذي هو منفرد ملكه لواحد، بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعلمون أنهما لا يستويان، فهم بجهلهم بذلك يعبدون آلهة شتى من دون الله. وقيل: (هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ) ولم يقل: مثلين لأنهما كلاهما ضربا مثلًا واحدًا، فجرى المثل بالتوحيد، كما قال جل ثناؤه: (وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ) [المؤمنون: ٥٠] آية إذ كان معناهما واحدًا في الآية.والله أعلم.

وأورد الطبري بعض الآثار في ذلك:

منها أثر قتادة بسندٍ حسن قوله: (ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ) قال: هذا المشرك تتنازعه الشياطين، لا يقر به بعضهم لبعض (وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ) قال: هو المؤمن أخلص الدعوة والعبادة.

وآخر بسندٍ صحيح عن ابن زيد:

في قوله: (ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ) قال: أرأيت الرجل الذي فيه شركاء متشاكسون كلهم سيئ الخلق، ليس منهم واحد إلا تلقاه آخذا بطرف من مال لاستخدامه أسواؤهم، والذي لا يملكه إلا واحد، فإنما هذا مثل ضربه الله لهؤلاء الذين يعبدون الآلهة، وجعلوا لها في أعناقهم حقوقًا، فضربه الله مثلًا لهم، وللذي يعبده وحده: (هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾) وفي قوله: (وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ) يقول: ليس معه شرك.

وقال ابن كثير $:

ثم قال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ أي: يتنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ أي: خالصًا لرجل، لا يملكه أحد غيره، ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ أي: لا يستوي هذا وهذا. كذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله، والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له. فأين هذا من هذا؟

قال ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد: هذه الآية ضربت مثلًا للمشرك والمخلص، ولما كان هذا المثلُ ظاهرا بيِّنًا جليًّا، قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: على إقامة الحجة عليهم، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٩﴾ أي: فلهذا يشركون بالله.

قال ابن القيم $ في «التفسير القيم»:

هذا مثل ضربه الله سبحانه للمشرك والموحد فالمشرك بمنزلة عبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون متشاحُّون والرجل المتشاكس الضيق الخلق فالمشرك لما كان يعبد آلهة شتى شبه بعبد يملكه جماعة متنافسون في خدمته لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين.

والموحد لما كان يعبد الله وحده فمثله كمثل عبد لرجل واحد قد سلم له وعلم مقاصده وعرف الطريق إلى رضاه فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه مع رأفة مالكه به ورحمته له وشفقته عليه وإحسانه إليه وتوليه لمصالحه فهل يستوي هذان العبدان!

وهذا من أبلغ الأمثال فإن الخالص لمالك واحد يستحق من معونته وإحسانه والتفاته إليه وقيامه بمصالحه ما لا يستحق صاحب الشركاء المتشاكسين: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٩﴾.

(٨٢) أحمر
أسود

❀ ❀ ❀

س: هل هناك قراءتان في قوله تعالى: (سَلَمًا).

ج: هناك قراءتان أوردها الطبري $ إذ قال:

واختلفت القراء في قراءة قوله: (وَرَجُلًا سَلَمًا) فقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والبصرة: (**رجلا سالمًا**) وتأولوه بمعنى: رجلًا خالصًا لرجل.

وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة: (وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ) بمعنى: صلحًا.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وذلك أن السلم مصدر من قول القائل: سلم فلان لله، سلمًا بمعنى: خلص له خلوصًا، تقول العرب: ربح فلان في تجارته رِبْحًا ورَبَحًا وسَلِم سِلْمًا وسَلَمًا وسلامة، وأن السالم من صفة الرجل، وسلم مصدر من ذلك. وأما الذي توهمه من رغب من قراءة ذلك سلمًا من أن معناه صلحًا، فلا وجه للصلح في هذا الموضع، لأن الذي تقدم من صفة الآخر، إنما تقدم بالخبر عن اشتراك جماعة فيه دون الخبر عن حربه بشيء من الأشياء، فالواجب أن يكون الخبر عن مخالفه بخلوصه لواحد لا شريك له، ولا موضع للخبر عن الحرب والصلح في هذا الموضع.

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، إنك يا رسول الله ستموت عن قريب وسيموت أهل الشرك الذي يخاصمونك ويكذبونك ويعادونك ويحاربونك ثم إن

(٨٣) أحمر
أسود

مرجعكم ومردكم جميعًا إلى الله ۵ يوم القيامة يحكم بينكم فيما اختلفتم فيه في دنياكم ويأخذ للمظلوم من ظالمه ويجازي المؤمن بإيمانه.

والآية وإن كانت في سياق الحديث عن المشركين مع رسول الله إلا أن عمومها ينتظم جميع الخلق، فالكل سيموتون ويرد للنظلوم حقه من ظالمه، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد : إنك يا محمد ميت عن قليل، وإن هؤلاء المكذبيك من قومك والمؤمنين منهم ميتون ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ يقول: ثم إن جميعكم المؤمنين والكافرين يوم القيامة عند ربكم تختصمون فيأخذ للمظلوم منكم من الظالم، ويفصل بين جميعكم بالحق.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: عنى به اختصام المؤمنين والكافرين، واختصام المظلوم والظالم.

وقال آخرون: بل عني بذلك اختصام أهل الإسلام.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: عني بذلك: إنك يا محمد ستموت ، وإنكم أيها الناس ستموتون، ثم إن جميعكم أيها الناس تختصمون عند ربكم، مؤمنكم وكافركم، ومحقوكم ومبطلوكم، وظالموكم ومظلوموكم، حتى يؤخذ لكل منكم ممن لصاحبه قبله حق حقه.

وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب لأن الله عم بقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ خطاب جميع عباده، فلم يخصص بذلك منهم بعضًا دون بعض، فذلك على عمومه على ما عمه الله به ، وقد تنزل

(٨٤) أحمر
أسود

الآية في معنى، ثم يكون داخلًا في حكمها كل ما كان في معنى ما نزلت به.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ هذه الآية من الآيات التي استشهد بها الصديق عند موت الرسول □ ، حتى تحقق الناس موته، مع قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ۝١٤٤﴾- [آل عمران: ١٤٤].

ومعنى هذه الآية: ستنقلون من هذه الدار لا محالة وستجتمعون عند الله في الدار الآخرة، وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله ٥، فيفصل بينكم، ويفتح بالحق وهو الفتاح العليم، فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين، ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبين.

ثم إن هذه الآية - وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين، وذِكْر الخصومة بينهم في الدار الآخرة - فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا، فإنه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة .

❀ ❀ ❀

س: ما مدى صحة الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وغيره بسنده عن الزبير بن العوام؛ قال: لما نزلت هذه السورة على رسول الله □: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾، قال الزبير: أي رسول الله، أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال: «نعم؛

(٨٥) أحمر
أسود

ليكرزَنّ عليكم، حتى يؤدَّى إلى كل ذي حق حقه». قال الزبير: والله إن الأمر لشديد؟

ج: أحمد (١٦٧/١) بسندٍ حسن، وفي سنده بعض الاختلاف على صحابيه، انظر علل الدارقطني (٢٢٤/٤).

❁ ❁ ❁

(٨٦) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(۞فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى
جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾
لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى
كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن
دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن
مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ
هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ
حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ
مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ
يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ
فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم
بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾) [الزمر: ٣٢-٤١].

(٨٧) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(بِٱلصِّدۡقِ -مَثۡوًى -بِكَافٍ -عَبۡدَهُۥۖ -بِضُرٍّ -كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ -بِرَحۡمَةٍ -مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ -حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ -يَتَوَكَّلُ -مَكَانَتِكُمۡ -يُخۡزِيهِ -مُّقِيمٌ -بِوَكِيلٍ).

ج:

الكلمة	معناها
(بِٱلصِّدۡقِ)	القرآن ـ الإسلام ـ الشهادتان
(مَثۡوًى)	مقام ـ مكان للإقامة
(بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ)	بمانعٍ عبده ممن أرادوه بسوء بحافظ عبده وناصره
(بِضُرٍّ)	ببلاء في جسدي أو مالي أو شدة ونحو ذلك
(كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ)	رافعات هذا البلاء ـ مُزيلات له
(بِرَحۡمَةٍ)	بخير من مالٍ أو صحةٍ أو عافية وولدٍ ونحو ذلك
(مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ)	مانعات حلول الرحمة بي
(حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ)	كافيني الله ۵
(يَتَوَكَّلُ)	يعتمد
(مَكَانَتِكُمۡ)	طريقتكم ـ مكانكم ووجهتكم
(يُخۡزِيهِ)	يهينه ـ يُذله
(مُّقِيمٌ)	دائم لا يزول
(بِوَكِيلٍ)	بحفيظ (يحفظ الأعمال ويكتبها)

س: ما المراد بالصدق في قوله تعالى: (وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ)؟

(٨٨) أحمر
أسود

ج: قال كثيرون من العلماء المراد به: القرآن، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: (﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ ..﴾)، وقوله تعالى: (﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ...﴾) [البقرة: ١١٤]، ونحوهما من الآيات؟

ج: لأهل العلم طريقان في الجمع بين هذه الآيات:

أحدهما: أن تنزل كل آية منزلة الاختصاص فيُقال مثلًا: ليس من الكاذبين أظلم ممن كذب على الله وليس من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيه اسمه.

الثاني: أن يكون الجميع في الدرجة العليا من الظلم. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ليس هناك من الكاذبين أعظم كذبًا من شخص يكذب على الله ۵ ويكذب بالقرآن الذي أنزله الله ۵ على نبيه محمد □.

وصور الكذب على الله ۵ متعددة، فمنهم من يكذب على الله ۵ فيدعي له الولد والصاحبة، ولذلك قال مؤمنوا الجن: (﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾) [الجن: ٣]، وقالوا أيضًا: (﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾﴾) [الجن: ٥].

ومنهم من يكذب على الله ۵ ويدعي أن له شريك في الملك!!

(٨٩) أحمر
أسود

ومنهم من يكذب على الله ويقول: إن الله فقير ونحن أغنياء.

ومنهم من يكذب على الله ويقول: يد الله مغلولة.

ومنهم من يكذب على الله ويقول: إن الله أوحى إليَّ فيحلل ما حرَّم الله، ويحرم ما أحل الله إلى غير ذلك من صور الكذب على الله ﴿.

أما قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ فهي في معرض التهديد لهؤلاء الكاذبين على الله، فيقال لهم: أليس في جهنم مقام للجاحدين بآيات الله يقيمون فيها خالدين مخلدين؟!

وهذه بعض أقوال العلماء في الآية الكريمة:

قال الطبري $:

وقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ يقول تعالى ذكره: فمَنْ مِن خلق الله أعظم فرية ممن كذب على الله، فادعى أن له ولد وصاحبة، أو أنه حرم ما لم يحرمه من المطاعم ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ يقول: وكذب بكتاب الله إذ أنزله على محمد، وابتعثه الله به رسولًا وأنكر قول لا إله إلا الله.

وقوله: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ يقول تبارك وتعالى: أليس في النار مأوى ومسكن لمن كفر بالله، وامتنع من تصديق محمد □، واتباعه على ما يدعوه إليه مما أتاه به من عند الله من التوحيد، وحكم القرآن؟

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى مخاطبًا للمشركين الذين افتروا على الله، وجعلوا معه آلهة أخرى، وادعوا أن الملائكة بنات الله، وجعلوا لله ولدا -تعالى الله عن

قولهم علوًّا كبيرًا-ومع هذا كذبوا بالحق إذ جاءهم على ألسنة رسل الله، صلوات الله عليهم أجمعين، ولهذا قال: (﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ) أي: لا أحد أظلم من هذا؛ لأنه جمع بين طرفي الباطل،كذب على الله، وكَذَّب رسول الله، قالوا الباطل وردوا الحق؛ ولهذا قال متوعدًا لهم: (أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾) وهم الجاحدون المكذبون .

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

والكذب على الله يشمل الكذب عليه باتخاذ الشريك والولد والصاحبة، والإخبار عنه بما لا يليق بجلاله، أو ادعاء النبوة، أو القول في شرعه بما لم يقله، والإخبار بأنه قاله وشرعه.

❁ ❁ ❁

س: من الذي جاء بالصدق والذي صدق به، وما المراد بالصدق؟

ج: أما الصدق فهو: القرآن، وقيل: قول لا إله إلا الله، وقال: القول الحق عمومًا.

أما الذي جاء بالصدق وصدق به، فللعلماء فيه أقوال:

أحدها: أنه رسول الله وكذا فهو المُصدق به.

الثاني: أن الذي جاء بالصدق هو رسول الله ، والذي صدق به أبو بكر ﭬ.

الثالث: أن الذي جاء بالصدق رسول الله والذي صدق به علي ﭬ.

الرابع: أن الذي جاء بالصدق رسول الله والذين صدقوا به المؤمنون.

(٩١) أحمر
أسود

الخامس: أن الذي جاء بالصدق جبريل ‍ﻍ والذي صدق به رسول الله □.

السادس: أن الذي جاء بالصدق كل من بَلَّغ عن الله ‍ﻩ.

أمره وكتابه ودعاه إلى توحيد الله ‍ﻩ واتباع رسله والذي صدق به هم المؤمنون له التابعون له على ذلك وهذا الأخير هو الذي استظهره الطبري بعد أن أورد عددًا من أقوال العلماء في ذلك، فقال:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره عني بقوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ كل من دعا إلى توحيد الله، وتصديق رسله، والعمل بما ابتعث به رسوله □ من بين رسل الله وأتباعه والمؤمنين به، وأن يقال الصدق: هو القرآن، وشهادة أن لا إله إلا الله، والمصدق به: المؤمنون بالقرآن، من جميع خلق الله كائنًا من كان من نبي الله وأتباعه.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب؛ لأن قوله تعالى ذكره: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ عقيب قوله: ﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ وذلك ذم من الله للمفترين عليه، المكذبين بتنزيله ووحيه، الجاحدين وحدانيته، فالواجب أن يكون عقيب ذلك مدح من كان بخلاف صفة هؤلاء المذمومين، وهم الذين دعوهم إلى توحيد الله، ووصفه بالصفة التي هو بها، وتصديقهم بتنزيل الله ووحيه، والذين هم كانوا كذلك يوم نزلت هذه الآية، رسول الله □ وأصحابه ومن بعدهم، القائمون في كل عصر وزمان بالدعاء إلى توحيد الله، وحكم كتابه، لأن الله تعالى ذكره لم يخص وصفه بهذه الصفة التي في هذه الآية على أشخاص بأعيانهم، ولا على أهل زمان دون غيرهم، وإنما وصفهم بصفة، ثم مدحهم بها،

(٩٢) أحمر
أسود

وهي المجيء بالصدق والتصديق به، فكل من كان كذلك وصفه فهو داخل في جملة هذه الآية إذا كان من بني آدم.

ومن الدليل على صحة ما قلنا أن ذلك كذلك في قراءة ابن مسعود:

(والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به) فقد بين ذلك من قراءته أن الذي من قوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ﴾ لم يعن بها واحد بعينه، وأنه مراد بها جماع ذلك صفتهم، ولكنها أخرجت بلفظ الواحد، إذ لم تكن موقتة. وقد زعم بعض أهل العربية من البصريين، أن (الذي) في هذا الموضع جعل في معنى جماعة بمنزلة «من». ومما يؤيد ما قلنا أيضا قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣﴾ فجعل الخبر عن (الذي) جماعًا، لأنها في معنى جماع. وأما الذين قالوا: عني بقوله: ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ : غير الذي جاء بالصدق، فقول بعيد من المفهوم، لأن ذلك لو كان كما قالوا لكان التنزيل: والذي جاء بالصدق، والذي صدق به أولئك هم المتقون ، فكانت تكون (الذي) مكررة مع التصديق، ليكون المصدق غير المصدق، فأما إذا لم يكرر، فإن المفهوم من الكلام، أن التصديق من صفة الذي جاء بالصدق، لا وجه للكلام غير ذلك. وإذا كان ذلك كذلك، وكانت (الذي) في معنى الجماع بما قد بينا، كان الصواب من القول في تأويله ما بينا.

قال الشنقيطي $:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ﴾ الآية.

أوضح جلّ وعلا، أن (الذي) في هذه الآية بمعنى الذين، بدليل قوله بعده: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٤﴾.

(٩٣) أحمر
أسود

وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن (الذي) تأتي بمعنى اللذين، في القرآن وفي كلام العرب، فمن أمثلة ذلك في القرآن، قوله تعالى في آية الزمر هذه: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ﴾ الآية، وقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسۡتَوۡقَدَ نَارًا﴾، أي: الذين استوقدوا بدليل قوله بعده: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبۡصِرُونَ ۝١٧﴾ [البقرة: ١٧]، وقوله فيها أيضًا: ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾، أي: كالذين ينفقون بدليل قوله بعده: ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَىۡءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ الآية [البقرة: ٢٦٤]، وقوله تعالى في التوبة: ﴿وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ [التوبة: ٦٩] على القول بأن (الذي) موصولة لا مصدرية، ونظيره من كلام العرب قول أشهب بن رميلة:

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم ... هم القوم كل القوم يا أم خالد

وقول عديل بن الفرخ العجلي:

فبت أساقي القوم إخوتي الذي ... غوايتهم غيٌّ ورشدهم رشد

وقول الراجز:

يا رب عبس لا تبارك في أحد ... في قائم منها ولا فيمن قعد

إلا الذي قاموا بأطراف المسد

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ﴾ في قوله وعمله، فدخل في ذلك الأنبياء ومن قام مقامهم، ممن صدق فيما قاله عن خبر الله وأحكامه، وفيما فعله من خصال الصدق.

﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ أي: بالصدق لأنه قد يجيء الإنسان بالصدق، ولكن قد لا يصدق به، بسبب استكباره، أو احتقاره لمن قاله وأتى به، فلا بد في المدح من

الصدق والتصديق، فصدقه يدل على علمه وعدله، وتصديقه يدل على تواضعه وعدم استكباره.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أولئك الذين ذُكر شأنهم وهم الذين جاءوا بالصدق والذين جاءوا به هم الذين اتقوا الشرك فعبدوا الله وحده ولم يشركوا معه أحدًا في عبادته، وكذا اتقوا - قدر جهدهم وقدر استطاعتهم - ما يغضب ربهم عليهم، والله أعلم.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣﴾ يقول جل ثناؤه: هؤلاء الذين هذه صفتهم. هم الذين اتقوا الله بتوحيده والبراءة من الأوثان والأنداد، وأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، فخافوا عقابه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، لهؤلاء الذين جاءوا بالصدق وصدقوا به كل ما يتمنونه في جنات النعيم فهذا هو جزاء من أحسن في الدنيا بامتثال أمر الله ۵ واجتناب مساخطه.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ﴾ يقول تعالى ذكره: لهم عند ربهم يوم القيامة، ما تشتهيه أنفسهم، وتلذه أعينهم ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٤﴾ يقول

(٩٥) أحمر
أسود

تعالى ذكره: هذا الذي لهم عند ربهم، جزاء من أحسن في الدنيا فأطاع الله فيها، وائتمر لأمره، وانتهى عما نهاه فيها عنه.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: (لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٥﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، ليمحو الله عنهم خطاياهم فلا يؤاخذهم بها، وإذا كفَّر عنهم أسوأ الذي عملوا فقد كفر عنهم ما دون ذلك.

وكذا ليكافؤهم الله ۵، ويثيبهم ويعطيهم أعظم الأجور على أعمالهم الحسنة التي عملوها.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وجزى هؤلاء المحسنين ربهم بإحسانهم، كي يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا في الدنيا من الأعمال، فيما بينهم وبين ربهم، بما كان منهم فيها من توبة وإنابة مما اجترحوا من السيئات فيها (وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُمۡ) يقول: ويثيبهم ثوابهم (بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ) في الدنيا (يَعۡمَلُونَ ﴿٣٥﴾) مما يرضى الله عنهم دون أسوئها.

وقال ابن كثير $:

(لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٥﴾)، كما قال في الآية الأخرى: (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِىٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ) [الأحقاف: ١٦].

❀ ❀ ❀

س: في قوله تعالى: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾ما ينفي القنوط واليأس من رحمة الله. وضح ذلك.

ج: إيضاحه أنه إذا كان هؤلاء الذين صدقوا به بالقرآن كفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا، ففيه إشارة إلى أنه صدرت منهم أعمال تسوؤهم، ومن ثمَّ فغيرهم من باب أولى أن تصدر منهم ذنوب وسيئات.

أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد قال:

﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ أي: ألهم ذنوب، أي رب نعم ﴿لَهُم﴾ فيها ﴿مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾، وقرأ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الأنفال: ٢] ... إلى أن بلغ ﴿وَمَغۡفِرَةٞ﴾ لئلا ييأس من لهم الذنوب أن لا يكونوا منهم ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٤]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] ... إلى آخر الآية.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٦﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أن أهل الشرك يخوفونك يا رسول الله من أوثانهم وآلهتهم التي يعبدونها من دون الله ويحذرونك منها ومن ترك عبادتها ويقولون: إنها ستضرك وستصيبك بالخبل وستفعل وتفعل فأيقن يا رسول الله بأن الله ۵ سيحميك منها ويحفظك منها ويسلمك منها وسيكفيك شرها بما يشاء من صور دفع ضررها عنك فلا تعبأ ولا تبالي بما

(٩٧) أحمر
أسود

يتوعدون.

واعلم أن من يضلله الله فلن تجد له هاديًا يهديه وكذلك من تفضل الله عليه بالهداية فلن تجد مُضلًا يضله.

واعلم يا رسول الله أن الله ٥ عزيزٌ في انتقامه من أعدائه لا يغلبه غالب ولا يمنعه مما أراد مانع.

هذا، وقد قرأ بعض القراء (**أليس الله بكاف عباده**).

قال الطبري $ في بيان تلك القراءة، وفي تفسير ما ذُكر:

اختلفت القراء في قراءة: (أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ) فقرأ ذلك بعض قراء المدينة وعامة قراء أهل الكوفة: (**أليس الله بكاف عباده**) على الجماع، بمعنى: أليس الله بكاف محمدًا وأنبياءه من قبله ما خوفتهم أممهم من أن تنالهم آلهتهم بسوء، وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة، وبعض قراء الكوفة: (بِكَافٍ عَبْدَهُۥ) على التوحيد، بمعنى: أليس الله بكاف عبده محمدًا.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار. فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لصحة معنييها واستفاضة القراءة بهما في قراءة الأمصار.

وقوله: (وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: ويخوفك هؤلاء المشركون يا محمد بالذين من دون الله من الأوثان والآلهة أن تصيبك بسوء، ببراءتك منها، وعيبك لها، والله كافيك ذلك.

وقوله: (وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾) يقول تعالى ذكره: ومن يخذله الله فيضله عن طريق الحق وسبيل الرشد، فما له سواه من مرشد ومسدد إلى طريق الحق، وموفق للإيمان بالله، وتصديق رسوله، والعمل

بطاعته ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ يقول: ومن يوفقه الله للإيمان به، والعمل بكتابه، فما له من مضل، يقول: فما له من مزيغ يزيغه عن الحق الذي هو عليه إلى الارتداد إلى الكفر ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٖ ذِي ٱنتِقَامٖ ۝٣٧﴾ يقول جل ثناؤه: أليس الله يا محمد بعزيز في انتقامه من كفرة خلقه، ذي انتقام من أعدائه الجاحدين وحدانيته.

وقال ابن كثير $:

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ يعني: المشركين يخوفون الرسول ويتوعدونه بأصنامهم وآلهتهم التي يدعونها من دونه؛ جهلًا منهم وضلالًا؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ۝٣٦ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٖ ذِي ٱنتِقَامٖ ۝٣٧﴾ أي: منيع الجناب لا يضام، من استند إلى جنابه ولجأ إلى بابه، فإنه العزيز الذي لا أعز منه، ولا أشد انتقاما منه، ممن كفر به وأشرك وعاند رسوله .

❁ ❁ ❁

س: أهل الكفر دومًا يخوّفون أهل الإيمان والأنبياء بأصنامهم ومعبوداتهم ولكن الله ۵ يثبت أهل الإيمان والأنبياء فلا يخشون إلا الله. دلِّل على ذلك.

ج: ذكر الشنقيطي في «أضواء البيان» شيئًا من ذلك، وأورد الأدلة في هذا الباب حيث قال في: قوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾.

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أن الكفار عبدة الأوثان، يخوفون النبي ، بالأوثان التي يعبدونها من دون الله، لأنهم يقولون له: إنها ستضره وتخبله، وهذه عادة عبدة الأوثان لعنهم الله، يخوفون الرسل

بالأوثان ويزعمون أنها ستضرهم وتصل إليهم بالسوء.

ومعلوم أن أنبياء الله عليهم صلوات الله وسلامه، لا يخافون غير الله ولا سيما الأوثان، التي لا تسمع ولا تبصر، ولا تضر ولا تنفع، ولذا قال تعالى عن نبيه إبراهيم لما خوَّفوه بها: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ﴾ [الأنعام: ٨١].

وقال عن نبيه هود وما ذكره له قومه من ذلك: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٤-٥٦].

وقال تعالى في هذه السورة الكريمة، مخاطبًا نبينا ﷺ، بعد أن ذكر تخويفهم له بأصنامهم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

ومعلوم أن الخوف من تلك الأصنام من أشنع أنواع الكفر والإشراك بالله.

وقد بيَّن جل وعلا في موضع آخر، أن الشيطان يخوف المؤمنين أيضًا، الذين هم أتباع الرسل من أتباعه وأوليائه من الكفار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥].

والأظهر أن قوله: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ حذف فيه المفعول الأول، أي

(١٠٠) أحمر
أسود

يخوفكم أولياءه، بدليل قوله بعده: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ الآية.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم ...﴾ الآية.

ج: المعنى، والله أعلم، ولئن سألت يا رسول الله أهل الشرك الذين كذبوك وجحدوا آيات الله المنزلة عليك، لئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله، فيقرون لله بأنه خالق السموات والأرض ومع ذلك فهم يشركون به ويعبدون معه غيره، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦].

فقل لهؤلاء أفرأيتم يا هؤلاء إن أراد الله بي سوءًا أو مكروهًا أو ضرًّا في بدني أو قلة في مالي أو غير ذلك هل تستطيع هذه الآلهة دفع ذلك.

أو أراد بي خيرًا وسعة في الرزق وصحة وعافية.

هل تستطيع هذه الآلهة أن تمنع عني رزقًا ساقه الله إليَّ، كلا فلن تستطيع هذه الآلهة جلب خيرٍ ولا دفع ضرٍّ، فقل يا رسول الله لهؤلاء المشركين حسبي الله فهو كافيني ما أهمني، وهو الذي يصرف عني السوء والمكروه وهو الذي يتولى أموري كلها عليه اعتمدت وعليه فليعتمد المعتمدون.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين العادلين بالله الأوثان والأصنام: من خلق السموات والأرض ؟ ليقولن: الذي خلقهن الله ، فإذا قالوا ذلك، فقل: أفرأيتم أيها القوم هذا الذي

(١٠١) أحمر
أسود

تعبدون من دون الله من الأصنام والآلهة ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ يقول: بشدة في معيشتي، هل هن كاشفات عني ما يصيبني به ربي من الضر؟ ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾ يقول: إن أرادني ربي أن يصيبني سعة في معيشتي، وكثرة مالي، ورخاء وعافية في بدني، هل هن ممسكات عني ما أراد أن يصيبني به من تلك الرحمة؟ وترك الجواب لاستغناء السامع بمعرفة ذلك، ودلالة ما ظهر من الكلام عليه. والمعنى: فإنهم سيقولون لا فقل: حسبي الله مما سواه من الأشياء كلها، إياه أعبد، وإليه أفزع في أموري دون كل شيء سواه، فإنه الكافي، وبيده الضر والنفع، لا إلى الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع، ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ يقول: على الله يتوكل من هو متوكل، وبه فليثق لا بغيره.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ يعني: المشركين كانوا يعترفون بأن الله هو الخالق للأشياء كلها، ومع هذا يعبدون معه غيره، مما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا؛ ولهذا قال: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ أي: لا تستطيع شيئًا من الأمر.

وقال:

﴿قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ أي: الله كافيّ، عليه توكلت وعليه يتوكل المتوكلون، كما قال هود، غ، حين قال له قومه: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾.

[هود: ٥٤-٥٦]

وقال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

ما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من أن المعبودات من دونه، لا تقدر أن تكشف ضرًّا أراد الله به أحدًا، أو تمسك رحمة أراد بها أحدًا، جاء موضحًا في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء: ٧٢-٧٤]. وقوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧]، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

❀ ❀ ❀

(١٠٣) أحمر
أسود

س: اذكر حديثًا في معنى الآية الكريمة: (قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ...).

ج: في معناها حديث ابن عباس ڤ مرفوعًا: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك**»(١).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا رسول الله لهؤلاء الذين كذبوك وجحدوا نبوتك وأنكروا ما جئت به، قل يا هؤلاء اعملوا على طريقتكم التي أنتم عليها فإني عامل على طريقتي، واثبتوا على منهجكم فإني ثابت على منهجي، وهذا على سبيل التهديد فسوف يأتي اليوم الذي تعلمون فيه أين المحق الذي يستحق فسيح الجنان، وأينا المبطل الذي سيحل عليه عذاب يلازمه ولا يفارقه.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك، الذي اتخذوا الأوثان والأصنام آلهة يعبدونها من دون الله اعملوا أيها القوم على تمكنكم من العمل الذي تعملون ومنازلكم.

وقوله: (مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ) يقول تعالى ذكره: من يأتيه عذاب يخزيه،

(١) صحيح لشواهده، أخرجه أحمد (١/٢٩٣، ٣٠٣)، والترمذي (٢٥١)، وغيرهما.

(١٠٤) أحمر
أسود

ما أتاه من ذلك العذاب، يعني: يذله ويهينه (وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾) يقول: وينزل عليه عذاب دائم لا يفارقه.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ) أي: على طريقتكم، وهذا تهديد ووعيد. . (إِنِّى عَٰمِلٌ) أي: على طريقتي ومنهجي، (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾) أي: ستعلمون غب ذلك ووباله (مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ) أي: في الدنيا، (وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾) أي: دائم مستمر، لا محيد له عنه. وذلك يوم القيامة.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : (قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ) أي على مكانتي أي على جهتي التي تمكنت عندي (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾) وقرأ أبو بكر: (**مكاناتكم**) وقد مضى في (الأنعام).

(مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ) أي يهينه ويذله أي في الدنيا وذلك بالجوع والسيف (وَيَحِلُّ عَلَيْهِ) أي: في الآخرة (عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾).

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ....) الآية.

ج: المعنى، والله أعلم، إنا أنزلنا عليك يا رسولنا هذا القرآن متضمنًا الحق محتويًا عليه، وكذا فنزوله حق وصدق فهو من عند الله حقًّا فمن قبله واهتدى بهداه فثواب عمله لنفسه، ومن حاد عن هذا الكتاب العزيز

وانصرف عنه فإثم ذلك عائدٌ عليه أيضًا، وما أنت على هؤلاء بحفيظ تحفظ عليهم أعمالهم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ▯: إنا أنزلنا عليك يا محمد الكتاب تبيانًا للناس بالحق (فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ) يقول: فمن عمل بما في الكتاب الذي أنزلناه إليه واتبعه فلنفسه، يقول: فإنما عمل بذلك لنفسه، وإياها بغى الخير لا غيرها، لأنه أكسبها رضا الله والفوز بالجنة، والنجاة من النار. (وَمَن ضَلَّ) يقول: ومن جار عن الكتاب الذي أنزلناه إليك، والبيان الذي بيناه لك، فضل عن قصد المحجة، وزال عن سواء السبيل، فإنما يجور على نفسه، وإليها يسوق العطب والهلاك، لأنه يكسبها سخط الله، وأليم عقابه، والخزي الدائم. (وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾) يقول تعالى ذكره: وما أنت يا محمد على من أرسلتك إليه من الناس برقيب ترقب أعمالهم، وتحفظ عليهم أفعالهم، إنما أنت رسول ، وإنما عليك البلاغ، وعلينا الحساب.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى مخاطبًا رسوله محمدًا ▯ : (إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ) يعني: القرآن (لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ) أي: لجميع الخلق من الإنس والجن لتنذرهم به، (فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ) أي: فإنما يعود نفع ذلك إلى نفسه، (وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا) أي: إنما يرجع وبال ذلك على نفسه، (وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾) أي: بموكل أن يهتدوا، (إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾) [هود:١٢]، (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾) [الرعد:٤٠] .

❁ ❁ ❁

(١٠٦) أحمر
أسود

(١٠٧) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي
قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ
لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا
يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ
ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا
هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡ أَنَّ
لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا
كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الزمر: ٤٢-٤٨]

(١٠٨) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(يَتَوَفَّى - أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ -ٱشۡمَأَزَّتۡ -ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ -يَسۡتَبۡشِرُونَ -فَاطِرَ -ٱلۡغَيۡبِ - وَٱلشَّهَٰدَةِ -ظَلَمُواْ -لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ -وَبَدَا لَهُم -يَحۡتَسِبُونَ -سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ -وَحَاقَ بِهِم).

ج:

الكلمة	معناها
(يَتَوَفَّى)	يقبض
(أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ)	وقت سماه الله وحدَّده
(ٱشۡمَأَزَّتۡ)	نفرت - استكبرت - كفرت
(ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ)	الأصنام والأوثان، وما سوى الله من الآلهة التي عبدوها
(يَسۡتَبۡشِرُونَ)	يظهر في وجههم أثر الفرح والسرور ويؤمِّلون
(فَاطِرَ)	خالق على غير مثالٍ سابق
(ٱلۡغَيۡبِ)	لا تراه الأبصار ولا تحسه العيون
(وَٱلشَّهَٰدَةِ)	ما يشاهده الخلق ويرونه
(ظَلَمُواْ)	أشركوا
(لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ)	لقدموه فدية لأنفسهم من العذاب لدفعوه مقابل ألا يعذبوا
(وَبَدَا لَهُم)	ظهر وتبين
(يَحۡتَسِبُونَ)	يتوقعون

(١٠٩) أحمر
أسود

(سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ)	العقاب السيئ لأعمالهم السيئة
(وَحَاقَ بِهِم)	حلَّ ونزل بهم

س: وضح معنى الآية الكريمة: (ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ ..).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، الله يقبض أرواح الأشخاص عند انقضاء آجالهم، فتلك هي الوفاة الكبرى أما الأنفس التي لم تنقض آجالها التي حدَّدها الله لها وقضى أنها تعيشها فإن هذه الأنفس يتوفاها الله ۵ - الوفاة الصغرى - في منامها - أثناء نومها فنحن نقول إذا استيقظنا الحمد لله الذي أحيانًا بعدما أماتنا وإليه النشور كما علمنا رسولنا ﷺ فعلى ما ذكر يمكن صياغة ما ذكر على النحو التالي.

الله يتوفى جميع الأنفس، ولكن الأنفس التي انتهت آجالها يتوفاها الله الوفاة الكبرى، ويمسكها عندها فلا ترجع إلى جسد صاحبها. أما الأنفس التي لم تنقض آجالها فإن الله ۵ يتوفاها أثناء نومها، فإذا أُريد لأصحابها الاستيقاظ ردها الله ۵ إليهم.

هذا، وقد ذكر فريق من العلماء أن الأرواح كلها تصعد إلى السماء فتكون في الملإ الأعلى فيمسك الله ۵ عنده تلك الأنفس التي انتهت آجالها ويرسل الأخرى إلى أجساد أصحابها إلى الأجل المسمى المحدد الذي قدر الله لها أن تعيشه، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «... **إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**».

وقوله: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾).

حاصل معناه إن في قبض الأرواح التي انتهت آجالها وإرسال الأنفس التي لم تنتهي آجالها، وكذا في توفيها بالليل لدلالات على قدرة الله ๕ على إحياء الموتى.

ودلالات على وحدانية الله ๕ لمن يتفكر ويتدبر ويتأمل.

هذا، وقد قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ومن الدلالة على أن الألوهة لله الواحد القهار خالصة دون كل ما سواه، أنه يميت ويحيي، ويفعل ما يشاء، ولا يقدر على ذلك شيء سواه، فجعل ذلك خبرا نبههم به على عظيم قدرته، فقال: (ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا) فيقبضها عند فناء أجلها، وانقضاء مدة حياتها، ويتوفى أيضا التي لم تمت في منامها، كما التي ماتت عند مماتها (فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ) ذكر أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام، فيتعارف ما شاء الله منها، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده وحبسها، وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها إلى أجل مسمى وذلك إلى انقضاء مدة حياتها.

وقوله: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾) يقول تعالى ذكره: إن في قبض الله نفس النائم والميت وإرساله بعد نفس هذا ترجع إلى جسمها، وحبسه لغيرها عن جسمها لعبرة وعظة لمن تفكر وتدبر، وبيانا له أن الله يحيي من يشاء من خلقه إذا شاء، ويميت من شاء إذا شاء.

وقال ابن كثير $:

ثم قال تعالى مخبرًا عن نفسه الكريمة بأنه المتصرف في الوجود بما يشاء، وأنه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى، بما يرسل من الحفظة الذين

يقبضونها من الأبدان، والوفاة الصغرى عند المنام، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام: ٦٠-٦١]، فذكر الوفاتين: الصغرى ثم الكبرى. وفي هذه الآية ذكر الكبرى ثم الصغرى؛ ولهذا قال: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ فيه دلالة على أنها تجتمع في الملإ الأعلى، كما ورد بذلك الحديث المرفوع الذي رواه ابن منده وغيره. وفي صحيحي البخاري ومسلم (١) من حديث عبيد الله بن عمر، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبيه، عن أبي هريرة، ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلْيَنْفُضْه بداخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم ليقل: باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**».

وقال بعض السلف: يقبض أرواح الأموات إذا ماتوا، وأرواح الأحياء إذا ناموا، فتتعارف ما شاء الله تعالى أن تتعارف ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ التي قد ماتت ﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾.

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ وهذه الوفاة الكبرى، وفاة الموت.

وإخباره أنه يتوفى الأنفس وإضافة الفعل إلى نفسه، لا ينافي أنه قد وكل بذلك ملك الموت وأعوانه، كما قال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ

---

(١) البخاري (٦٣٢٠)، ومسلم (٢٧١٤).

ﭐلَّذِى وُكِّلَ بِكُمۡ) [السجدة: ١١]، (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ٦١) [الأنعام: ٦١]؛ لأنه تعالى يضيف الأشياء إلى نفسه، باعتبار أنه الخالق المدبر، ويضيفها إلى أسبابها، باعتبار أن من سننه تعالى وحكمته أن جعل لكل أمر من الأمور سببا.

وقوله: (وَٱلَّتِى لَمۡ تَمُتۡ فِى مَنَامِهَاۖ) وهذه هي الموتة الصغرى، أي: ويمسك النفس التي لم تمت في منامها، (فَيُمۡسِكُ) من هاتين النفسين النفس (ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ) وهي نفس من كان مات، أو قضي أن يموت في منامه.

(وَيُرۡسِلُ) النفس (ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ) أي: إلى استكمال رزقها وأجلها.

❀ ❀ ❀

س: لأهل العلم قولان في (أَمِ ٱتَّخَذُواْ). وضحهما.

ج: القول الأول: أن (أَمِ) بمعنى بل، فيكون المعنى: بل اتخذوا من دون الله شفعاء.

والثاني: أن (أَمِ) استفهامية، تحمل معنى الإنكار والتوبيخ، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله: (قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ).

ج: المعنى، والله أعلم، أن أمر الشفاعة كله موكول إلى الله، فلا يشفع شافع إلا بإذن الله، ولا يشفع شافع إلا فيمن ارتضاه الله، إلى غير ذلك من المعاني.

(١١٣) أحمر
أسود

قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ **[البقرة: ٢٥٥]**.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ **[الأنبياء: ٢٨]**.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ ...﴾ **الآيات.**

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن هؤلاء القوم من أهل الشرك عبدوا الأوثان والأصنام كي تشفع لهم عند خالقهم فأخبر الله ٥ أن أمر الشفاعة موكول إليه يُشفّع من شاء فيمن يشاء، وهذه الأصنام التي زعمتم أنها تشفع لكم لا تملك لأنفسها شيئًا ولا لغيرها فضلًا عن كونها لا تعقل ولا تفهم.

فأخبرهم يا رسول الله بأن الأمر كله لله فليتجهوا إليه مخلصين له الدين، دون ما سواه، فملك السموات والأرض كله له ٥ وإليه المرجع يوم القيامة والمآب.

وهذه بعض أقوال العلماء في الآية الكريمة:

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهتهم التي يعبدونها شفعاء تشفع لهم عند الله في حاجاتهم. وقوله: ﴿قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ٤٣﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: قل يا محمد لهم: أتتخذون هذه الآلهة شفعاء كما تزعمون ولو كانوا لا يملكون لكم نفعا ولا ضرا، ولا يعقلون شيئا، قل لهم: إن تكونوا تعبدونها لذلك، وتشفع لكم عند الله، فأخلصوا عبادتكم لله، وأفردوه بالألوهة، فإن الشفاعة جميعا له،

لا يشفع عنده إلا من أذن له، ورضي له قولا وأنتم متى أخلصتم له العبادة، فدعوتموه، شفعكم ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ، يقول: له سلطان السموات والأرض وملكها ، وما تعبدون أيها المشركون من دونه ملك له، يقول: فاعبدوا الملك لا المملوك الذي لا يملك شيئًا. ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ يقول: ثم إلى الله مصيركم، وهو معاقبكم على إشراككم به، إن متم على شرككم.

ومعنى الكلام: لله الشفاعة جميعا، له ملك السموات والأرض، فاعبدوا المالك الذي له ملك السموات والأرض، الذي يقدر على نفعكم في الدنيا، وعلى ضركم فيها، وعند مرجعكم إليه بعد مماتكم، فإنكم إليه ترجعون.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى ذامًّا للمشركين في اتخاذهم شفعاء من دون الله، وهم الأصنام والأنداد، التي اتخذوها من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولا برهان حداهم على ذلك، وهي لا تملك شيئا من الأمر، بل وليس لها عقل تعقل به، ولا سمع تسمع به، ولا بصر تبصر به، بل هي جمادات أسوأ حالا من الحيوان بكثير.

ثم قال: قل: أي يا محمد لهؤلاء الزاعمين أن ما اتخذوه شفعاء لهم عند الله، أخبرهم أن الشفاعة لا تنفع عند الله إلا لمن ارتضاه وأذن له، فمرجعها كلها إليه، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: هو المتصرف في جميع ذلك. ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ أي: يوم القيامة، فيحكم بينكم بعدله، ويجزي كلا بعمله.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : (﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ﴾) أي بل اتخذوا يعني الأصنام وفي الكلام ما يتضمن لم؛ أي: (﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٤٢﴾) لم يتفكروا ولكنهم اتخذوا آلهتهم شفعاء (﴿قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا﴾) أي: قل لهم يا محمد أتتخذونهم شفعاء وإن كانوا لا يملكون شيئا من الشفاعة (﴿وَلَا يَعۡقِلُونَ ٤٣﴾) لأنها جمادات وهذا استفهام إنكار قوله تعالى : (﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾) نص في أن الشفاعة لله وحده كما قال: (﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾) **[البقرة:٢٥٥]**، فلا شافع إلا من شفاعته (﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾) **[الأنبياء: ٢٨]** (﴿جَمِيعٗاۖ﴾) نصب على الحال فإن قيل: (﴿جَمِيعٗاۖ﴾) إنما يكون للاثنين فصاعدا والشفاعة واحدة فالجواب أن الشفاعة مصدر والمصدر يؤدي عن الاثنين والجميع (﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٤٤﴾).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٥﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن أهل الشرك إذا سمعوا الداعي يدعو إلى توحيد الله ۵ ويقول: لا إله إلا الله نفرت قلوبهم وكفرت واستكبرت، وإذا ذكرت الأوثان والأصنام إذا بهؤلاء النافرين عن قول لا إله إلا الله يستبشرون بالأصنام والأوثان ويطلبون منها الشفاعة وكشف الضرر وجلب النفع، ويظنون في أصنامهم أنها تجيب مطالبهم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وإذا أفرد الله جل ثناؤه بالذكر، فدعي وحده، وقيل:

لا إله إلا الله، اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالمعاد والبعث بعد الممات.

وعنى بقوله: ﴿ٱشۡمَأَزَّتۡ﴾ : نفرت من توحيد الله. ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ يقول: وإذا ذكر الآلهة التي يدعونها من دون الله مع الله، فقيل: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتها لترتجى، إذ الذين لا يؤمنون بالآخرة يستبشرون بذلك ويفرحون.

وقال ابن كثير $:

ثم قال تعالى ذامًّا للمشركين أيضًا: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ﴾ أي: إذا قيل: لا إله إلا الله ﴿ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ قال مجاهد: ﴿ٱشۡمَأَزَّتۡ﴾ انقبضت.

وقال السدي: نفرت. وقال قتادة: كفرت واستكبرت. وقال مالك، عن زيد بن أسلم: استكبرت. كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [الصافات:٣٥]، أي: عن المتابعة والانقياد لها. فقلوبهم لا تقبل الخير، ومن لم يقبل الخير يقبل الشر؛ ولهذا قال: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: من الأصنام والأنداد، قاله مجاهد، ﴿إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٥﴾ أي: يفرحون ويسرون .

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٤٦﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، قل يالله يا خالق السموات والأرض على غير مثالٍ سابق، يا من تعلم السر والعلانية، وما رأته العيون والأبصار وما أخفته النفوس، يالله أنت تحكم بين عبادك عمومًا يوم القيامة في كل شيء

اختلفوا فيه وتخاصموا بسببه، وتحكم بين أهل الكفر وأهل الإيمان، وحكمك عدل.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد : قل يا محمد، الله خالق السموات والأرض ﴿عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ الذي لا تراه الأبصار، ولا تحسه العيون والشهادة الذي تشهده أبصار خلقه، وتراه أعينهم ﴿أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ﴾ فتفصل بينهم بالحق يوم تجمعهم لفصل القضاء بينهم ﴿فِي مَا كَانُواْ فِيهِ﴾ في الدنيا ﴿يَخۡتَلِفُونَ ٤٦﴾ من القول فيك، وفي عظمتك وسلطانك، وغير ذلك من اختلافهم بينهم، فتقضي يومئذ بيننا وبين هؤلاء المشركين الذين إذا ذكرت وحدك اشمأزت قلوبهم، إذا ذكر من دونك استبشروا بالحق.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: بعد ما ذكر عن المشركين ما ذكر من المذمة، لهم في حبهم الشرك، ونفرتهم عن التوحيد ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: ادع أنت الله وحده لا شريك له، الذي خلق السموات والأرض وفطرها، أي: جعلها على غير مثال سبق، ﴿عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: السر والعلانية، ﴿أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٤٦﴾ أي: في دنياهم، ستفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم، وقيامهم من قبورهم.

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة الحديث الوارد من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت عائشة: بأي شيء كان رسول الله يفتتح صلاته إذا

(١١٨) أحمر
أسود

قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهم؛ رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»(١).

ج: هذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، وقد أعله بعض العلماء كأبي الفضل الهروي في كتابه «علل أحاديث في صحيح مسلم» بما حاصله أنه من طريق عكرمة بن عمار حدثنا يحيى بن أبي كثير.

قال: وفي رواية عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبي كثير مقال. فالله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ولو كان الكفار الذين أشركوا بالله ۵ في دنياهم يملكون كل ما في الأرض مضاعفًا لقدموه حتى لا يُعذبوا يوم القيامة. ولو قدموه ما قبل منهم.

وقد ظهر لهم وتبين لهم من الله ۵ ما لم يكن يخطر لهم على بال من صور العذاب. وقيل: إنهم في دنياهم عملوا أعمالًا يظنونها حسنات فإذا بها سيئات.

---
(١) مسلم حديث (٥٣٤).

(١١٩) أحمر
أسود

قال الطبري $:

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولو أن لهؤلاء المشركين بالله يوم القيامة، وهم الذين ظلموا أنفسهم ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ في الدنيا من أموالها وزينتها ﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ مضاعفا، فقبل ذلك منهم عوضا من أنفسهم، لفدوا بذلك كله أنفسهم عوضًا منها، لينجو من سوء عذاب الله، الذي هو معذبهم به يومئذ ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ﴾ يقول: وظهر لهم يومئذ من أمر الله وعذابه، الذي كان أعده لهم، ما لم يكونوا قبل ذلك يحتسبون أنه أعده لهم.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وهم المشركون، ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ أي: ولو أن جميع ملك الأرض وضعفه معه ﴿لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ﴾ أي: الذي أوجبه الله لهم يوم القيامة، ومع هذا لا يُتقبل منهم الفداء ولو كان ملء الأرض ذهبًا، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ أي: وظهر لهم من الله من العذاب والنكال بهم ما لم يكن في بالهم ولا في حسابهم،

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أي: وظهر لهم جزاء ما اكتسبوا في الدار الدنيا من المحارم والمآثم، ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾﴾ أي: وأحاط بهم من العذاب والنكال ما كانوا يستهزئون به في الدار الدنيا .

(١٢٠) أحمر
أسود

وقال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أن الذين ظلموا وهم الكفار، ولو كان لهم في الآخرة ما في الأرض جميعًا ومثله معه، لفدوا أنفسهم به من سوء العذاب الذي عاينوه يوم القيامة، وبين هذا المعنى في مواضع أخر وصرح فيها بأنه لا فداء ألبتة يوم القيامة كقوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾) [آل عمران: ٩١]. وقوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾) [المائدة: ٣٦-٣٧]، وقوله تعالى: (فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾) [الحديد: ١٥]. وقوله تعالى: (وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾) [الأنعام: ٧٠]. فقوله: (وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ) أي: وإن تفتد كل فداء، وقوله تعالى: (وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ) [البقرة: ٤٨]. وقوله (وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ) [البقرة: ١٢٣]، والعدل: الفداء وقوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾) [الرعد: ١٨].

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾).

ج: المعنى، وظهر لهم وتبين لهم لما رأوا كتب أعمالهم ما نشرت صحفهم وتلقوا كتابهم بشمالهم ظهر لهم وتبين ما عملوه من الأعمال السيئة من الكفر والكبائر والمعاصي والجرائم، ونزل بهم حينئذٍ وحلَّ بهم جزاء استهزائهم برسل الله الكرام عليهم صلوات الله وسلامه.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وظهر لهؤلاء المشركين يوم القيامة ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ من الأعمال في الدنيا، إذ أعطوا كتبهم بشمائلهم ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٤٨﴾ ووجب عليهم حينئذ، فلزمهم عذاب الله الذي كان نبي الله □ في الدنيا يعدهم على كفرهم بربهم ، فكانوا به يسخرون، إنكارا أن يصيبهم ذلك، أو ينالهم تكذيبا منهم به، وأحاط ذلك بهم.

وقال ابن كثير $:

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ أي: وظهر لهم جزاء ما اكتسبوا في الدار الدنيا من المحارم والمآثم، ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٤٨﴾ أي: وأحاط بهم من العذاب والنكال ما كانوا يستهزئون به في الدار الدنيا .

قال الشنقيطي $:

قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾.

قوله: ﴿وَبَدَا لَهُمْ﴾ أي: ظهر لهم ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ أي: جزاء سيئاتهم التي اكتسبوها في الدنيا، فالظاهر أنه أطلق السيئات هنا مرادًا بها جزاؤها.

ونظيره من القرآن قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

(١٢٢) أحمر
أسود

ونظير ذلك أيضًا إطلاق العقاب، على جزاء العقاب، في قوله تعالى: ﴿ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ﴾.

[الحج: ٦٠]

وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من أنهم يبدوا لهم يوم القيامة، حقيقة ما كانوا يعملونه في الدنيا جاء موضحًا في آيات أخر، كقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ﴾ [يونس: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [القيامة: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾ [الانفطار: ٥]. وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ﴾ [الكهف: ٤٩]. وقوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣-١٤] إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

(١٢٣) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(فَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ نِعۡمَةٗ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمِۭۚ
بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٩ قَدۡ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَمَآ أَغۡنَىٰ
عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٥٠ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ
هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ٥١ أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ
أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥٢)
[الزمر: ٤٩-٥٢]

س: اذكر معنى ما يلي:

(مَسَّ -ضُرٌّ -خَوَّلْنَهُ -فِتْنَةٌ -بِمُعْجِزِينَ -يَبْسُطُ -وَيَقْدِرُ).

ج:

الكلمة	معناها
(مَسَّ)	أصحاب
(ضُرٌّ)	بلاء - شدة - فقر - مرض
(خَوَّلْنَهُ)	أعطيناه
(فِتْنَةٌ)	اختبار وابتلاء
(بِمُعْجِزِينَ)	بفائتين - بهاربين
(يَبْسُطُ)	يوسع
(وَيَقْدِرُ)	يضيق

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله: (إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ).

ج: المعنى، والله أعلم، إنما أوتيته بخبرتي وجدي واجتهادي، وقيل: على علمٍ من الله أني أستحق ذلك.

قال القرطبي $:

قال قتادة: (عَلَىٰ عِلْمٍ) عندي بوجوه المكاسب وعنه أيضًا (عَلَىٰ عِلْمٍ) على خير عندي وقيل : (عَلَىٰ عِلْمٍ) أي على علم من الله بفضلي وقال الحسن: (عَلَىٰ عِلْمٍ) أي بعلم علمني الله إياه وقيل : المعنى أنه قال قد علمت أني إذا أوتيت هذا في الدنيا أن لي عند الله منزلة.

❀ ❀ ❀

(١٢٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى الآية الكريمة: (فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، أن الإنسان ـ إلا من رحم الله ـ إذا أصابه ضرٌّ من مرض أو فقر أو شدةٍ أو عُسرٍ أو بلاء تضرع إلى ربه ۵ كي يكشف عنه ما حلَّ به، إذا رفع الله ۵ عنه البلاء وكشفه عنه نسي ربَّه ۵ وإنعامه عليه، وقال إن الذي أنا فيه من النعيم والخيرات والمال قد أتاني باجتهادي وخبرتي ولولا أن الله يعلم أني من أهل الاستحقاق ما أعطانيه فقل لهذا الذي هذا شأنه: بل ما أنت فيه اختبار وابتلاء ابتلاك الله به ليعلم أتشكر أم تكفر ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك، لا يعلمون أن ما بأيديهم من مالٍ وما هم فيه من النعيم ابتلاءٌ واختبار، ثم إن هذه المقولة بعينها الذي قالها هذا الجاحد لنعم ربه ۵ قد قالها أمثاله من الذين أهلكهم الله ۵، فلم تكن أموالهم تنفعهم ولم يكن ما اكتسبوه في دنياهم من بنين وثروات ووجاهات وغير ذلك بنافع لهم لما جحدوا نعم الله ۵ ولم يشكروه بل كفروا.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: فإذا أصاب الإنسان بؤس وشدة دعانا مستغيثًا بنا من جهة ما أصابه من الضر، (ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا) يقول: ثم إذا أعطيناه فرجا مما كان فيه من الضر، بأن أبدلناه بالضر رخاء وسعة، وبالسقم صحة وعافية، فقال: إنما أعطيت الذي أعطيت من الرخاء والسعة في المعيشة، والصحة في البدن والعافية، على علم عندي يعني على علم من الله بأني له أهل لشرفي ورضاه بعملي عندي يعني: فيما عندي، كما يقال:

(١٢٦) أحمر
أسود

أنت محسن في هذا الأمر عندي: أي فيما أظن وأحسب.

وقوله: ﴿أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ﴾ : أي على شرف أعطانيه.

وقوله: ﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: بل عطيتنا إياهم تلك النعمة من بعد الضر الذي كانوا فيه فتنة لهم ، يعني بلاء ابتليناهم به، واختبارا اختبرناهم به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ لجهلهم، وسوء رأيهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ لأي سبب أعطوا ذلك.

يقول تعالى ذكره: قد قال هذه المقالة يعني قولهم: لنعمة الله التي خولهم وهم مشركون: أوتيناه على علم عندنا ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: الذي من قبل مشركي قريش من الأمم الخالية لرسلها، تكذيبا منهم لهم، واستهزاء بهم. وقوله: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ يقول: فلم يغن عنهم حين أتاهم بأس الله على تكذيبهم رسل الله واستهزائهم بهم ما كانوا يكسبون من الأعمال، وذلك عبادتهم الأوثان. يقول: لم تنفعهم خدمتهم إياها، ولم تشفع آلهتهم لهم عند الله حينئذ، ولكنها أسلمتهم وتبرأت منهم.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عن الإنسان أنه في حال الضراء يَضْرَع إلى الله، ٥، وينيب إليه ويدعوه، وإذا خوله منه نعمة بغى وطغى، وقال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ﴾ أي: لما يعلم الله من استحقاقي له، ولولا أني عند الله تعالى خصيص لما خَوَّلني هذا!

قال قتادة: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨] على خيرٍ عندي.

قال الله ٥: ﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ أي: ليس الأمر كما زعموا، بل أنعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره فيما أنعمنا عليه، أيطيع أم يعصي؟ مع علمنا المتقدم

(١٢٧) أحمر
أسود

بذلك، فهي فتنة أي: اختبار، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٩﴾ فلهذا يقولون ما يقولون، ويدعون ما يدعون.

﴿قَدۡ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أي: قد قال هذه المقالة وزعم هذا الزعم وادعى هذه الدعوى، كثير ممن سلف من الأمم ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٥٠﴾ أي: فما صح قولهم ولا منعهم جمعهم وما كانوا يكسبون.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ۝٥١﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، فأصاب من كانوا قبل كفار قريش من الأمم المكذبة المعاندة جزاء أعمالهم السيئة التي اكتسبوها فمنهم من أهلكهم الله بالطوفان ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من خسف الله به الأرض ومنهم من أرسلت عليهم الريح العقيم إلى غير ذلك من صور العذاب التي حلَّت بهم، والذين ظلموا من هؤلاء القرشيين، أهل الشرك والتكذيب منهم سيصيبهم أيضًا العقاب جزاء أعمالهم السيئة التي عملوها، وما هم بفائتين ولا فارِّين ولا هاربين من عذاب الله، وبنحو هذا قال أهل العلم بالتفسير.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ﴾ يقول: فأصاب الذين قالوا هذه المقالة من الأمم الخالية، وبال سيئات ما كسبوا من الأعمال، فعوجلوا بالخزي في دار الدنيا، وذلك كقارون الذي قال حين وعظ ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾

(١٢٨) أحمر
أسود

[القصص: ٧٨]، فخسف الله به وبداره الأرض ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ٨١﴾ [القصص: ٨١] يقول الله ۵ ثناؤه: ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يقول لنبيه محمد ﷺ: والذين كفروا بالله يا محمد من قومك، وظلموا أنفسهم وقالوا هذه المقالة سيصيبهم أيضا وبال ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ كما أصاب الذين من قبلهم بقيلهموها ﴿وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ٥١﴾ يقول: وما يفوتون ربهم ولا يسبقونه هربا في الأرض من عذابه إذا نزل بهم، ولكنه يصيبهم ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢﴾ [الأحزاب: ٦٢]، ففعل ذلك بهم، فأحل بهم خزيه في عاجل الدنيا فقتلهم بالسيف يوم بدر.

وقال الحافظ ابن كثير $:

﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: من المخاطبين ﴿سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ أي: كما أصاب أولئك، ﴿وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ٥١﴾ كما قال تعالى مخبرًا عن قارون أنه قال له قومه: ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨﴾ [القصص: ٧٦-٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥﴾ [سبأ: ٣٥].

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥٢﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أو لم يعلم هؤلاء المكذبون الجاحدون لنعم الله عليهم القائلون لما رزقهم الله ۵ من واسع فضله: إنما أوتيناه على علم عندنا، أو لم يعلم هؤلاء أن الله هو الذي يوسع في الأرزاق لمن يشاء، ويضيق على من يشاء، فكم من شخص أوتي علمًا وفهمًا وهو فقير، وكم من شخص لم يؤت علمًا ولا فهمًا وقد وسعت عليه توسعة عظيمة، فلاله يرزق من يشاء، ويضيق على من يشاء، إن في ذلك لدلالات على قدرة الله ووحدانيته ينتفع بها أهل الإيمان، وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

فقال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: أولم يعلم يا محمد هؤلاء الذين كشفنا عنهم ضرهم، فقالوا: إنما أوتيناه على علم منا، أن الشدة والرخاء والسعة والضيق والبلاء بيد الله، دون كل من سواه ، يبسط الرزق لمن يشاء، فيوسعه عليه، ويقدر ذلك على من يشاء من عباده، فيضيقه، وأن ذلك من حجج الله على عباده، ليعتبروا به ويتذكروا، ويعلموا أن الرغبة إليه والرهبة دون الآلهة والأنداد. (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ) يقول: إن في بسط الله الرزق لمن يشاء، وتقتيره على من أراد لآيات،يعني: دلالات وعلامات (لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾) يعني: يصدقون بالحق، فيقرون به إذا تبينوه وعلموا حقيقته أن الذي يفعل ذلك هو الله دون كل ما سواه.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) أي: يوسعه على قوم ويضيقه على آخرين، (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾) أي: لعبرا

(١٣٠) أحمر
أسود

وحججا.

وقال القرطبي $:

قولـــه تعـــالى : ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥٢﴾ خص المؤمن بالذكر لأنه هو الذي يتدبر الآ يات وينتفع بها ويعلم أن سعة الرزق قد يكون مكرًا واستدراجًا وتقتيرره رفعة وإعظامًا.

❀ ❀ ❀

(١٣١) أحمر

أسود

قال الله تعالى:

(﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ
مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ
إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا
تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن
كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ
ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ
مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم
مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟
بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾) [الزمر: ٥٣-٦١]

(١٣٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ -لَا تَقۡنَطُواْ - وَأَنِيبُوٓاْ -وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ -بَغۡتَةً - أَن تَقُولَ نَفۡسٌ -يَٰحَسۡرَتَىٰ-فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ -ٱلسَّٰخِرِينَ -كَرَّةً -مَثۡوًى -بِمَفَازَتِهِمۡ).

ج:

الكلمة	معناها
(أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ)	أكثروا من الذنوب والمعاصي والكبائر
(لَا تَقۡنَطُواْ)	لا تيأسوا
(وَأَنِيبُوٓاْ)	ارجعوا إلى ربكم وأقبلوا إليه تائبين راجعين عن ذنوبكم
(وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ)	اخضعوا له - استسلموا له
(بَغۡتَةً)	فجأةً
(أَن تَقُولَ نَفۡسٌ)	لكي لا تقول نفس - لئلا تقول نفس
(يَٰحَسۡرَتَىٰ)	يا ندمى
(فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ)	ضعيت أمر الله - خالفت أمر الله
(ٱلسَّٰخِرِينَ)	المستهزئين الساخرين
(كَرَّةً)	رجعة إلى الدنيا
(مَثۡوًى)	مقام ومأوى
(بِمَفَازَتِهِمۡ)	بما سبق من السعادة التي كتبها الله لهم بفضائلهم - بأعمالهم

(١٣٣) أحمر
أسود

س: هل صح لهذه الآية الكريمة: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ...﴾ سبب نزول؟

ج: نعم، صح لها سبب نزول، وهو ما أخرجه البخاري ومسلم[(١)] من حديث ابن عباس ﭬ أن ناسًا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، ثم أتوا محمدًا ﷺ، فقالوا: إن الذي تقول وتدعو لحسن، ولو تخبرنا أنَّ لما عملنا كفارة! فنزل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ [الفرقان: ٦٨]، ونزل: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزمر: ٥٣].

وأخرج الحاكم في المستدرك[(٢)] من حديث عمر ﭬ قال: كنا نقول ما لِمُفْتَتِنٍ توبة وما الله يقابل منه شيئًا فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم المدينة أنزل فيهم: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ والآيات التي بعدها. قال عمر: فكتبتها بيدي في صحيفة وبعثت بها إلى هشام بن العاص. قال هشام بن العاص: فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها حتى قلت: اللهم فهمنيها، قال: فألقى الله تعالى في قلبي أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا، قال: فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو بالمدينة. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم

---

(١) البخاري (٤٨١٠)، ومسلم (١٢٢).
(٢) المستدرك (٢/٤٣٥)، وسنده حسن.

ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في النهي عن اليأس من رحمة الله؟

ج: من ذلك ما يلي:

قولـه تعالى: (۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ...) [الزمر: ٥٣].

وقولـه تعـالى: (ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٨٧) [يوسف: ٨٧].

وقوله تعالى: (وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦) [الحجر: ٥٦].

قال الحافظ ابن كثير $:

ولا يقنطن عبد من رحمة الله، وإن عظمت ذنوبه وكثرت؛ فإن باب التوبة والرحمة واسع، قال الله تعالى: (أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ) [التوبة:١٠٤]، وقال تعالى: (وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١١٠) [النساء:١١٠]، وقال تعالى في حق المنافقين: (إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ۝١٤٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ) [النساء:١٤٥-١٤٦]، وقال: (لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٣) [المائدة:٧٣]، ثم قال: (أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٧٤) [المائدة:٧٤]، وقال: (إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ) [البروج:١٠].

قال الحسن البصري: انظر إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة!.

والآيات في هذا كثيرة جدًّا.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد، عن رسول الله □، حديث الذي قتل تسعًا وتسعين نفسًا، ثم ندم وسأل عابدًا من عُبَّاد بني إسرائيل: هل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله وأكمل به مائة. ثم سأل عالما من علمائهم: هل له من توبة؟ فقال: ومن يحول بينك وبين التوبة؟ ثم أمره بالذهاب إلى قرية يعبد الله فيها، فقصدها فأتاه الموت في أثناء الطريق، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأمر الله أن يقيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيهما كان أقرب فهو منها. فوجدوه أقرب إلى الأرض التي هاجر إليها بشبر، فقبضته ملائكة الرحمة. وذكر أنه نأى بصدره عند الموت، وأن الله أمر البلدة الخيرة أن تقترب، وأمر تلك البلدة أن تتباعد[(١)].

وأورد الحافظ ابن كثير جملة من الأحاديث أيضًا منها حديث رسول الله □: «لولا أنكم تذنبون لخلق الله قومًا يذنبون فيغفر لهم»[(٢)].

❁ ❁ ❁

س: لمن وجه الخطاب في قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ أي: من المعنيون بالعباد؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنهم أهل الشرك الذين أرادوا أن يسلموا ولكن تذكروا وذكروا أمورًا فعلوها في جاهليتهم من قتل وزنا وسرقة وشرب خمر وغير ذلك، فقالوا: كيف نسلم وقد توعدتم يا أهل الإسلام من فعل ذلك بالنار؟ فقيل لهم: لا تيأسوا من رحمة الله أيها القوم فإنكم إن تبتم تاب الله عليكم.

الثاني: وقيل إنها في أهل الكبائر من أهل الإسلام، قالوا: قيِّدت بقوله

(١) البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).
(٢) مسلم (٢٧٤٨)، أحمد (٥/٤١٤) بنحوه.

(١٣٧) أحمر
أسود

تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

وثم أقوال أُخر.

قال الطبري $:

اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بهذه الآية، فقال بعضهم: عني بها قوم من أهل الشرك، قالوا لما دعوا إلى الإيمان بالله: كيف نؤمن وقد أشركنا وزنينا، وقتلنا النفس التي حرم الله، والله يعد فاعل ذلك النار، فما ينفعنا مع ما قد سلف منا الإيمان، فنزلت هذه الآية.

وقال آخرون: بل عني بذلك أهل الإسلام، وقالوا: تأويل الكلام: إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء، قالوا: وهي كذلك في مصحف عبد الله، وقالوا: إنما نزلت هذه الآية في قوم صدهم المشركون عن الهجرة وفتنوهم، فأشفقوا أن لا يكون لهم توبة.

وقال آخرون: نزل ذلك في قوم كانوا يرون أهل الكبائر من أهل النار، فأعلمهم الله بذلك أنه يغفر الذنوب جميعًا لمن يشاء.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى تعالى ذكره بذلك جميع من أسرف على نفسه من أهل الإيمان والشرك، لأن الله عم بقوله: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ جميع المسرفين، فلم يخصص به مسرفا دون مسرف.

فإن قال قائل: فيغفر الله الشرك؟ قيل: نعم إذا تاب منه المشرك. وإنما عنى بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ لمن يشاء، كما قد ذكرنا قبل، أن ابن مسعود كان يقرؤه: وأن الله قد استثنى منه الشرك إذا لم يتب منه صاحبه، فقال: إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فأخبر

(١٣٨) أحمر
أسود

أنه لا يغفر الشرك إلا بعد توبة بقوله: (إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا) [مريم: ٦٠]. فأما ما عداه فإن صاحبه في مشيئة ربه، إن شاء تفضل عليه، فعفا له عنه، وإن شاء عدل عليه فجازاه به.

وأما قوله: (لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ) فإنه يعني: لا تيأسوا من رحمة الله.

وقوله: (إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ) يقول: إن الله يستر على الذنوب كلها بعفوه عن أهلها وتركه عقوبتهم عليها إذا تابوا منها (إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾) بهم، أن يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها.

❀ ❀ ❀

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا رسول الله لعبادي الذين أكثروا من الذنوب والمعاصي والكبائر وأرادوا أن يسلموا وترددوا وامتنعوا عن الإسلام بسبب ما ارتكبوه من الجنايات، قل لهؤلاء لا تيأسوا من رحمة الله فإنكم إذا أسلمتم غفر الله لكم ما كان منكم في جاهليتكم فالإسلام يهدم ما كان قبله، واعلموا أن الله ۵ هو الغفور كثير المغفرة، ورحيم بعباده المؤمنين التوابين.

وأيضًا: يا أهل الإيمان يا من استزلكم الشيطان وأوقعكم في الذنوب والمعاصي والكبائر توبوا إلى الله وارجعوا إليه ولا تيأسوا من رحمته فإنه يغفر الذنوب جميعًا إن شاء ، فهو الغفور الرحيم.

وقد وعد سبحانه أنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.

(١٣٩) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ٥٤﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، وارجعوا إلى ربكم تائبين إليه من ذنوبكم مُقلعين عنها واستسلموا لما يأمركم به ربكم واخضعوا له طواعيةً من قبل أن يحلَّ بكم العذاب فلن تجدوا حينئذٍ وليًّا يتولاكم ولا ناصرًا ينصركم، ولا من يدفع عنكم العذاب.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ يقول: واخضعوا له بالطاعة والإقرار بالدين الحنيفي ﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ من عنده على كفركم به.

﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ٥٤﴾ يقول: ثم لا ينصركم ناصر، فينقذكم من عذابه النازل بكم.

وقال ابن كثير $:

ثم استحث وتعالى عباده إلى المسارعة إلى التوبة، فقال: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ أي: ارجعوا إلى الله واستسلموا له، ﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ٥٤﴾ أي: بادروا بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول النقمة.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ أي اجعوا إليه بالطاعة لما بين أن من تاب من الشرك يغفر له أمر بالتوبة والرجوع إليه والإنابة الرجوع إلى

الله بـالإخلاص ﴿وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ أي اخضـعوا لـه وأطيعـوا ﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ٥٤﴾ أي لا تمنعون من عذابه.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن أحسن ما أُنزل إلينا من ربنا هو القرآن فهو خير كتاب نزل.

وقال آخرون: إذا امتثلنا الأمر واجتنبنا النهي فقد اتبعنا أحسن ما أُنزل إلينا من ربنا ألا وهو امتثال الأمر.

وقال آخرون في بيان ذلك: إن الله أمر بالعدل والإحسان، والعدل منه القصاص، والإحسان العفو، ففي الآية حثٌّ على اتباع الأحسن وهو العفو.

وهذه بعض أقوال العلماء في هذا.

قال القرطبي $:

قولـــه تعـــالى : ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٥٥﴾ ﴿أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ﴾ هـو القـرآن وكله حسن والمعنى ما قال الحسن : التزموا طاعته واجتنبوا معصيته وقال السدي : الأحسن ما أمر الله به في كتابه وقال ابن زيد : يعني المحكمات وكلوا علم المتشابه إلى عالمه وقال : أنزل الله كتابا التوراة والإنجيل والزبور ثم أنزل القرآن وأمر باتباعه فهو الأحسن وهو المعجز وقيل : هذا أحسن لأنه ناسخ قاض على جميع الكتب وجميع الكتب منسوخة وقيل : يعني العفو لأن الله تعالى خير نبيه غ بين العفو والقصاص وقيل : ما علم الله النبي غ وليس بقرآن فهو حسن وما أوحى

إليه من القرآن فهو الأحسن وقيل : أحسن ما أنزل إليكم من أخبار الأمم الماضية.

وقال ابن كثير $:

(وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم) وهو القرآن العظيم.

وقال الطبري $:

وقوله: (وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم) يقول تعالى ذكره: واتبعوا أيها الناس ما أمركم به ربكم في تنزيله، واجتنبوا ما نهاكم فيه عنه، وذلك هو أحسن ما أنزل إلينا من ربنا.

فإن قال قائل: ومن القرآن شيء وهو أحسن من شيء؟ قيل له: القرآن كله حسن، وليس معنى ذلك ما توهمت، وإنما معناه: واتبعوا مما أنزل إليكم ربكم من الأمر والنهي والخبر، والمثل، والقصص، والجدل، والوعد، والوعيد أحسنه أن تأتمروا لأمره، وتنتهوا عما نهى عنه، لأن النهي مما أنزل في الكتاب، فلو عملوا بما نهوا عنه كانوا عاملين بأقبحه، فذلك وجهه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، من قبل أن يحل بكم العذاب فجأة من حيث لا تعلمون ولا تشعرون بمجيئه بل تفاجئون به.

قال الطبري $:

وقوله: (مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ) يقول: من قبل أن يأتيكم

(١٤٢) أحمر
أسود

عذاب الله فجأة ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٥٥﴾ يقول: وأنتم لا تعلمون به حتى يغشاكم فجأة.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝٥٦ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٥٧ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٨ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٩﴾.

ج: المعنى، بادروا بالتوبة والإنابة إلى الله والإسلام له من قبل أن يأتي يومٌ تقول فيه نفس يا ندمى على ما ضيعت من أمر الله ۵، ويا ندمى على عصيانه ويا ندمى فقد كنت من الساخرين المستهزئين بأهل الإيمان، وتقول نفس لو أن الله وفقني للطاعة لكنت ممن اتقوا الشرك، تقول ذلك تندما وتحسرًا وتتمنى نفس أن ترجع إلى الدنيا فتقول لو أن لي كرةً أي: رجعةً إلى الدنيا حتى أعمل بعمل أهل الإحسان وأستقيم.

فقل لهذا الذي تمنى الرجوع إلى الدنيا قد جاءتك في دنياك الحجج والبينات فأنكرتها وجحدتها وتعاليت عليها ورفضتها وكنت لها من الجاحدين، وبنحو هذا قال أهل التأويل.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وأنيبوا إلى ربكم، وأسلموا له ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ﴾ بمعنى لئلا تقول نفس ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ ، وهو نظير قوله: ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ [النحل: ١٥] بمعنى: أن لا تميد بكم، فأن، إذ كان ذلك معناه، في موضع نصب.

(١٤٣) أحمر
أسود

وقوله: (يَٰحَسۡرَتَىٰ) يعني أن تقول: يا ندما.

والألف في قوله: (يَٰحَسۡرَتَىٰ) هي كناية المتكلم، وإنما أريد: يا حسرتي، ولكن العرب تحول الياء فى كناية اسم المتكلم في الاستغاثة ألفا، فتقول: يا ويلتا، ويا ندما، فيخرجون ذلك على لفظ الدعاء، وربما قيل: يا حسرة على العباد، كما قيل: يا لهف، ويا لهفا عليه، وذكر الفراء أن أبا ثروان أنشده:

تزورونها ولا أزور نساءكم ... ألهف لأولاد الإماء الحواطب

خفضا كما يخفض في النداء إذا أضافه المتكلم إلى نفسه، وربما أدخلوا الهاء بعد هذه الألف، فيخفضونها أحيانًا، ويرفعونها أحيانًا، وذكر الفراء أن بعض بني أسد أنشد:

يا رب يا رباه إياك أسل ... عفراء يا رباه من قبل الأجل

خفضًا، قال: والخفض أكثر في كلامهم، إلا في قولهم: يا هناه، ويا هنتاه، فإن الرفع فيها أكثر من الخفض، لأنه كثير في الكلام، حتى صار كأنه حرف واحد.

وقوله: (عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ) يقول على ما ضيعت من العمل بما أمرني الله به، وقصرت في الدنيا في طاعة الله.

وقوله: (وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝٥٦) يقول: وإن كنت لمن المستهزئين بأمر الله وكتابه ورسوله والمؤمنين به.

وأورد الطبري أثر قتادة بسندٍ حسن عنه، وفيه (أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝٥٦) قال: فلم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر بأهل طاعة الله، قال: هذا قول صنف منهم.

(١٤٤) أحمر
أسود

ثم قال الطبري $:

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وأنيبوا إلى ربكم أيها الناس، وأسلموا له، أن لا تقول نفس يوم القيامة: يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله، في أمر الله، وأن لا يقول نفس أخرى: لو أن الله هداني للحق، فوفقني للرشاد لكنت ممن اتقاه بطاعته واتباع رضاه، أو أن لا تقول أخرى حين ترى عذاب الله فتعاينه ﴿لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً﴾ تقول لو أن لي رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ الذين أحسنوا في طاعة ربهم، والعمل بما أمرتهم به الرسل.

ثم أورد الطبري أثر قتادة بسندٍ حسن وفيه: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ ... الآية، قال: هذا قول صنف منهم ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ ... الآية، قال: هذا قول صنف آخر: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ﴾ الآية، يعني بقوله: ﴿لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا، قال: هذا صنف آخر.

ثم قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره مكذبًا للقائل: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾، وللقائل: ﴿لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ : ما القول كما تقولون: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ﴾ أيها المتمني على الله الرد إلى الدنيا لتكون فيها من المحسنين﴿ءَايَٰتِى﴾ يقول: قد جاءتك حججي من بين رسول أرسلته إليك، وكتاب أنزلته يتلى عليك ما فيه من الوعد والوعيد والتذكير

﴿فَكَذَّبْتَ﴾ بآياتي ﴿وَٱسْتَكْبَرْتَ﴾ عن قبولها واتباعها ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٥٩﴾ يقول: وكنت ممن يعمل عمل الكافرين، ويستن بسنتهم، ويتبع منهاجهم.

وقال الحافظ ابن كثير $:

﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ وهو القرآن العظيم، ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٥٥﴾ أي: من حيث لا تعلمون ولا تشعرون.

ثم قال: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ أي: يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة، ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله ٥.

وقوله: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ۝٥٦﴾ أي: إنما كان عملي في الدنيا عمل ساخر مستهزئ غير موقن مصدق .

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٥٧ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٨﴾ أي: تود أن لو أعيدت إلى الدار فتحسن العمل.

وقال:

ولما تمنى أهل الجرائم العَودَ إلى الدنيا، وتحسروا على تصديق آيات الله واتباع رسله، قال: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٥٩﴾ أي: قد جاءتك أيها العبد النادم على ما كان منه آياتي في الدار الدنيا، وقامت حججي عليك، فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها، وكنت من الكافرين بها، الجاحدين لها.

(١٤٦) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: كثيرًا ما يتمنى أهل الكفر لو عادوا إلى الدنيا ليعملوا من الصالحات. دلِّل على ذلك.

ج: من ذلك قول قائلهم: ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۝٥٨﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢٧﴾ **[الأنعام: ٢٧]**.

وقولهم: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ۝١٠٧﴾ **[المؤمنون: ١٠٧]**، إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٦٠﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ويوم القيامة ترى يا رسول الله أهل الكفر والكذب على الله من الزاعمين أن له شريكًا، وكذا الذين زعموا أن عزيرًا ابن الله، والمسيح ابن الله إلى غير ذلك من الكاذبين على الله الذين افتروا عليه الكذب، تراهم، وقد اسودت وجوجههم كعلامة عليهم يوفون بها، فأخبر هؤلاء المتكبرين أن جهنم مقامهم ومسكنهم الذي سيأوون إليه.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى﴾ يا محمد هؤلاء ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ من قومك فزعموا أن له ولدا، وأن له شريكا، وعبدوا آلهة من دونه ﴿وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾.

وقوله: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٦٠﴾ يقول: أليس في جهنم

مأوى ومسكن لمن تكبر على الله، فامتنع من توحيده، والانتهاء إلى طاعته فيما أمره ونهاه عنه.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يخبر تعالى عن يوم القيامة أنه تسود فيه وجوه، وتبيض فيه وجوه، تسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف، وتبيض وجوه أهل السنة والجماعة، قال تعالى هاهنا: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: في دعواهم له شريكا وولدا ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ أي: بكذبهم وافترائهم.

وقوله: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ أي: أليست جهنم كافية لها سجنًا وموئلًا لهم فيها الخزي والهوان، بسبب تكبرهم وتجبرهم وإبائهم عن الانقياد للحق.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، وينجي الله يوم القيامة أهل التوحيد الذين اتقوا الشرك واجتنبوه، ينجيهم الله بما قدَّره لهم من السعادة وبما سبق في علمه بأنهم السعداء ولا يصيبهم أذى ولا حزن بل هم آمنون مطمئنون.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وينجي الله من جهنم وعذابها، الذين اتقوه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه في الدنيا، بمفازتهم: يعني بفوزهم، وهي مفعلة منه.

وقوله: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ يقول تعالى ذكره: لا يمس المتقين من أذى جهنم شيء، وهو السوء الذي أخبر جل ثناؤه أنه لن

يمسهم، ولا هم يحزنون، يقول: ولا هم يحزنون على ما فاتهم من آراب الدنيا، إذ صاروا إلى كرامة الله ونعيم الجنان.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ) أي: مما سبق لهم من السعادة والفوز عند الله، (لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ) أي: يوم القيامة، (وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦١) أي: ولا يحزنهم الفزع الأكبر، بل هم آمنون من كل فَزَع، مزحزحون عن كل شر، مُؤمَلون كل خير .

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ) أي: بنجاتهم، وذلك لأن معهم آلة النجاة، وهي تقوى الله تعالى، التي هي العدة عند كل هول وشدة. (لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ) أي: العذاب الذي يسوؤهم (وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦١) فنفى عنهم مباشرة العذاب وخوفه، وهذا غاية الأمان.

فلهم الأمن التام، يصحبهم حتى يوصلهم إلى دار السلام، فحينئذ يأمنون من كل سوء ومكروه، وتجري عليهم نضرة النعيم، ويقولون (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤) [فاطر: ٣٤].

❀ ❀ ❀

(١٤٩) أحمر
أسود

(١٥٠) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ قُلۡ
أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن
قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ
وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا
قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ
إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨ وَأَشۡرَقَتِ
ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم
بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٩﴾ [الزمر: ٦٢-٦٩]

(١٥١) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(وَكِيلٌ -مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ -لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ - فَصَعِقَ -وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ).

ج:

الكلمة	معناها
(وَكِيلٌ)	قائم عليه بالحفظ والرعاية وقائم بأمور كل شيء
(مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ)	مفاتيح خزائن السموات والأرض
(لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ)	ليذهبن ثواب عملك
(فَصَعِقَ)	فمات
(وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ)	وجيء بكتاب الأعمال (الذي كتبت فيه أعمال العباد) كل له كتاب

❀ ❀ ❀

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: (لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ).

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾).

[الحجر: ٢١]

وقوله تعالى: (وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٧﴾).

[المنافقون: ٧]

❀ ❀ ❀

(١٥٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الأشياء كلها خلقها الله ٥ وهو سبحانه وتعالى القائم بأمورها جميعًا يصرف الأمور كيف يشاء وكيف يريد، وخزائن كل شيء في السموات والأرض بيده ٥، يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، وأهل الكفر الذين يجحدون هذا، ويجحدون آيات الله المنزلة هم الذين خسروا أنفسهم وأنزلوها أسوأ المنازل بجحدهم وحدانية الله ٥ وقدرته، واتجاههم إلى غير الله ٥ يسألونه ويرجونه.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ يقول تعالى ذكره: الله الذي له الألوهة من كل خلقه الذي لا تصلح العبادة إلا له، خالق كل شيء، لا ما لا يقدر على خلق شيء، وهو على كل شيء وكيل ، يقول: وهو على كل شيء قيم بالحفظ والكلاءة.

يقول تعالى ذكره: له مفاتيح خزائن السموات والأرض، يفتح منها على من يشاء، ويمسكها عمن أحب من خلقه، واحدها: مقليد. وأما الإقليد: فواحد الأقاليد.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣﴾ يقول تعالى ذكره: والذين كفروا بحجج الله فكذبوا بها وأنكروها، أولئك هم المغبونون حظوظهم من خير السموات التي بيده مفاتيحها، لأنهم حرموا

ذلك كله في الآخرة بخلودهم في النار، وفي الدنيا بخذلانهم عن الإيمان بالله ﻫ.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يخبر تعالى أنه خالق الأشياء كلها، وربها ومليكها والمتصرف فيها، وكل تحت تدبيره وقهره وكلاءته .

وقوله: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ ، قال مجاهد: المقاليد هي: المفاتيح بالفارسية. وكذا قال قتادة، وابن زيد، وسفيان ابن عيينة.

وقال السدي: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ أي: خزائن السموات والأرض.

والمعنى على كلا القولين: أن أزمَّة الأمور بيده، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير؛ ولهذا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: حججه وبراهينه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣﴾.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، قل يا رسول الله لأهل الشرك هؤلاء الذين عبدوا مع الله إلهًا آخر وجهلوا قدر بهم سبحانه، وكانوا أجهل الجهلاء بشركهم بالله خالقهم قل لهم أتدعونني إلى عبادة إلهٍ غير الله يا أهل الجهل؟!!

إنكم تقرون لله بأنه خالقكم وارزقكم ومحييكم ومميتكم، فكيف

تدعونني إلى عبادة غيره؟

ثم تحذير للأمة في صورة نبيها وتحذير للجميع، ولقد أوحي إليك يا رسول الله لئن أشركت بالله ما لم يُنزل به سلطانًا ليذهبن ثواب كل عملك الذي عملته من صالح الأعمال ولتكونن من الذين خسروا أنفسهم وأنزلوها أسوأ المنازل، الجحيم والعياذ بالله.

ولقد أوحي إلى الذين من قبلك نحو هذا أيضًا.

قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨﴾ **[الأنعام: ٨٨]**، ثم يحث ربنا سبحانه وتعالى نبينا محمدًا على عبادة الله وحده لا شريك له والإخلاص له ٥ فيقول: بل الله فاعبد وكن من الشاكرين.

أي: اعبد الله وحده لا شريك له وكن حامدًا لله شاكرًا له نعمائه.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد لمشركي قومك، الداعيك إلى عبادة الأوثان: ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ﴾ أيها الجاهلون بالله ﴿تَأۡمُرُوٓنِّيٓ﴾ أن ﴿أَعۡبُدُ﴾ ولا تصلح العبادة لشيء سواه. واختلف أهل العربية في العامل، في قوله: ﴿أَفَغَيۡرَ﴾ النصب، فقال بعض نحويي البصرة: قل أفغير الله تأمروني، يقول: أفغير الله أعبد تأمروني، كأنه أراد الإلغاء، والله أعلم، كما تقول: ذهب فلان يدري، حمله على معنى. فما يدري. وقال بعض نحويي الكوفة: «غير» منتصبة بأعبد، وأن تحذف وتدخل، لأنها علم للاستقبال، كما تقول: أريد أن أضرب، وأريد أضرب، وعسى أن أضرب، وعسى أضرب، فكانت في طلبها الاستقبال، كقولك: زيدا سوف أضرب، فلذلك حذفت وعمل ما بعدها فيما قبلها، ولا حاجة بنا إلى اللغو.

(١٥٥) أحمر
أسود

وقولــه: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾ يقـول تعـالى ذكـره: ولقـد أوحـى إليك يـا محمـد ربـك، وإلـى الـذين مـن قبلـك مـن الرسـل ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ يقول: لـئن أشـركت بـالله شـيئا يـا محمـد، ليـبطلن عملـك، ولا تنال به ثوابا، ولا تدرك جزاء إلا جزاء من أشرك بالله، وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم.. ومعنى الكلام: ولقد أوحـي إليك لـئن أشـركت ليحـبطن عملك، ولتكونن من الخاسرين، وإلى الذين مـن قبلـك، بمعنـى: وإلـى الـذين من قبلك من الرسل من ذلك، مثل الذي أوحي إليك منـه، فاحذر أن تشـرك بـالله شيئا فتهلك.

ومعنى قوله: ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٦٥﴾ ولتكونن من الـهالكين بالإشـراك بـالله إن أشركت به شيئًا.

وقال الطبري أيضًا:

يقـول تعـالى ذكـره لنبيـه محمـد ﷺ: لا تعبـد مـا أمـرك بـه هـؤلاء المشركون من قومك يا محمد بعبادته، بل الله فاعبد دون كل مـا سـواه مـن الآلـهـة والأوثـان والأنـداد ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦﴾ لله علـى نعمتـه عليـك بمـا أنعم من الهدايـة لعبادتـه، والبـراءة مـن عبـادة الأصـنام والأوثـان. ونصـب اسـم الله بقولـه: ﴿فَٱعۡبُدۡ﴾ وهـو بعـده، لأنـه رد الكـلام، ولـو نصـب بمضـمر قبله، إذا كانت العرب تقول: زيد فليقم. وزيـدًا فليقم. رفعًـا ونصـبًا، الرفـع علـى فلينظر زيـد، فليقم، والنصـب علـى انظـروا زيـدًا فليقم. كـان صـحيحًا جائزًا.

وقال ابن كثير $:

وقولــه: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦﴾ أي: أخلــص العبــادة لله

وحده، لا شريك له، أنت ومن معك، أنت ومن اتبعك وصدقك.

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾ لله على توفيق الله تعالى، فكما أنه تعالى يشكر على النعم الدنيوية، كصحة الجسم وعافيته، وحصول الرزق وغير ذلك، كذلك يشكر ويثنى عليه بالنعم الدينية، كالتوفيق للإخلاص، والتقوى، بل نعم الدين، هي النعم على الحقيقة، وفي تدبر أنها من الله تعالى والشكر لله عليها، سلامة من آفة العجب التي تعرض لكثير من العاملين، بسبب جهلهم، وإلا فلو عرف العبد حقيقة الحال، لم يعجب بنعمة تستحق عليه زيادة الشكر.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤﴾ سبب نزل؟

ج: لم يثبت لها سبب نزول بسندٍ صحيح.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾.

ج: قال بعض أهل العلم: إن المعنى، وما عظَّموا الله حق تعظيمه.

وقال آخرون: جهلوا أن الله على كل شيء قدير.

ووجه آخر واردٌ أيضًا لما قالوا ما أنزل الله على بشرٍ من شيء ما علموا عن حكمة الله كبير علم.

وأيضًا ما عظموا الله حق تعظيمه لما عبدوا معه إلهًا آخر.

هذا، وقد أخرج البخاري ومسلم[(١)] من حديث ابن مسعود ﭬ قال: جاء حبر إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أو يا أبا القاسم إن الله تعالى يمسك السموات يوم القيامة على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك. أنا الملك. فضحك رسول الله ﷺ تعجبًا مما قال الحبر. تصديقًا له. ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ يقول تعالى ذكره: وما عظم الله حق عظمته، هؤلاء المشركون بالله، الذين يدعونك إلى عبادة الأوثان.

وقال ابن كثير $:

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ أي: وما قدر المشركون الله حق قدره، حين عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: والأرض كلها قبضته في يوم القيام ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ كلها ﴿مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ﴾ فالخبر عن الأرض متناه عند قوله: يوم القيامة، والأرض مرفوعة بقوله: ﴿قَبْضَتُهُۥ﴾، ثم استأنف الخبر عن السموات، فقال: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ﴾ وهي مرفوعة بمطويات.

---

(١) البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).

(١٥٨) أحمر
أسود

قال:

وكان ابن عباس يقول: إنما يستعين بشماله المشغولة يمينه، وإنما الأرض والسموات كلها بيمينه، وليس في شماله شيء.

قلت (مصطفى): وفي سنده عند الطبري ضعف.

وأورد الطبري جملة من الآثار بذلك.

وقال: وقال آخرون: بل السموات في يمينه والأرضون في شماله.

قال السعدي $:

يقول تعالى: وما قدر هؤلاء المشركون ربهم حق قدره، ولا عظموه حق تعظيمه، بل فعلوا ما يناقض ذلك، من إشراكهم به من هو ناقص في أوصافه وأفعاله، فأوصافه ناقصة من كل وجه، وأفعاله ليس عنده نفع ولا ضر، ولا عطاء ولا منع، ولا يملك من الأمر شيئًا.

فسووا هذا المخلوق الناقص بالخالق الرب العظيم، الذي من عظمته الباهرة، وقدرته القاهرة، أن جميع الأرض يوم القيامة قبضة للرحمن، وأن السماوات - على سعتها وعظمها - مطويات بيمينه، فلا عظمه حق عظمته من سوَّى به غيره، ولا أظلم منه.

(سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧) أي: تنزه وتعاظم عن شركهم به.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ).

ج: لأهل العلم هنا أقوال:

أحدها: أن السموات والأرض كلتاهما بيد الله ۵ اليمنى ويده الأخرى

ليس فيها شيء.

والثاني: أن السموات بيده اليمنى والأرض بيده الشمال.

الثالث: إمضاء الآية على ظاهرها، فالأرض جميعها (قيل: المراد الأرضون السبع) ﴿قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾. وإلى هنا وقف ثم قال: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ أي: أن السموات بيمينه والأرض قبضته ويسكت على هذا إلا أنه قد جاء من سنة النبي ﷺ ما قد يوضح المراد - أسوقها مع التنبيه على أن ذكر الشمال قد ورد في صحيح مسلم(١) من طريق عمر بن حمزة عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**يطوي الله ﻷ السموات يوم القيامة. ثم يأخذهم بيده اليمنى. قم يقول: أنا الملك. أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرض بشماله. ثم يقول: أنا الملك. أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**».

وفي سنده عمر بن حمزة متكلم فيه.

وقد عقبه مسلم بطريق أبي حازم عن عبيد الله بن مقسم، أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكي رسول الله ﷺ قال: «**يأخذ الله ﻷ سماواته وأرضه بيديه. فيقول: أنا الله. (ويقبض أصابعه ويبسطها) أنا الملك**» حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إني لأقول: أساقط هو برسول الله ﷺ؟

وفي رواية: عن عبد الله بن عمر قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر، وهو يقول: «**يأخذ الجبار، ﻷ، سماواته وأرضه بيديه**» ثم ذكر.

---

(١) مسلم (٢٧٨٨).

(١٦٠) أحمر
أسود

وعند البخاري [(١)] من حديث أبي هريرة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟».

وأخرج البخاري [(٢)] أيضًا من حديث ابن عمر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السماوات بيمينه ثم يقول: أنا الملك».

وعند مسلم [(٣)] أيضًا عن عبد الله بن مسعود قال: جاء حَبرٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أو يا أبا القاسم إن الله تعالى يمسك السموات يوم القيامة على إصبع والأرضين على إصبع والجبال والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ تعجبًا مما قال الحبر تصديقًا له ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٦٧﴾ [الزمر: ٦٧].

❀ ❀ ❀

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾ سبب نزول؟

ج: أخرج أحمد [(٤)] بسندٍ صحيح عن عبد الله (وهو ابن مسعود) ﵁ قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من أهل الكتاب فقال: يا أبا القاسم أبلغظ أن الله ﵎ يحمل الخلائق على إصبع والسموات

---

(١) البخاري (٤٨١٢)، ومسلم (٢٧٨٧).
(٢) البخاري (٧٤١٢).
(٣) البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).
(٤) أحمد في المسند (٣٧٨/١)، وغيره.

على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع، والثرى على إصبع، فضحك النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى بدت نواجذه فأنزل الله ۵: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ الآية.

قلت: كذا روى أحمد $ وغيره لكن ظني أن مرد هذا إلى الحديث السابق، وفيه.. ثم قرأ، وليس فيه فأنزل، فأرى قوله: ثم قرأ، أصح من قول: ثم أنزل، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، تنزه ربنا وتعالى عما يصفه به الواصفون المشركون من الأشياء التي يصفونه بها ولا يليق به سبحانه وتعالى.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ يقول تعالى ذكره تنزيهًا وتبرئة لله، وعلوًّا وارتفاعًا عما يشرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد، القائلون لك: اعبد الأوثان من دون الله، واسجد لآلهتنا.

❁ ❁ ❁

س: من الذين استثناهم الله بقوله: ﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾؟

ج: قيل: إنهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وقيل: إنهم الشهداء.

وقد وردت في ذلك بعض الأحاديث الضعيفة لا أرى شيئًا منها ثابتًا.

وقد أخرج البخاري ومسلم(١) **في صحيحهما من حديث أبي هريرة قال:** بينما يهود يعرض سلعة له أُعطي بها شيئًا، كرهه أو لم يرضه -

(١) البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٣).

شك عبد العزيز - قال: لا، والذي اصطفى موسى غ على البشر. قال: فسمعه رجل من الأنصار فلطم وجهه، قال: تقول: والذي اصطفى موسى غ على البشر ورسول الله بين أظهرنا؟ قال: فذهب اليهودي إلى رسول الله ، فقال: يا أبا القاسم إن لي ذمَّة وعهدًا، وقال: فلان لطم وجهي، فقال رسول الله : «**لم لطمت وجهه؟**»، قال: قال يا رسول الله: والذي اصطفى موسى غ على البشر وأنت بين أظهرنا. قال: فغضبت رسول الله حتى عُرف الغضب في وجهه، ثم قال: «**لا تُفَضِّلوا بين أنبياء الله، فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله** - قال - **ثم ينفخ فيه أخرى، فأكون أول من بعث** - أو **في أول من بعث** - **فإذا موسى** غ **آخذٌ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور أو بعث قبلي ولا أقول: إن أحدًا أفضل من يونس بن متى** غ».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

ج: قال الطبري $ في تفسيرها:

وقوله: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ يقول: فإذا من صعق عند النفخة التي قبلها وغيرهم من جميع خلق الله الذين كانوا أمواتا قبل ذلك قيام من قبورهم وأماكنهم من الأرض أحياء كهيئتهم قبل مماتهم ينظرون أمر الله فيهم.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عن هول يوم القيامة، وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة، فقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي

ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ) ، هذه النفخة هي الثانية، وهي نفخة الصعق، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض، إلا من شاء الله كما هو مصرح به مفسرًا في حديث الصور المشهور. ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت، وينفرد الحي القيوم الذي كان أولا وهو الباقي آخرًا بالديمومة والبقاء، ويقول: (لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ) [غافر:١٦] ثلاث مرات. ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول: (لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦) أي: الذي هو واحد وقد قهر كل شيء، وحكم بالفناء على كل شيء. ثم يحيي أول من يحيي إسرافيل، ويأمره أن ينفخ في الصور أخرى، وهي النفخة الثالثة نفخة البعث، قال تعالى: (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨) أي: أحياء بعد ما كانوا عظامًا ورفاتًا، صاروا أحياء ينظرون إلى أهوال يوم القيامة، كما قال تعالى: (فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ١٤) [النازعات:١٣-١٤]، وقال تعالى: (يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ٥٢) [الإسراء:٥٢]، وقال تعالى: (وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ ٢٥) [الروم:٢٥].

وأورد حديث عزاه لأحمد ومسلم (١) من طريق يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود قال: سمعت رجلا قال لعبد الله بن عمرو: إنك تقول: الساعة تقوم إلى كذا وكذا؟ قال: لقد هممت ألا أحدثكم شيئا، إنما قلت: سترون بعد قليل أمرا عظيما. ثم قال عبد الله بن عمرو: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج الدجال في أمتي، فيمكث فيهم أربعين-لا أدري أربعين يوما أو**

(١) مسلم (٢٩٤٠)، وأحمد (١٦٦/٢)، واللفظ له.

(١٦٤) أحمر
أسود

أربعين عاما أو أربعين شهرا أو أربعين ليلة -فيبعث الله عيسى ابن مريم، كأنه عروة بن مسعود الثقفي، فيظهر فيهلكه الله. ثم يلبث الناس بعده سنين سبعا ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام، فلا يبقى أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدهم كان في كبد جبل لدخلت عليه». قال: سمعتها من رسول الله □: «ويبقى شرار الناس في خفة الطير، وأحلام السباع، لا يعرفون معروفا، ولا ينكرون منكرا». قال: «فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيأمرهم بالأوثان فيعبدونها، وهم في ذلك دارة أرزاقهم، حسن عيشهم. ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى له، وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه، فيصعق، ثم لا يبقى أحد إلا صعق. ثم يرسل الله -أو: ينزل الله مطرا كأنه الطل-أو الظل شك نعمان -فتنبت منه أجساد الناس. ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس، هلموا إلى ربكم: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾) [الصافات: ٢٤]، قال: «ثم يقال: أخرجوا بعث النار». قال: «فيقال: كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فيومئذ تبعث الولدان شيبًا، ويومئذ يكشف عن ساق».

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : (فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾) أي فإذا الأموا من أهل الأرض والسماء أحياء بعثوا من قبورهم وأعيدت إليهم أبدانهم وأرواحهم فقاموا ينظرون ماذا يؤمرون وقيل : قيام على أرجلهم ينظرون إلى البعث الذي وعدوا به وقيل : هذا النظر بمعنى الانتظار أي ينتظرون ما يفعل لهم

(١٦٥) أحمر
أسود

وأجاز الكسائي قيامًا بالنصب كما تقول: خرجت فإذا زيد جالسًا.

❁ ❁ ❁

س: قدر كم بين النفختين؟

ج: أخرج البخاري ومسلم[(١)] من حديث أبي هريرة ﭬ عن النبي ﷺ قال: «**بين النفختين أربعون**»، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يومًا؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت. «**ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عَجْبُ ذَنَبِه فيه يركب الخلق**».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٩ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٧٠﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، وأضاءت الأرض بنور ربها وجيء بكتب الأعمال التي كتبت فيها أعمال العباد وجيء بالنبيين والشهداء ليشهدوا على الأمم، وقضى الله ﻷ بين العباد بالحق فلا يبخس عاملٌ من حقه شيئًا، بل وفيت كل نفس ثواب ما عملته وربي سبحانه وتعالى أعلم بما يفعلون.

قال الحافظ ابن كثير ؒ:

وقوله: ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ أي: أضاءت يوم القيامة إذا تجلى الحق، تبارك وتعالى، للخلائق لفصل القضاء، ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ قال قتادة: كتاب الأعمال، ﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ قال ابن عباس: يشهدون على الأمم بأنهم

---

(١) البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥).

(١٦٦) أحمر
أسود

بلغوهم رسالات الله إليهم، ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ أي: الشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خير وشر، ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ قال الله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء:٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠]، ولهذا قال: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي: من خير أو شر ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

وقال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: فأضاءت الأرض بنور ربها، يقال: أشرقت الشمس. إذا صفت وأضاءت، وأشرقت: إذا طلعت، وذلك حين يبرز الرحمن لفصل القضاء بين خلقه.

وقوله: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ يقول: وجيء بالنبيين ليسألهم ربهم عما أجابتهم به أممهم، وردت عليهم في الدنيا، حين أتتهم رسالة الله، والشهداء، يعني بالشهداء: أمة محمد □ ، ويستشهدهم ربهم على الرسل، فيما ذكرت من تبليغها رسالة الله التي أرسلهم بها ربهم إلى أممها، إذ جحدت أممهم أن يكونوا أبلغوهم رسالة الله، والشهداء: جمع شهيد، وهذا نظير قول الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وقيل: عنى بقوله: (الشهداء) : الذين قتلوا في سبيل الله، وليس لما قالوا من ذلك في هذا الموضع كبير معنى، لأن عقيب قوله: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ ، وفي ذلك دليل

واضح على صحة ما قلنا من أنه إنما دعى بالنبيين والشهداء للقضاء بين الأنبياء وأممها، وأن الشهداء إنما هي جمع شهيد، الذين يشهدون للأنبياء على أممهم كما ذكرنا.

وقوله: (وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ) يقول تعالى ذكره: وقضي بين النبيين وأممها بالحق، وقضاؤه بينهم بالحق، أن لا يحمل على أحد ذنب غيره، ولا يعاقب نفسا إلا بما كسبت.

وقال $:

يقول تعالى ذكره: ووفى الله حينئذ كل نفس جزاء عملها من خير وشر، وهو أعلم بما يفعلون في الدنيا من طاعة أو معصية، ولا يعزب عنه علم شيء من ذلك، وهو مجازيهم عليه يوم القيامة، فمثيب المحسن بإحسانه، والمسيء بما أساء.

وقال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

اختلف العلماء في المراد بالشهداء في هذه الآية الكريمة، فقال بعضهم: هم الحفظة من الملائكة الذين كانوا يحصون أعمالهم في الدنيا. واستدل من قال هذا بقوله تعالى: (وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾) **[ق: ٢١]**.

وقال بعض العلماء: الشهداء: أمة محمد □ ، يشهدون على الأمم، كما قال تعالى: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ) **[البقرة: ١٤٣]**.

وقيل: الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله، وأظهر الأقوال في الآية

(١٦٨) أحمر
أسود

عندي: أن الشهداء هم الرسل من البشر، الذين أرسلوا إلى الأمم، لأنه لا يقضي بين الأمة حتى يأتي رسولها، كما صرح تعالى بذلك في سورة يونس في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [يونس: ٤٧]، فصرح جل وعلا بأنه يسأل الرسل عما أجابتهم به أممهم، كما قال تعالى: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف: ٦]. وقد يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١]؛ لأن كونه ﷺ هو الشهيد على هؤلاء الذين هم أمته، يدل على أن الشهيد على كل أمة هو رسولها.

وقد بين تعالى أن الشهيد على كل أمة من أنفس الأمة، فدل على أنه ليس من الملائكة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [النحل: ٨٩]، والرسل من أنفس الأمم كما قال تعالى في نبينا محمد ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤] الآية.

والمسوغ للإيجاز بحذف الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ هو: أنه من المعلوم الذي لا نزاع فيه، أنه لا يقدر على المجيء بهم إلا الله وحده جلَّ وعلا.

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(١٦٩) أحمر
أسود

(وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا) علم من هذا، أن الأنوار الموجودة تذهب يوم القيامة وتضمحل، وهو كذلك، فإن الله أخبر أن الشمس تكور، والقمر يخسف، والنجوم تندثر، ويكون الناس في ظلمة، فتشرق عند ذلك الأرض بنور ربها، عندما يتجلى وينزل للفصل بينهم، وذلك اليوم يجعل الله للخلق قوة، وينشئهم نشأة يَقْوَوْنَ على أن لا يحرقهم نوره، ويتمكنون أيضا من رؤيته، وإلا فنوره تعالى عظيم، لو كشفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

(وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ) أي: كتاب الأعمال وديوانه، وضع ونشر، ليقرأ ما فيه من الحسنات والسيئات، كما قال تعالى: (وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾) [الكهف: ٤٩]، ويقال للعامل من تمام العدل والإنصاف: (ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾) [الإسراء: ١٤].

(وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ) ليسألوا عن التبليغ، وعن أممهم، ويشهدوا عليهم. (وَٱلشُّهَدَآءِ) من الملائكة، والأعضاء والأرض. (وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ) أي: العدل التام والقسط العظيم، لأنه حساب صادر ممن لا يظلم مثقال ذرة، ومن هو محيط بكل شيء، وكتابه الذي هو اللوح المحفوظ، محيط بكل ما عملوه، والحفظة الكرام، والذين لا يعصون ربهم، قد كتبت عليهم ما عملوه، وأعدل الشهداء قد شهدوا على ذلك الحكم، فحكم بذلك من يعلم مقادير الأعمال ومقادير استحقاقها للثواب والعقاب.

(١٧٠) أحمر
أسود

فيحصل حكم يقر به الخلق، ويعترفون لله بالحمد والعدل، ويعرفون به من عظمته وعلمه وحكمته ورحمته ما لم يخطر بقلوبهم، ولا تعبر عنه ألسنتهم، ولهذا قال: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

❁ ❁ ❁

(١٧١) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٧٠ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ
أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ
هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ
أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢ وَسِيقَ
ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ
لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣ وَقَالُواْ
ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ
نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٧٤ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ
يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٥)

[الزمر: ٧٠-٧٥]

س: اذكر معنى ما يلي:

(وَسِيقَ -زُمَرًا - خَزَنَتُهَآ - وَيُنذِرُونَكُمْ -حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ -مَثْوَى - طِبْتُمْ - صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ -نَتَبَوَّأُ - فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ -حَآفِّينَ -يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ).

ج:

الكلمة	معناها
(وَسِيقَ)	حُشر - جُمع - دُفِعَ
(زُمَرًا)	جماعات جماعات
(خَزَنَتُهَآ)	القائمون عليها - البوابون الذين يقومون بأمرها
(وَيُنذِرُونَكُمْ)	يخوفونكم
(حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ)	تحقق فيهم ما قضاه الله عليهم وما كتبه الله عليهم قبل أن يخلقوا
(مَثْوَى)	مكان - مستقر
(طِبْتُمْ)	طابت أعمالكم في دنياكم - فطاب عيشكم في أخراكم - كنتم طيبين فدام طيبكم
(صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ)	أنجز لنا ما وعدنا
(نَتَبَوَّأُ)	نسكن - ننزل
(فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ)	نعم الثواب الذي أُعد للمطيعين
(حَآفِّينَ)	محدقين - محيطين

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾	يصلون - يقولون: سبحان الله

س: كم باب للنار ـ أعاذنا الله منها؟

ج: للنار سبعة أبواب، قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ٤٣-٤٤].

❀ ❀ ❀

س: اذكر ما يبين أن دخول النار على مراحل.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧١].

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [الملك: ٨].

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ [ص: ٥٩].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨].

إلى غير ذلك من الأدلة.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ...﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وجمع الذين كفروا يوم القيامة ودفعوا

(١٧٤) أحمر
أسود

إلى جهنم دفعًا شديدًا كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ١٣﴾ [الطور: ١٣]، دفعوا إليها جماعات جماعات الأشد إجرامًا أولًا ثم الذين يلونهم في الإجرام جماعات جماعات أيضًا، كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ٦٨ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ٦٩﴾ [مريم: ٦٨-٦٩]، فيدفعون إلى جهنم فإذا وصلوا إليها فتحت أبوابها لاستقبالهم استقبالًا سيئًا بشعًا مخيفًا مروعًا مُهولًا ويستقبلهم الخزان بالتوبيخ والتأنيب قائلين لهم ألم يأتكم في الدنيا رسلٌ منكم أيها البشر، بشرٌ مثلكم يتلون عليكم آيات الله التي تعرفكم بمراده وأحكامه والدالة على توحيده بمراده وأحكامه والدالة على توحيده والتي تحذركم من العذاب الذي ستلقونه في يومكم هذا، تحذركم من مثل هذا الذي ترونه الآن، فيجيب أهل الكفر معترفين مُقرين ﴿بَلَىٰ﴾ أي: قد جاءتنا الرسل وحذرتنا وخوفتنا، ولكن تم ما قضاه الله ووقع ما قدَّره الله ٥، فقد كتب عليهم الشقاوة وأنهم سيدخلون النار فلا مفر ولا محيص عنها، وذلك لأعمالهم السيئة التي ارتكبوها وللجنايات التي اجتنوها وشركهم الذي أشركوا.

فحينئذٍ يقال لهم: ادخلوا أبواب جهنم خالدين في جهنم أبد الآبدين لا تخرجون منها ولا تموتون فيها فبئس المقام الذي ستقيمون فيه بئس المقام مقام أهل الكبر والتعالي على الله ورفض الحق.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ يقول: وحشر الذين كفروا بالله

(١٧٥) أحمر
أسود

إلى ناره التي أعدها لهم يوم القيامة جماعات، جماعة جماعة، وحزبا حزبا.

وقوله: ﴿إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ السبعة ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ﴾ قوامها: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ﴾ يعني: كتاب الله المنزل على رسله وحججه التي بعث بها رسله إلى أممهم ﴿وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾ يقول: وينذرونكم ما تلقون في يومكم هذا ، وقد يحتمل أن يكون معناه: وينذرونكم مصيركم إلى هذا اليوم. قالوا: بلى: يقول: قال الذين كفروا مجيبين لخزنة جهنم: بلى قد أتتنا الرسل منا، فأنذرتنا لقاءنا هذا اليوم ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١﴾ يقول: قالوا: ولكن وجبت كلمة الله أن عذابه لأهل الكفر به علينا بكفرنا به.

يقول تعالى ذكره: فتقول خزنة جهنم للذين كفروا حينئذ: ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ السبعة على قدر منازلكم فيها ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ يقول: ماكثين فيها لا ينقلون عنها إلى غيرها. ﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢﴾ يقول: فبئس مسكن المتكبرين على الله في الدنيا، أن يوحدوه ويفردوا له الألوهة، جهنم يوم القيامة.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يخبر تعالى عن حال الأشقياء الكفار كيف يساقون إلى النار؟ وإنما يساقون سوقًا عنيفًا بزجر وتهديد ووعيد، كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ١٣﴾ [الطور:١٣] أي: يدفعون إليها دفعًا. هذا وهم عطاش ظماء، كما قال في الآية الأخرى: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ٨٥ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ٨٦﴾ [مريم: ٨٥-٨٦]. وهم في تلك الحال صُمٌّ وبكم وعمي، منهم من

يمشي على وجهه، ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء:٩٧].

وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ أي: بمجرد وصولهم إليها فتحت لهم أبوابها سريعًا، لتعجل لهم العقوبة، ثم يقول لهم خزنتها من الزبانية - الذين هم غلاظ الأخلاق، شداد القوى على وجه التقريع والتوبيخ والتنكيل-: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ أي: من جنسكم تتمكنون من مخاطبتهم والأخذ عنهم، ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾ أي: يقيمون عليكم الحجج والبراهين على صحة ما دعوكم إليه، ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي: ويحذرونكم من شر هذا اليوم؟ فيقول الكفار لهم: ﴿بَلَىٰ﴾ أي: قد جاءونا وأنذرونا، وأقاموا علينا الحجج والبراهين، ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ أي: ولكن كذبناهم وخالفناهم، لما سبق إلينا من الشَّقْوة التي كنا نستحقها حيث عَدَلْنا عن الحق إلى الباطل، كما قال تعالى مخبرًا عنهم في الآية الأخرى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [الملك:٨-١٠]، أي: رجعوا على أنفسهم بالملامة والندامة ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك:١١] أي: بعدًا لهم وخسارًا .

وقوله هاهنا: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: كل من رآهم وعلم حالهم يشهد عليهم بأنهم مستحقون للعذاب؛ ولهذا لم يسند هذا القول إلى قائل معين، بل أطلقه ليدل على أن الكون شاهد عليهم بأنهم مستحقون

ما هم فيه بما حكم العدل الخبير عليهم به؛ ولهذا قال جل وعلا: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ أي: ماكثين فيها لا خروج لكم منها، ولا زوال لكم عنها، ﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢﴾ أي: فبئس المصير وبئس المقيل لكم، بسبب تكبركم في الدنيا، وإبائكم عن اتباع الحق، فهو الذي صيركم إلى ما أنتم فيه، فبئس الحال وبئس المآل .

قال القرطبي $:

قوله تعالى : ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ﴾ هذا بيان توفية كل نفس عملها فيساق الكافر إلى النار والمؤمن إلى الجنة والزمر : الجماعات واحدتها زمرة كظلمة وغرفة وقال الأخفش و أبو عبيدة : ﴿زُمَرًاۖ﴾ جماعات متفرقة بعضها إثر بعض قال الشاعر :

وترى الناس إلى منزله زمرًا تنتابه بعد زمر

وقال آخر :

حتى احْزأَلّت زمر بعد زمر

وقيل: دفعًا وزجرًا بصوت كصوت المزمار ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ جواب إذا وهي سبعة أبواب وقد مضى في (الحجر) ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ﴾ واحدهم خازن نحو سدنة وسادن ويقولون لهم تقريعًا وتوبيخًا: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ﴾ أي الكتب المنزلة على الأنبياء ﴿وَيُنذِرُونَكُمۡ﴾ أي يخوفونكم ﴿لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ أي قد جاءتنا وهذا اعتراف منهم بقيام الحجة عليهم ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١﴾ وهي قوله تعالى: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١١٩﴾ [هود : ١١٩]، قوله تعالى : ﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ أي يقال لهم ادخلوا جهنم وقد مضى

(١٧٨) أحمر
أسود

الكلام في أبوابها وقال وهب : تستقبلهم الزبانية بمقامع من نار فيدفعونهم بمقامعهم فإنه ليقع في الدفعة الواحدة إلى النار بعدد ربيعة ومُضر ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ تقدم بيانه.

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ أي: سوقًا عنيفًا، يضربون بالسياط الموجعة، من الزبانية الغلاظ الشداد، إلى شر محبس وأفظع موضع، وهي جهنم التي قد جمعت كل عذاب، وحضرها كل شقاء، وزال عنها كل سرور، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾ [الطور: ١٣] أي: يدفعون إليها دفعًا، وذلك لامتناعهم من دخولها.

ويساقون إليها ﴿زُمَرًا﴾ أي: فرقًا متفرقة، كل زمرة مع الزمرة التي تناسب عملها، وتشاكل سعيها، يلعن بعضهم بعضًا، ويبرأ بعضهم من بعض. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ أي: وصلوا إلى ساحتها ﴿فُتِحَتْ﴾ لهم أي: لأجلهم ﴿أَبْوَٰبُهَا﴾ لقدومهم وقِرًى لنزولهم.

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ مهنئين لهم بالشقاء الأبدي، والعذاب السرمدي، وموبخين لهم على الأعمال التي أوصلتهم إلى هذا المحل الفظيع: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ أي: من جنسكم تعرفونهم وتعرفون صدقهم، وتتمكنون من التلقي عنهم؟! ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ التي أرسلهم الله بها، الدالة على الحق اليقين بأوضح البراهين.

﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي: وهذا يوجب عليكم اتباعهم والحذر من عذاب هذا اليوم، باستعمال تقواه، وقد كانت حالكم بخلاف هذه الحال؟

﴿قَالُوا۟﴾ مقرين بذنبهم، وأن حجة الله قامت عليهم: ﴿بَلَىٰ﴾ قد جاءتنا رسل

(١٧٩) أحمر
أسود

ربنا بآياته وبيناته، وبينوا لنا غاية التبيين، وحذرونا من هذا اليوم. ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ أي: بسبب كفرهم وجبت عليهم كلمة العذاب، التي هي لكل من كفر بآيات الله، وجحد ما جاءت به المرسلون، فاعترفوا بذنبهم وقيام الحجة عليهم.

فـ﴿قِيلَ﴾ لهم على وجه الإهانة والإذلال: ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ كل طائفة تدخل من الباب الذي يناسبها ويوافق عملها. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أبدا، لا يظعنون عنها، ولا يفتر عنهم العذاب ساعة ولا ينظرون. ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ أي: بئس المقر، النار مقرهم، وذلك لأنهم تكبروا على الحق، فجازاهم الله من جنس عملهم، بالإهانة والذل، والخزي.

❁ ❁ ❁

س: كم باب للجنة؟

ج: الجنة لها ثمانية أبواب.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

ما أخرجه مسلم (١) في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب ؤ مرفوعًا: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ (أو يسبغ) الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبد الله ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء».

وفي الصحيحين (٢) من حديث سهل بن سعد الساعدي ؤ قال: قال رسول الله □: **«إن في الجنة بابًا يقال له: الرَّيَّان يدخل منه الصائمون يوم**

---

(١) مسلم (حديث ٢٣٤).

(٢) البخاري (١٨٩٦، ٣٢٥٧)، ومسلم (١١٥٢).

(١٨٠) أحمر
أسود

القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم يقال: أين الصائمون؟ فيدخلون منه فإذا دخل آخرهم أُغلق فلم يدخل منه أحد».

❁ ❁ ❁

(١٨١) أحمر
أسود

س: اذكر بعض الوارد في صفة أبواب الجنة.

ج: من ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم (١) من حديث أبي هريرة ﭬ عن رسول الله ﷺ في حديث الشفاعة الطويل - قال: «... **فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه، من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبُصرى..».**

وفي صحيح مسلم (٢) من حديث عتبة بن غزوان ﭬ قال: فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفة جهنم، فيهوى فيها سبعين عامًا لا يدرك لها قعرًا. والله لتملأن أفعجبتم؟ ولقد ذُكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة. وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام. ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ.

وفي الصحيحين (٣) من حديث أبي هريرة ﭬ أن رسول الله ﷺ قال: «**من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة: يا عبد الله هذا خيرٌ، فمن كان من أهل الصلاة، دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد، دُعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة، دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام، دعي من باب الريان**»، قال أبو بكر الصديق: يا رسول الله ما على أحدٍ يدعى من تلك الأبواب من ضرورة. فهل يدعى أحدٌ من تلك الأبواب كلها؟ قال رسول الله ﷺ: «**نعم وأرجو أن تكون**

(١) البخاري (٤٧٢١)، ومسلم (حديث ١٩٤).
(٢) مسلم (٢٩٦٧).
(٣) البخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧).

منهم».

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في أن دخول يكون على مراحل؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

ما أخرجه مسلم [(١)] في صحيحه من حديث أنس ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا أول شفيع في الجنة»**، وفي لفظ لمسلم: **«أنا أول من يقرع باب الجنة»**.

وعند مسلم [(٢)] أيضًا من حديث أنس بن مالك ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: **«آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح. فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»**.

وفي الصحيحين [(٣)] من حديث أبي هريرة ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري، في السماء إضاءة لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، رشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في السماء»**.

وفي الصحيحين [(٤)] من حديث سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفًا، أو سبعمائة ألف (لا يدري أبو حازم**

---

(١) مسلم (١٩٦).
(٢) مسلم (١٩٧).
(٣) البخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤)، واللفظ له.
(٤) البخاري (٣٢٤٧)، ومسلم (٢١٩).

(١٨٣) أحمر
أسود

أيهما قال) متماسكون. آخذ بعضهم بعضًا لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر».

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، وحشر الذين خافوا ربهم في الدنيا فاتقوا الشرك به، واتقوا مخالفته وعصيانه وامتثلوا أمره ووحدوه وعبدوه فلم يشركوا به شيئًا حشروا حشرًا جميلًا مُكرمين مُعززين كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدًا ٨٥﴾ [مريم: ٨٥]، سيقوا إلى جنات النعيم جماعات جماعات الأتقى أولًا ثم الذي دونه في التقوى.

رسول الله ﷺ أولًا ثم الأنبياء ثم الصديقون ثم العلماء والشهداء ثم الأتقى فالأتقى فإذا وصلوا إلى أبواب الجنة وفتحت لهم أبوابها إذا بخزنتها يرحبون بهم غاية الترحيب يستقبلونهم مُسلمين عليهم مهنئين قائلين لهم السلام عليكم طبتم، كنتم في الدنيا طيبين فدام طيبكم، كنتم تعملون أعمالًا طيبة فهذا مآلكم وهذا جزاؤكم، فها هي الجنان المُعدَّة لكم فادخلوها خالدين فيها لا تتحولون عنها ولا تريدون التحول.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وحشر الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه في الدنيا، وأخلصوا له فيها الألوهة، وأفردوا له العبادة، فلم يشركوا في عبادتهم إياه شيئًا ﴿إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ﴾ يعني جماعات، فكان سوق

هؤلاء إلى منازلهم من الجنة وفدا على ما قد بينا قبل فى سورة مريم على نجائب من نجائب الجنة، وسوق الآخرين إلى النار دعًا وورِدًا، كما قال الله.

وقال $:

واختلف أهل العربية في موضع جواب «إذا» التي في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ فقال بعض نحويي البصرة: يقال: إن قوله: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا﴾ في معنى: قال لهم، كأنه يلغي الواو، وقد جاء في الشعر شيء يشبه أن تكون الواو زائدة، كما قال الشاعر:

فإذا وذلك يا كبيشة لم يكن إلا توهم حالم بخيال

فيشبه أن يكون يريد: فإذا ذلك لم يكن. قال: وقال بعضهم: فأضمر الخبر، وإضمار الخبر أيضًا أحسن في الآية، وإضمار الخبر في الكلام كثير. وقال آخر منهم: هو مكفوف عن خبره، قال: والعرب تفعل مثل هذا ، قال عبد مناف بن ربع في آخر قصيدة:

حتى إذا أسلكوهم في قتائدة شلا كما تطرد الجمالة الشُّردا

وقال الأخطل في آخر القصيدة:

خلا أن حيًّا من قريش تفضلوا على الناس أو أن الأكارم نهشلا

وقال بعض نحويي الكوفة: أدخلت في حتى إذا وفي فلما الواو في جوابها وأخرجت، فأما من أخرجها فلا شيء فيه، ومن أدخلها شبه الأوائل بالتعجب، فجعل الثاني نسقًا على الأول، وإن كان الثاني جوابًا كأنه قال: أتعجب لهذا و هذا.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: الجواب متروك،

(١٨٥) أحمر
أسود

وإن كان القول الآخر غير مدفوع، وذلك أن قوله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ يدل على أن في الكلام متروكًا، إذ كان عقيبه ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ ، وإذا كان ذلك كذلك، فمعنى الكلام: حتى إذا جاءوا وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين، دخلوها وقالوا: الحمد لله الذي صدقنا وعده. وعني بقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ : أمنة من الله لكم أن ينالكم بعد مكروه أو أذى. وقوله: ﴿طِبْتُمْ﴾ يقول: طابت أعمالكم في الدنيا، فطاب اليوم مثواكم.

وقال $:

وقوله: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ يقول: وقال الذين سيقوا زمرًا ودخلوها: الشكر خالص لله الذي صدقنا وعده، الذي كان وعدناه في الدنيا على طاعته، فحققه بإنجازه لنا اليوم، ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ يقول: وجعل أرض الجنة التي كانت لأهل النار لو كانوا أطاعوا الله في الدنيا، فدخلوها، ميراثًا لنا عنهم.

وقوله: ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ يقول: نتخذ من الجنة بيتًا، ونسكن منها حيث نحب ونشتهي.

وقوله: ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ يقول: فنعم ثواب المطيعين لله، العاملين له في الدنيا الجنة لمن أعطاه الله إياها في الآخرة.

وقال ابن كثير $:

وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفدًا إلى الجنة ﴿زُمَرًا﴾ أي: جماعة بعد جماعة: المقربون، ثم الأبرار، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم: الأنبياء مع

(١٨٦) أحمر
أسود

الأنبياء والصديقون مع أشكالهم، والشهداء مع أضرابهم، والعلماء مع أقرانهم، وكل صنف مع صنف، كل زمرة تناسب بعضها بعضًا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ أي: وصلوا إلى أبواب الجنة بعد مجاوزة الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فاقتص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبُوا ونُقُّوا أذن لهم في دخول الجنة، وقد ورد في حديث الصور أن المؤمنين إذا انتهوا إلى أبواب الجنة تشاوروا فيمن يستأذن لهم بالدخول، فيقصدون آدم، ثم نوحًا، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم محمدًا، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كما فعلوا في العرصات عند استشفاعهم إلى الله، ۵، أن يأتي لفصل القضاء، ليظهر شرف محمد □ على سائر البشر في المواطن كلها.

وقد ثبت في صحيح مسلم[(١)] عن أنس ﺫ قال: قال رسول الله □: «**أنا أول شفيع في الجنة**» وفي لفظ لمسلم: «**وأنا أول من يقرع باب الجنة**».

وقال ابن كثير أيضًا:

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ لم يذكر الجواب هاهنا، وتقديره: حتى إذا جاءوها، وكانت هذه الأمور من فتح الأبواب لهم إكرامًا وتعظيمًا، وتلقتهم الملائكة الخزنة بالبشارة والسلام والثناء، لا كما تلقى الزبانية الكفرة بالتثريب والتأنيب، فتقديره: إذا كان هذا سَعِدوا وطابوا، وسُرّوا وفرحوا، بقدر كل ما يكون لهم فيه نعيم. وإذا حذف الجواب هاهنا ذهب الذهن كل مذهب في الرجاء والأمل.

---

(١) مسلم (١٩٧).

وقال أيضًا:

وقولـــه: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ أي: طابت أعمالكم وأقوالكم، وطاب سعيكم فطاب جزاؤكم، كما أمر رسول الله ﷺ أن ينادى بين المسلمين في بعض الغزوات: «**إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة**» وفي رواية: «**مؤمنة**». وقوله: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ أي: ماكثين فيها أبدًا، لا يبغون عنها حولًا.

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ أي: يقول المؤمنون إذا عاينوا في الجنة ذلك الثواب الوافر، والعطاء العظيم، والنعيم المقيم، والملك الكبير، يقولون عند ذلك: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ أي: الذي كان وعدنا على ألسنة رسله الكرام، كما دعوا في الدنيا: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران: ١٩٤]، ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ﴾ [الأعراف:٤٣]، ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر:٣٤-٣٥].

وقـــولهم: ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ قال أبو العالية، وأبو صالح، وقتادة، والسدي، وابن زيد: أي أرض الجنة.

وهـذه الآيــة كقولــه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، ولهذا قالوا: ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ﴾ أي: أين شئنا حللنا، فنعم الأجر أجرنا على عملنا.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ﴾ يعني من الشهداء

(١٨٨) أحمر
أسود

والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم ممن اتقى الله تعالى وعمل بطاعته وقال في حق الفريقين : (وَسِيقَ) بلفظ واحد فسوق أهل النار طردهم إليها بالخزي والهوان كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل وسوق أهل الجنان سوق مراكبهم إلى دار الكرامة والرضوان لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا) قيل : الواو هنا للعطف عطف على جملة والجواب محذوف قال المبرد : أي سعدوا وفتحت وحذف الحواب بليغ في كلام العرب وأنشد :

فلو أنها نفس تموت جميعة ولكنها نفس تساقط أنفسها

فحذف جواب لو والتقدير لكان أروح وقال الزجاج : (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا) دخلوها وهو قريب من الأول وقيل : الواو زائدة وقاله الكوفيون وهو خطأ عند البصريين وقد قيل : إن زيادة الواو دليل على أن الأبواب فتحت لهم قبل أن يأتوا لكرامتهم على الله تعالى والتقدير حتى إذا جاؤوها وأبوابها مفتحة بدليل قوله : (جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠) [ص: ٥٠] وحذف الواو في قصة أهل النار لأنهم وقفوا على النار وفتحت بعد وقوفهم إذلالا وترويعا لهم ذكره المهدوي وحكى معناه النحاس قبله قال النحاس : فأما الحكمة في إثبات الواو في الثاني وحذفها من الأول فقد تكلم فيه بعض أهل العلم بقول لا أعلم أنه سبقه إليه أحد وهو أنه لما قال الله ٥ في أهل النار : (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا) دلَّ بهذا على أنها كانت مغلقة ولما قال في أهل الجنة : (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا) دل بهذا على أنها كانت مفتحة قبل أن يجيئوها والله أعلم.

(١٨٩) أحمر
أسود

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ ﴾ بتوحيده والعمل بطاعته، سوق إكرام وإعزاز، يحشرون وفدًا على النجائب. ﴿إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ﴾ فرحين مستبشرين، كل زمرة مع الزمرة، التي تناسب عملها وتشاكله. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ أي: وصلوا لتلك الرحاب الرحيبة والمنازل الأنيقة، وهبَّ عليهم ريحها ونسيمها، وآن خلودها ونعيمها. ﴿وَفُتِحَتۡ ﴾ لهم ﴿أَبۡوَٰبُهَا﴾ فتح إكرام، لكرام الخلق، ليكرموا فيها. ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا﴾ تهنئة لهم وترحيبًا: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: سلام من كل آفة وشر حال.عليكم ﴿طِبۡتُمۡ﴾ أي: طابت قلوبكم بمعرفة الله ومحبته وخشيته، وألسنتكم بذكره، وجوارحكم بطاعته. (فـ) بسبب طيبكم (ادْخُلُوهَا خَالِدِينَ)؛ لأنها الدار الطيبة، ولا يليق بها إلا الطيبون.

وقال في النار: ﴿فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ وفي الجنة ﴿وَفُتِحَتۡ ﴾ بالواو، إشارة إلى أن أهل النار، بمجرد وصولهم إليها، فتحت لهم أبوابها من غير إنظار ولا إمهال، وليكون فتحها في وجوههم، وعلى وصولهم، أعظم لحرها، وأشد لعذابها.

وأما الجنة، فإنها الدار العالية الغالية، التي لا يوصل إليها ولا ينالها كل أحد، إلا من أتى بالوسائل الموصلة إليها، ومع ذلك، فيحتاجون لدخولها إلى الشفاعة عند أكرم الشفعاء عليه، فلم تفتح لهم بمجرد ما وصلوا إليها، بل يستشفعون إلى الله بمحمد □، حتى يشفع، فيشفعه الله تعالى.

وفي الآيات دليل على أن النار والجنة لهما أبواب تفتح وتغلق، وأن

لكل منهما خزنة، وهما الداران الخالصتان، اللتان لا يدخل فيهما إلا من استحقهما، بخلاف سائر الأمكنة والدور.

قال السعدي $:

﴿وَقَالُواْ﴾ عند دخولهم فيها واستقرارهم، حامدين ربهم على ما أولاهم ومنَّ عليهم وهداهم: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ﴾ أي: وعدنا الجنة على ألسنة رسله، إن آمنا وصلحنا، فوفَّى لنا بما وعدنا، وأنجز لنا ما منَّانا. ﴿وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ﴾ أي: أرض الجنة ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ﴾ أي: ننزل منها أي مكان شئنا، ونتناول منها أي نعيم أردنا، ليس ممنوعًا عنا شيء نريده. ﴿فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٧٤﴾ الذين اجتهدوا بطاعة ربهم، في زمن قليل منقطع، فنالوا بذلك خيرًا عظيمًا باقيًا مستمرًا.

وهذه الدار التي تستحق المدح على الحقيقة، التي يكرم الله فيها خواص خلقه، ورضيها الجواد الكريم لهم نُزلًا وبنى أعلاها وأحسنها، وغرسها بيده، وحشاها من رحمته وكرامته ما ببعضه يفرح الحزين، ويزول الكدر، ويتم الصفاء.

❁ ❁ ❁

س: أهل الجنة كثيرٌ حمدهم لله ٥. دلِّل على ذلك.

ج: ذكر الشنقيطي $ في «أضواء البيان» عددًا من الأدلة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ﴾.

فقال: ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن أهل الجنة إذا دخلوها وعاينوا ما فيها من النعيم، حمدوا ربهم وأثنوا عليه، ونوهوا بصدق وعده

لهم، وذكر هذا المعنى في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الأعراف: ٤٣]. وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾.

[فاطر: ٣٣-٣٥]

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، وترى أيها المؤمن إذا دخلت الجنة ملائكة الرحمن ٥ محدقين حول العرش يصلون ويسبحون، وتسبيحهم وصلاتهم بتوفيق الله لهم، وقضى يومئذٍ بين الخلائق بالحق وقال القائلون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ قالت ذلك الملائكة، وقالها أهل الإيمان.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وترى يا محمد الملائكة محدقين من حول عرش الرحمن، ويعني بالعرش: السرير.

واختلف أهل العربية في وجه دخول ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ والمعنى: حافين حول العرش.

(١٩٢) أحمر
أسود

وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فقال بعض نحويي البصرة: أدخلت ﴿مِن﴾ في هذين الموضعين توكيدًا، والله أعلم ، كقولك: ما جاءني من أحد، وقال غيره: قبل وحول وما أشبههما ظروف تدخل فيها ﴿مِنْ﴾ وتخرج، نحو: أتيتك قبل زيد، ومن قبل زيد، وطفنا حولك ومن حولك، وليس ذلك من نوع: ما جاءني من أحد؛ لأن موضع﴿مِنْ﴾ في قولهم: ما جاءني من أحد رفع، وهو اسم.

والصواب من القول في ذلك عندي أن ﴿مِنْ﴾ في هذه الأماكن، أعني في قوله: ﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ ومن قبلك، وما أشبه ذلك، وإن كانت دخلت على الظروف فإنها بمعنى التوكيد.

وقوله: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يقول: يصلون حول عرش الله شكرًا له، والعرب تدخل الباء أحيانًا في التسبيح، وتحذفها أحيانًا، فتقول: سبح بحمد الله، وسبح حمد الله، كما قال جل ثناؤه: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١] ، وقال في موضع آخر: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤ و ٩٦ ـ الحاقة: ٥٢].

وقوله: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ يقول: وقضى الله بين النبيين الذين جيء بهم، والشهداء وأممها بالعدل، فأسكن أهل الإيمان بالله، وبما جاءت به رسله الجنة. وأهل الكفر به، ومما جاءت به رسله النار ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٥﴾ يقول: وختمت خاتمة القضاء بينهم بالشكر للذي ابتدأ خلقهم الذي له الألوهية، وملك جميع ما في السموات والأرض من الخلق من ملك وجنٍّ وإنس، وغير ذلك من أصناف الخلق.

وأورد الطبري بإسناد حسنٍ عن قتادة قال: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ...﴾ الآية، كلها قال: فتح أول الخلق بالحمد لله، فقال: الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وختم بالحمد فقال: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٧٥﴾.

وقال ابن كثير $:

لما ذكر تعالى حكمه في أهل الجنة والنار، وأنه نزل كُلًّا في المحل الذي يليق به ويصلح له وهو العادل في ذلك الذي لا يجور -أخبر عن ملائكته أنهم محدقون من حول عرشه المجيد، يسبحون بحمد ربهم، ويمجدونه ويعظمونه ويقدسونه وينزهونه عن النقائص والجور، وقد فصل القضية، وقضى الأمر، وحكم بالعدل؛ ولهذا قال: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾ أي: بين الخلائق ﴿بِالْحَقِّ﴾.

ثم قال: ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٧٥﴾ أي: ونطق الكون أجمعه -ناطقه وبهيمه- لله رب العالمين، بالحمد في حكمه وعدله؛ ولهذا لم يسند القول إلى قائل بل أطلقه، فدل على أن جميع المخلوقات شَهِدَت له بالحمد.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ﴾ يا محمد ﴿حَافِّينَ﴾ أي: محدقين ﴿مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ في ذلك اليوم ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ متلذذين بذلك لا متعبدين به أي يصلون حول العرش شكرًا لربهم والحافون أخذ من حافات الشيء ونواحيه قال الأخفش : واحدهم حاف وقال الفراء : لا واحد له؛ إذ لا يقع لهم الاسم إلا مجتمعين ودخلت ﴿مِنْ﴾ على ﴿حَوْلِ﴾ لأنه ظرف والفعل يتعدى إلى الظرف بحرف وبغير حرف وقال الأخفش : ﴿مِنْ﴾ زائدة أي حافين

(١٩٤) أحمر
أسود

حول العرش وهو كقولك : ما جاءني من أحد فمن توكيد الثعلبي : والعرب تدخل الباء أحيانًا في التسبيح وتحذفها أحيانًا فيقولون : سبح بحمد ربك، وسبح حمدًا الله قال الله تعالى : ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ [الأعلى : ١]، وقال : ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ۝٧٤﴾ [الواقعة : ٧٤] ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ بين أهل الجنة والنار وقيل : قضي بين النبيين الذين جيء بهم مع الشهداء وبين أممهم بالحق والعدل ﴿وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٧٥﴾ أي يقول المؤمنون الحمد لله على ما أثابنا من نعمه وإحسانه ونصرنا على من ظلمنا وقال قتادة في هذه الآية : افتتح الله أول الخلق بالحمد لله، فقال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، وختم بالحمد فقال: ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٧٥﴾ فلزم الاقتداء به والأخذ في ابتداء كل أمر بحمده وخاتمته بحمده وقيل : إن قول ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٧٥﴾ من قول الملائكة فعلى هذا يكون حمدهم لله تعالى على عدله وقضائه.

قال السعدي $:

﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ أيها الرائي ذلك اليوم العظيم ﴿حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ﴾ أي: قد قاموا في خدمة ربهم، واجتمعوا حول عرشه، خاضعين لجلاله، معترفين بكماله، مستغرقين بجماله. ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ أي: ينزهونه عن كل ما لا يليق بجلاله، مما نسب إليه المشركون وما لم ينسبوا.

﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم﴾ أي: بين الأولين والآخرين من الخلق ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ الذي لا اشتباه فيه ولا إنكار، ممن عليه الحق. ﴿وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٧٥﴾ لم يذكر القائل من هو، ليدل ذلك على أن جميع الخلق نطقوا بحمد ربهم

وحكمته على ما قضى به على أهل الجنة وأهل النار، حمد فضل وإحسان، وحمد عدل وحكمة.

❁ ❁ ❁

تم بحمد الله تفسير سورة الزمر في سؤال وجواب

(١٩٦) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

سورة غافر

(بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)

(حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ
ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٤ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ
قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ
وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٥ وَكَذَٰلِكَ
حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ٦ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ
ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ
رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ
وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن
صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ
٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ
ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩) [غافر: ١-٩]

(١٩٧) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(حمٓ - غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ -وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ -ذِى ٱلطَّوۡلِۖ -يَغۡرُرۡكَ -تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ -وَٱلۡأَحۡزَابُ -وَهَمَّتۡ -لِيَأۡخُذُوهُۖ -لِيُدۡحِضُواْ -حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ -وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا -وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ -وَقِهِمۡ -جَنَّٰتِ عَدۡنٍ - وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ).

ج:

الكلمة	معناها
(حمٓ)	أحرف مقطعة لا يعلم معناها إلا الله وقيل: إنه قسمٌ أقسم الله به وقيل: اسم من أسماء القرآن وقيل غير ذلك.
(غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ)	يغفر ذنوب عباده ويسترها عليهم - اسمه غافر
(وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ)	يقبل رجوع العباد إليه بعد ابتعادهم عن طريقه ويقبل رجوعهم إلى طاعته بعد عصيانهم
(ذِى ٱلطَّوۡلِۖ)	ذي الغنى والسعة - ذي القدرة - ذي الفضل والنعم
(يَغۡرُرۡكَ)	يخدعك
(تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ)	تصرفهم - تنقلهم - مكثهم
(وَٱلۡأَحۡزَابُ)	الكفار المجتمعون على حرب الرسل
(وَهَمَّتۡ)	سعت وبذلت الجهد
(لِيَأۡخُذُوهُۖ)	ليقتلوه
(لِيُدۡحِضُواْ)	ليبطلوا

﴿حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾	تحققت كلمة الله التي كتبها على أهل الكفر تحقق فيهم ما قضاه الله عليهم
﴿وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾	وسعت رحمتك كل شيء ووسع علمك كل شيء، أي: أن رحمتك شملت كل شيء - وعلمك أحاط
﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾	سلكوا الطريق الموصل إلى مرضاتك طريق
﴿وَقِهِمۡ﴾	اصرف عنهم
﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾	بساتين وحدائق للإقامة الدائمة
﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾	اصرف عنهم عقوبة المعاصي والسيئات التي ارتكبت واحفظهم من أن يقعوا في السيئات

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله العزيز العليم من عنده نزل هذا القرآن، فهذا القرآن نزل من العزيز الذي لا يعجز عن شيءٍ والذي يُمضي ما أراد والذي يقلب على أمره فكل ما يريده يكون، ﴿ٱلۡعَلِيمِ ٢﴾ بخلقه وبما ينفعهم، ومن ثمَّ أنزل لهم ما ينتفعون به في دنياهم وأخراهم.

ثم يصف الله ﷻ نفسه وما يفعله بخلقه فيقول تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾، فلم يزل يغفر لعباده الذنوب قبل نزول الآية وبعد نزولها.

وكذا فإنه سبحانه يقبل توبتهم ورجوعهم إليه إذا أرادوا الرجوع إلى طريقه وامتثال أمره ثم يحذر الله ﷻ فيقول: ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ لمن تمرد على أمره وعصاه وتمادى في غيِّه وطغيانه، فترهيب بعد ترغيب.

ويبين ربنا فضله على عباده بقوله: ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ ذي الغنى والفضل والقدرة.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾ لا إله غيره ولا معبود سواه إليه المرجع والمآب يوم القيامة فيجازي المحسن بإحسانه والمسيئ بإساءته.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢﴾ يقول الله تعالى ذكره: من الله العزيز في انتقامه من أعدائه، العليم بما يعملون من الأعمال وغيرها تنزيل هذا الكتاب؛ فالتنزيل مرفوع بقوله: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾.

وفي قوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ وجهان؛ أحدهما: أن يكون بمعنى يغفر ذنوب العباد وقال: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ ولم يقل الذنوب؛ لأنه أريد به الفعل، وأما قوله: ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ فإن التوب قد يكون جمع توبة، كما يجمع الدومة دوما والعومة عوما من عومة السفينة، كما قال الشاعر:

عوم السفين فلما حال دونهم

وقد يكون مصدر تاب يتوب توبًا.

وقوله: ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ يقول تعالى ذكره: شديد عقابه لمن عاقبه من أهل العصيان له، فلا تتكلوا على سعة رحمته، ولكن كونوا منه على حذر، باجتناب معاصيه، وأداء فرائضه، فإنه كما أن لا يؤيس أهل الإجرام والآثام من عفوه، وقبول توبة من تاب منهم من جرمه، كذلك لا يؤمنهم من عقابه وانتقامه منهم بما استحلوا من محارمه، وركبوا من معاصيه.

وقوله: ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ يقول: ذي الفضل والنعم المبسوطة على من شاء

من خلقه؛ يقال منه: إن فلانًا لذو طول على أصحابه، إذا كان ذا فضل عليهم. وقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾ يقول: لا معبود تصلح له العبادة إلا الله العزيز العليم، الذي صفته ما وصف جل ثناؤه، فلا تعبدوا شيئًا سواه ﴿إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾ يقول تعالى ذكره: إلى الله مصيركم ومرجعكم أيها الناس، فإياه فاعبدوا، فإنه لا ينفعكم شيء عبدتموه عند ذلك سواه.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقولـه: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٢﴾ أي: تنزيل هذا الكتاب -وهو القرآن- من الله ذي العزة والعلم، فلا يرام جنابه، ولا يخفى عليه الذر وإن تكاثف حجابه.

وقولـه: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ أي: يغفر ما سلف من الذنب، ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب إليه وخَضَع لديه.

وقوله: ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ أي: لمن تمرد وطغى وآثر الحياة الدنيا، وعتا عن أوامر الله، وبغى. وهذه كقوله تعالى: ﴿۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠] يقرن هذين الوصفين كثيرًا في مواضع متعددة من القرآن؛ ليبقى العبد بين الرجاء والخوف.

وقولـه: ﴿ذِي ٱلطَّوۡلِۖ﴾ قال ابن عباس: يعني: السعة والغنى. وكذا قال مجاهد وقتادة.

وقال يزيد بن الأصم: ﴿ذِي ٱلطَّوۡلِۖ﴾ يعني: الخير الكثير.

وقال عكرمة: ﴿ذِي ٱلطَّوۡلِۖ﴾ ذي المنِّ.

وقال قتادة: ذي النعم والفواضل.

(٢٠١) أحمر
أسود

والمعنى: أنه المتفضل على عباده، المتطول عليهم بما هو فيه من المنن والأنعام، التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ...﴾ الآية [إبراهيم : ٣٤].

وقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ أي: لا نظير له في جميع صفاته، فلا إله غيره، ولا ربَّ سواه ﴿إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾ أي: إليه المرجع والمآب، فيجازي كل عامل بعمله، ﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤١﴾ [الرعد : ٤١].

❁ ❁ ❁

س: لماذا يجادل أهلُ الكفر؟

ج: يجادلون لإبطال الحق الذي جاءت به الرسل ولتضليل العباد.

قال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أنه لا يجادل في آيات الله، أي لا يخاصم فيها محاولاً ردها، وإبطال ما جاء فيها، إلا الكفار.

وقد بيَّن تعالى في غير هذا الموضع الغرض الحامل لهم على الجدال فيها مع بعض صفاتهم، وذلك في قوله: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ٥٦﴾ [الكهف: ٥٦]، وأوضح ذلك الغرض في هذه السورة الكريمة، في قوله: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾.

وقد قدمنا في سورة الحج أن الذين يجادلون في الله منهم، أتباع يتبعون رؤساءهم المضلين، من شياطين الإنس والجن، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ

عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾) [الحج: ٣-٤].

وأن منهم قادة هم رؤساؤهم المتبوعون وهم المذكورون في قوله تعالى:

(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ) الآية. [الحج: ٨-٩].

وبين تعالى في موضع آخر أن من أنواع جدال الكفار، جدالهم للمؤمنين الذين استجابوا لله وآمنوا به وبرسوله، ليردوهم إلى الكفر بعد الإيمان، وبين بطلان حجة هؤلاء، وتوعدهم بغضبه عليهم، وعذابه الشديد وذلك في قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾) [الشورى: ١٦].

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

يخبر تبارك وتعالى أنه ما يجادل في آياته إلا الذين كفروا والمراد بالمجادلة هنا، المجادلة لرد آيات الله ومقابلتها بالباطل، فهذا من صنيع الكفار، وأما المؤمنون فيخضعون لله تعالى الذي يلقي الحق ليدحض به الباطل، ولا ينبغي للإنسان أن يغتر بحالة الإنسان الدنيوية، ويظن أن إعطاء الله إياه في الدنيا دليل على محبته له وأنه على الحق ولهذا قال: (فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٤﴾) [غافر: ٤] أي: ترددهم فيها بأنواع التجارات والمكاسب، بل الواجب على العبد، أن يعتبر الناس بالحق، وينظر إلى الحقائق الشرعية ويزن بها الناس، ولا يزن الحق بالناس، كما عليه من لا علم ولا عقل له.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٤﴾).

(٢٠٣) أحمر
أسود

ج: المعنى، والله أعلم، ما يخاصم في آيات الله ويحاول إبطالها ودحضها بالباطل إلا الذين جحدوا وحدانية الله ٥، فلا تتأثر بذلك، وقد ترى أنهم يُمتعون في الدنيا ويتصرفون في البلاد كيف شاءوا وتنقلوا من مكانٍ إلى مكان وهم آمنون مطمئنون فلا تنخدع بهذا، لا يخدعنك هذا ولا تظن أنهم على حقٍّ، بل متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ما يخاصم في حجج الله وأدلته على وحدانيته بالإنكار لها، إلا الذين جحدوا توحيده.

وقوله: (فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٤﴾) يقول جلَّ ثناؤه: فلا يخدعك يا محمد تصرفهم في البلاد وبقاؤهم ومكثهم فيها، مع كفرهم بربهم، فتحسب أنهم إنما أمهلوا وتقلبوا، فتصرفوا في البلاد مع كفرهم بالله، ولم يعاجلوا بالنقمة والعذاب على كفرهم لأنهم على شيء من الحق فإنا لم نمهلهم لذلك، ولكن ليبلغ الكتاب أجله، ولتحق عليهم كلمة العذاب، عذاب ربك.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قال: (فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٤﴾) أسفارهم فيها ومجيئهم وذهابهم.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: ما يدفع الحق ويجادل فيه بعد البيان وظهور البرهان (إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟) أي: الجاحدون لآيات الله وحججه وبراهينه، (فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٤﴾) أي: في أموالهم ونعيمها وزهرتها، كما قال: (لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ) [آل عمران: ١٩٦-١٩٧]، وقال تعالى: (نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾)

[لقمان : ٢٤].

وقال القرطبي $:

قولــه تعــالى : (مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ) سجل سبحانه على المجادلين في آيات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد إلى إدحاض الحق وإطفاء نور الله تعالى وقد دل على ذلك في قوله تعالى: (وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ) [غافر : ٥]، فأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة أهل العلم في استنباط معانيها ورد أهل الزيغ بها وعنها فأعظم جهاد في سبيل الله وقد مضى هذا المعنى في (البقرة) عند قوله تعالى : (أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ) [البقرة : ٢٥٨] مستوفى (فَلَا يَغۡرُرۡكَ) وقرئ : (**فلا يغرك**) (تَقَلُّبُهُمۡ) أي: تصرفهم (فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٤) فإني وإن أمهلتهم لا أهملهم بل أعاقبهم قال ابن عباس : يريد تجارتهم من مكة إلى الشام وإلى اليمن وقيل : (يَغۡرُرۡكَ) ما هم فيه من الخير والسعة في الرزق فإنه متاع قليل في الدنيا وقال الزجاج : (فَلَا يَغۡرُرۡكَ) سلامتهم بعد كفرهم فإن عاقبتهم الهلاك وقال أبو العالية : آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن : قوله : (مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ) وقوله : (وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ١٧٦) [البقرة : ١٧٦].

وقال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: (فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٤).

نهى الله جل وعلا نبيه في هذه الآية الكريمة، ليشرع لأمته عن أن يغره تقلب الذين كفروا في بلاد الله، بالتجارات والأرباح، والعافية وسعة الرزق، كما كانت قريش تفيض عليها الأموال من أرباح التجارات،

(٢٠٥) أحمر
أسود

وغيرها من رحلة الشتاء والصيف المذكورة في قوله تعالى: ﴿ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢﴾ [قريش: ٢] أي: إلى اليمن والشام وهم مع ذلك كفرة فجرة، يكذبون نبي الله ويعادونه.

والمعنى: لا تغتر بإنعام الله عليهم تقلبهم في بلاده، في إنعام وعافية فإن الله جل وعلا يستدرجهم بذلك الإنعام، فيمتعهم به قليلًا، ثم يهلكهم فيجعل مصيرهم إلى النار.

وقد أوضح هذا المعنى في آيات من كتابه كقوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ۝١٩٧﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٢٣ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ۝٢٤﴾ [لقمان: ٢٣-٢٤]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝١٢٦﴾ [البقرة: ١٢٦]، وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ۝٦٩ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ۝٧٠﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

والفاء في قوله: ﴿فَلَا يَغۡرُرۡكَ﴾، سببية، أي: لا يمكن تقلبهم في بلاد الله متنعمين بالأموال والأرزاق، سببًا لاغترارك بهم، فتظن بهم ظنًّا حسنًا لأن ذلك التنعم، تنعم استدراج، وهو زائل عن قريب، وهم صائرون إلى الهلاك والعذاب الدائم.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ

(٢٠٦) أحمر
أسود

عِقَابِ ۝٥).

ج: يقص الله ٥ على نبيه محمد أخبار الأمم المكذبة من قبله حتى يتصبر ويتسلى ويعلم أنه ليس وحده في هذا الطريق، فأعداء الرسل هم أعداؤه، ثم يبين له أن العاقبة للتقوى، وأن العذاب الشديد على من كذب وتولى ويبين سبحانه أن أهل الباطل بذلوا ما استطاعوه من جهدٍ وجادلوا بالكذب والزور والبهتان لإبطال الحق الذي جاءتهم به رسلهم، بل وسعوا لقتل رسلهم وبذلوا في سبيل ذلك ما استطاعوا، ولكن الله سلَّم الرسل وعافاهم، وأخذ أهل الباطل أخذًا شديدًا.

قال الطبري $:

ثم قصَّ على رسول الله قصص الأمم المكذبة رسلها، وأخبره أنهم كانوا من جدالهم لرسله على مثل الذي عليه قومه الذين أرسل إليهم، وأنه أحل بهم من نقمته عند بلوغهم أمدهم بعد إعذار رسله إليهم وإنذارهم بأسه ما قد ذكر في كتابه، إعلامًا منه بذلك نبيه أن سنته في قومه الذين سلكوا سبيل أولئك في تكذيبه وجداله سنته من إحلال نقمته بهم، وسطوته بهم، فقال تعالى ذكره: كذبت قبل قومك المكذبين لرسالتك إليهم رسولًا المجادليك بالباطل، قوم نوح والأحزاب من بعدهم، وهم الأمم الذين تحزبوا وتجمَّعوا على رسلهم بالتكذيب لها، كعاد وثمود، وقوم لوط، وأصحاب مدين وأشباههم.

وقوله: (وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ) يقول تعالى ذكره: وهمت كل أمة من هذه الأمم المكذبة رسلها، المتحزبة على أنبيائها، برسولهم الذي أرسل إليهم ليأخذوه فيقتلوه.

(٢٠٧) أحمر
أسود

وقولـه: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ يقـول: وخاصـموا رسـولهم بالباطل من الخصومة ليبطلوا بجدالهم إياه وخصومتهم له الحق الذي جاءهم به من عند الله، من الدخول في طاعته، والإقرار بتوحيده، والبراءة من عبادة ما سواه، كما يخاصمك كفار قومك يا محمد بالباطل.

وقولـه: ﴿فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾ يقول تعالى ذكره: فأخذت الذين هموا برسولهم ليأخذوه بالعذاب من عندي، فكيف كان عقابي إياهم، ألم أهلكهم فأجعلهم للخلق عبرة، ولمن بعدهم عظة؟ وأجعل ديارهم ومساكنهم منهم خلاء، وللوحوش ثواء.

وقال الحافظ ابن كثير $:

ثم قال تعالى مسليًا لنبيه محمد في تكذيب من كذبه من قومه، بأن له أسوة من سلف من الأنبياء؛ فإنه قد كذبتهم أممهم وخالفوهم، وما آمن بهم منهم إلا قليل، فقال: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ﴾ وهو أول رسول بَعَثه الله ينهى عن عبادة الأوثان، ﴿وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ﴾ أي: من كل أمة، ﴿وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۢ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ﴾ أي: حرصوا على قتله بكل ممكن، ومنهم من قتل رسوله، ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ أي: مَاحَلُوا بالشبهة ليردوا الحق الواضح الجلي.

وقوله: ﴿فَأَخَذۡتُهُمۡۖ﴾ أي: أهلكتهم على ما صنعوا من هذه الآثام والذنوب العظام، ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾ أي: فكيف بلغك عذابي لهم، ونكالي بهم؟ قد كان شديدًا موجعًا مؤلمًا.

قال قتادة: كان والله شديدًا.

وقال القرطبي $:

(٢٠٨) أحمر
أسود

قوله تعالى : (كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ) على تأنيث الجماعة أي كذبت الرسل (وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ) أي والأمم الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب نحو عاد وثمود فمن بعدهم (وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ) أي ليحبسوه ويعذبوه وقال قتادة و السدي : ليقتلوه والأخذ يرد بمعنى الإهلاك كقوله : (ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٤) **[الحج : ٤٤]** والعرب تسمي الأسير الأخيذ؛ لأنه مأسور للقتل وأنشد قطرب قول الشاعر :

فإما تأخذوني تقتلوني فكم من آخذ يهوى خلودي

وفي وقت أخذهم لرسولهم قولان : أحدهما: عند دعائه لهم الثاني عند نزول العذاب بهم (وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ) أي ليزيلوا ومنه مكان دحض أي مزلقة والباطل داحض لأنه يزلق ويزل فلا يستقر قال يحيى بن سلام : جادلوا الأنبياء بالشرك ليبطلوا به الإيمان (فَأَخَذۡتُهُمۡۖ) أي بالعذاب (فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٥) أي: عاقبة الأمم المكذبة أي أليس وجوده حقًّا.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ٦).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وكما أن ما قضاه الله وكتبه وقدره على الأمم الكافرة المتقدمة قد تحقق ووقع كما أراد الله وكما كتب فهؤلاء الكفار أيضًا سيصيبهم ما أصاب من كانوا قبلهم وسيتحقق فيهم ما قضاه الله عليهم وهو أنهم سيكونون من أصحاب النار.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وكما حق على الأمم التي كذبت رسلها التي

قصصت عليك يا محمد قصصها عذابي، وحل بها عقابي بتكذيبهم رسلهم، وجدالهم إياهم بالباطل، ليدحضوا به الحق، كذلك وجبت كلمة ربك على الذين كفروا بالله من قومك، الذين يجادلون في آيات الله.

وقوله: ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۝٦﴾ اختلف أهل العربية في موضع قوله: ﴿أَنَّهُمْ﴾، فقال بعض نحويي البصرة: معنى ذلك: حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار: أي لأنهم، أو بأنهم، وليس أنهم في موضع مفعول ليس مثل قولك: أحققت أنهم لو كان كذلك كان أيضا أحققت، لأنهم. وكان غيره يقول: ﴿أَنَّهُمْ﴾ بدل من الكلمة، كأنه أحقت الكلمة حقا أنهم أصحاب النار.

والصواب من القول في ذلك، أن قوله: ﴿أَنَّهُمْ﴾ ترجمة عن الكلمة، بمعنى: وكذلك حق عليهم عذاب النار، الذي وعد الله أهل الكفر به.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۝٦﴾ أي: كما حقت كلمةُ العذاب على الذين كفروا من الأمم السالفة، كذلك حقت على المكذبين من هؤلاء الذين كذبوك وخالفوك يا محمد بطريق الأولى والأحرى؛ لأن من كذّبك فلا وثوق له بتصديق غيرك.

❀ ❀ ❀

س: اذكر شيئًا من الأحاديث الواردة في شأن حملة العرش.

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه أبو داود[(١)] في سننه بسندٍ صحيح عن جابر بن عبد الله ڤ

(١) أبو داود رقم (٤٧٢٧).

(٢١٠) أحمر
أسود

عن النبي ﷺ قال: «أُذن لي أن أحدثكم عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أُذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام».

وأخرج أبو يعلى (١) بإسناد صحيح عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله ﷺ: «أُذن لي أن أحدثكم عن ملكٍ قد مرقت رجلاه في الأرض السابعة، والعرش على منكبه، وهو يقول: سبحانك أين كنت وأين تكون».

وسيأتي - إن شاء الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ..﴾ [سبأ: ٢٣]، ما أخرجه مسلم في صحيحه (٢) وفيه: «.. إذا قضى الله أمرًا سبح حملة العرش..»، وفيه: «ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم..».

❁ ❁ ❁

س: كم عدد حملة العرش يوم القيامة؟

ج: عددهم ثمانية، قال تعالى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾ [الحاقة: ١٧].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ...﴾ الآيات إلى: ﴿ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩﴾.

ج: الحاصل، والله أعلم، أن الله U يذكر بحملة العرش وما يقولون بشأن أهل الإيمان فيقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ﴾ وهم الملائكة الذين يحملون عرش الرحمن، وهم من أفضل الملائكة، والذين من حول العرش كذلك، يصلون لله ويسبحونه بتوفيق الله لهم لذلك وإعانتهم على

(١) أبو يعلى (٦٦١٩).
(٢) مسلم (٢٢٢٩).

ذلك، ويصدقون بوحدانيته وقدرته ويستغفرون لأهل الإيمان الذين صدقوا بوحدانية الله وعبدوه ولم يشركوا به شيئًا، يستغفرون لهم إذا صدرت منهم ذنوب أو صدرت منهم معاصٍ فيقولون يا ربنا: ﴿وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ رحمتك يا رب شملت كل شيء وعلمك يا ربنا أحاط بكل شيء فلا تخفى يا رب عليك خافية، فيا ربنا يا رحيم يا من وسعت رحمته كل شيء ارحم عبادك المؤمنين هؤلاء فأنت أعلم بهم وبتوحيدهم لك وعبوديتهم لك قد أحطت بهم وبغيرهم علمًا، فاغفر لهؤلاء الرجاعين إليك بعد زلات القدم منهم، اقبل يا ربنا رجوعهم ولا تَرُدُّهم ولا تطردهم، اغفر يا ربنا لهؤلاء الذين سلكوا الطريق إليك وأسلموا الوجوه لك إذا زلت منهم الأقدام أو تعثروا بسيئات ومعاص، فهم أصل توحيدك والإنابة إليك يا ربنا واصرف عنهم عذاب الجحيم.

وتستمر الملائكة (حملة العرش والمحيطون به كذلك) في دعائهم فيقولون: ﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨﴾ يا ربنا قد وعدتهم بجنات عدن بحدائق وبساتين لا يتحولون عنها ولا يزولون، وعدتهم يا رب بإقامة دائمة في فسيح الجنات فأنجز لهم يا ربنا ما وعدتهم، وأدخل يا ربنا معهم من استقام من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم حتى تقر أعينهم بهذا الاجتماع المبارك في جنات النعيم، يا ربنا إنك أنت العزيز الذي لا يمنع من شيء أراده الحكيم فيما تصنع وفيما تشرع وفي كل شيء، وتستمر الملائكة (حملة العرش والمحيطون به) في الدعاء لأهل الإيمان أن يصرف الله ۵ عنهم المعاصي في الدنيا والسيئات والأعمال السيئة التي

(٢١٢) أحمر
أسود

تسوؤهم في الآخرة، فيقولون: ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ في الدنيا ﴿فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ﴾ بإبعاده عن السيئات وإدخاله الجنات، وذلك من أعظم الفوز، ألا وهو أن يرث الشخص جنات النعيم.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

يقول تعالى ذكره: الذين يحملون عرش الله من ملائكته، ومن حول عرشه، ممن يحف به من الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ يقول: يصلون لربهم بحمده وشكره ﴿وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ يقول: ويقرون بالله أنه لا إله لهم سواه، ويشهدون بذلك، لا يستكبرون عن عبادته ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يقول: ويسألون ربهم أن يغفر - للذين أقروا بمثل إقرارهم من توحيد الله، والبراءة من كل معبود سواه - ذنوبهم، فيعفوها عنهم.

وقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ ، وفي هذا الكلام محذوف، وهو يقولون؛ ومعنى الكلام ويستغفرون للذين آمنوا يقولون: يا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلمًا. ويعني بقوله: ﴿وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ : وسعت رحمتك وعلمك كل شيء من خلقك، فعلمت كل شيء، فلم يخف عليك شيء، ورحمت خلقك، ووسعتهم برحمتك.

وقوله: ﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ يقول: فاصفح عن جرم من تاب من الشرك بك من عبادك، فرجع إلى توحيدك، واتبع أمرك ونهيك.

وقوله: ﴿وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ يقول: واصرف عن الذين تابوا من الشرك، واتبعوا سبيلك عذاب النار يوم القيامة.

وقال $:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن دعاء ملائكته لأهل الإيمان به من عباده،

تقول: يا ﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ يعني: بساتين إقامة ﴿ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ﴾ يعني التي وعدت أهل الإنابة إلى طاعتك أن تدخلهموها ﴿وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ﴾ يقول: وأدخل مع هؤلاء الذين تابوا ﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ جنات عدن من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، فعمل بما يرضيك عنه من الأعمال الصالحة في الدنيا، وذكر أنه يدخل مع الرجل أبواه وولده وزوجته الجنة، وإن لم يكونوا عملوا عمله بفضل رحمة الله إياه.

وقال $:

يعني تعالى ذكره بقوله مخبرًا عن قيل ملائكته: وقهم: اصرف عنهم سوء عاقبة سيئاتهم التي كانوا أتوها قبل توبتهم وإنابتهم، يقولون: لا يؤاخذهم بذلك، فتعذبهم به ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ﴾ يقول: ومن تصرف عنه سوء عاقبة سيئاته بذلك يوم القيامة، فقد رحمته، فنجيته من عذابك ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩﴾ لأنه من نجا من النار وأُدخل الجنة فقد فاز، وذلك لا شك هو الفوز العظيم.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يخبر تعالى عن الملائكة المقربين من حَمَلة العرش الأربعة، ومن حوله من الكروبيين، بأنهم يسبحون بحمد ربهم، أي: يقرنون بين التسبيح الدال على نفي النقائص، والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح، ﴿وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ أي: خاشعون له أذلاء بين يديه، وأنهم ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: من أهل الأرض ممن آمن بالغيب، فقيض الله سبحانه ملائكته المقربين أن يَدْعُوا للمؤمنين بظهر الغيب، ولما كان هذا من سجايا الملائكة عليهم الصلاة والسلام، كانوا يُؤمِّنون على دعاء المؤمن لأخيه

(٢١٤) أحمر
أسود

بظهر الغيب، كما ثبت في صحيح مسلم [(١)]: «**إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك: آمين ولك بمثل**».

وقال ابن كثير $:

(رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا) أي: إن رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم، وعلمك محيط بجميع أعمالهم وحركاتهم وسكناتهم، (فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ) أي: فاصفح عن المسيئين إذا تابوا وأنابوا وأقلعوا عما كانوا فيه، واتبعوا ما أمرتهم به، من فعل الخيرات وترك المنكرات، (وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝٧) أي: وزحزحهم عن عذاب الجحيم، وهو العذاب الموجع الأليم. (رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ) أي: اجمع بينهم وبينهم، لتقر بذلك أعينهم بالاجتماع في منازل متجاورة، كما قال: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ) [الطور: ٢١] أي: ساوينا بين الكل في المنزلة، لتقر أعينهم، وما نقصنا العالي حتى يساوي الداني، بل رفعنا الناقص في العمل، فساويناه بكثير العمل، تفضلًا منَّا ومنة.

وقال $:

وقوله: (إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٨) أي: الذي لا يمانع ولا يغالب، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، الحكيم في أقوالك وأفعالك، من شرعك وقدرك.

(وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ) أي: فعلها أو وبالها ممن وقعت منه، (وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ) أي: يوم القيامة، (فَقَدْ رَحِمْتَهُ) أي: لطفت به ونجيته من

(١) مسلم (٢٧٣٢).

(٢١٥) أحمر
أسود

العقوبة، ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩﴾.

❁ ❁ ❁

(٢١٦) أحمر

قال الله تعالى:

(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ
تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا
ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا
دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ
﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا
يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ
لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ
لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ
لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ
خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ
مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞أَوَلَمْ يَسِيرُواْ
فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ
مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ
﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ
قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾) [غافر: ١٠-٢٢]

(٢١٧) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(لَمَقۡتُ - فَٱلۡحُكۡمُ - يَتَذَكَّرُ - يُنِيبُ - فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ - مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ - رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ - ذُو ٱلۡعَرۡشِ - ٱلرُّوحَ - يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ - بَٰرِزُونَۖ - ٱلۡقَهَّارِ - يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ - ٱلۡحَنَاجِرِ - كَٰظِمِينَۚ - لِلظَّٰلِمِينَ - حَمِيمٖ - شَفِيعٖ - خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ - يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ - وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ - وَاقٖ - بِٱلۡبَيِّنَٰتِ).

ج:

الكلمة	معناها
(لَمَقۡتُ)	لبغض الله لكم - لكراهية الله لكم
(فَٱلۡحُكۡمُ)	فالقضاء
(يَتَذَكَّرُ)	يتعظ - يعتبر
(يُنِيبُ)	يرجع إلى طاعة الله
(فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ)	فاعبدوا الله
(مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ)	مفردين إياه بالعبادة لا تعبدون معه غيره لا تشركوا في تدينكم وعبادتكم له أحدًا
(رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ)	عالي القدر والمقام والمكان
(ذُو ٱلۡعَرۡشِ)	صاحب العرش، والعرش سرير الملك
(ٱلرُّوحَ)	الوحي - النبوة - القرآن
(يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ)	يوم لقاء الأولين والآخرين يوم لقاء الله ٥
(بَٰرِزُونَۖ)	ظاهرون
(ٱلۡقَهَّارِ)	الذي قهر كل شيء وغلب كل شيء
(يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ)	يوم القيامة، وسُمِّيت بذلك لقرب وقوعها

(٢١٨) أحمر
أسود

﴿ٱلۡحَنَاجِرِ﴾	جمع حنجرة
﴿كَٰظِمِينَۚ﴾	ساكتين - باكين - ممتلئين همومًا وغمومًا - كاتمين للقلوب لا يستطيعون ردها إلى مكانها
﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾	للمشركين
﴿حَمِيمٖ﴾	قريب - صديق مقرب
﴿شَفِيعٖ﴾	شافع يشفع لهم
﴿خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ﴾	ما خانت به الأعين وخالفت أمر ربها - ما يصدر من الأعين من الخيانات والمخالفات
﴿يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ﴾	يحكم بالعدل
﴿وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	الآثار التي تركوها أي: وتركوا آثارًا في الأرض تدل على قوتهم
﴿وَاقٖ﴾	من يقيهم العذاب - شخص يدفع عنهم العذاب
﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾	بالدلالات الواضحات

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ١٠﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أن أهل الكفر إذا دخلوا النار مقتوا أنفسهم مقتًا شديدًا ولاموها وسبوها فتناديهم الملائكة لمقت الله لكم في الدنيا حينما كنتم تدعون إلى الإيمان فتكفرون أشد من مقتكم الآن لأنفسكم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

(٢١٩) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: إن الذين كفروا بالله ينادون في النار يوم القيامة إذا دخلوها، فمقتوا بدخولهموها أنفسهم حين عاينوا ما أعد الله لهم فيها من أنواع العذاب، فيقال لهم: لمقت الله إياكم أيها القوم في الدنيا، إذ تدعون فيها للإيمان بالله فتكفرون، أكبر من مقتكم اليوم أنفسكم لما حلَّ بكم من سخط الله عليكم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ يقول: لمقت الله أهل الضلالة حين عرض عليهم الإيمان في الدنيا، فتركوه، وأبوا أن يقبلوا، أكبر مما مقتوا أنفسهم، حين عاينوا عذاب الله يوم القيامة.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عن الكفار: أنهم يُنَادَون يوم القيامة وهم في غَمَرات النيران يتلظون، وذلك عندما باشروا من عذاب الله ما لا قِبَل لأحد به، فمقتوا عند ذلك أنفسهم وأبغضوها غاية البغض، بسبب ما أسلفوا من الأعمال السيئة، التي كانت سبب دخولهم إلى النار، فأخبرتهم الملائكة عند ذلك إخبارًا عاليًا، نادوهم نداء بأن مقت الله لهم في الدنيا حين كان يُعرض عليهم الإيمان، فيكفرون، أشد من مقتكم أيها المعذبون أنفسكم اليوم في هذه الحالة.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه دخول اللام في قوله تعالى: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ..﴾؟

ج: أجاب الطبري على ذلك بقوله:

واختلف أهل العربية في وجه دخول هذه اللام في قوله: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ فقال بعض أهل العربية من أهل البصرة: هي لام الابتداء، كان ينادون يقال لهم؛ لأن في النداء قولًا. قال: ومثله في الإعراب يقال: لزيد أفضل من عمرو. وقال بعض نحويي الكوفة: المعنى فيه: ينادون إن مقت الله إياكم، ولكن اللام تكفي من أن تقول في الكلام: ناديت أن زيدًا قائم، قال: ومثله قوله: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾ **[يوسف: ٣٥]** اللام بمنزلة «إن» في كل كلام ضارع القول مثل: ينادون ويخبرون، وأشباه ذلك.

وقال آخر غيره منهم: هذه لام اليمين، تدخل مع الحكاية، وما ضارع الحكاية لتدل على أن ما بعدها ائتناف. قال: ولا يجوز في جوابات الإيمان أن تقوم مقام اليمين؛ لأن اللام كانت معها النون أو لم تكن، فاكتفي بها من اليمين؛ لأنها لا تقع إلا معها.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: دخلت لتؤذن أن ما بعدها ائتناف وأنها لام اليمين.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالموتتين والحياتين؟

ج: قال كثيرون من أهل العلم:

إن الموتة الأولى: وهم في أصلاب الآباء.

والحياة الأولى: خروجهم إلى الدنيا.

والموتة الثانية: هي عند وفاتهم في الدنيا.

والحياة الثانية: عند بعثهم يوم القيامة للحساب.

وقد استوفيت الحديث عن هذا في تفسير سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ..).

[البقرة: ٢٨]

هذا، وقد أورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال: قوله: (أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) قال: كانوا أمواتًا في أصلاب آبائهم، فأحياهم الله في الدنيا، ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، فهما حياتان وموتتان.

قال الشنقيطي $:

التحقيق الذي لا ينبغي العدول عنه، أن المراد بالإماتتين في هذه الآية الكريمة: الإماتة الأولى، التي هي كونهم في بطون أمهاتهم نطفًا وعلقًا، ومضغًا قبل نفخ الروح فيهم، فهم قبل نفخ الروح فيهم لا حياة لهم، فأطلق عليهم بذلك الاعتبار اسم الموت.

والإماتة الثانية: هي إماتتهم وصيرورتهم إلى قبورهم عند انقضاء آجالهم في دار الدنيا.

وأن المراد بالإحياءتين: الإحياءة الأولى في دار الدنيا، والإحياءة الثانية، التي هي البعث من القبور إلى الحساب، والجزاء والخلود الأبدي، الذي لا موت فيه؛ إما في الجنة وإما في النار.

والدليل من القرآن على أن هذا القول في الآية هو التحقيق، أن الله صرح به واضحًا في قوله جلَّ وعلا: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾) [البقرة: ٢٨]، وبذلك

(٢٢٢) أحمر
أسود

تعلم أن ما سواه من الأقوال الآية لا معوّل عليه.

والأظهر عندي أن المسوغ الذي سوغ إطلاق اسم الموت على العلقة، والمضغة مثلًا، في بطون الأمهات، أن عين ذلك الشيء، الذي هو نفس العلقة والمضغة، له أطوار كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ١٤﴾ [نوح: ١٤]، ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ [الزمر: ٦]، ولما كان ذلك الشيء، تكون فيه الحياة في بعض تلك الأطوار، وفي بعضها لا حياة له، صح إطلاق الموت والحياة عليه من حيث إنه شيء واحد، ترتفع عنه الحياة تارة وتكون فيه أخرى، وقد ذكر له الزمخشري مسوغًا غير هذا، فانظره إن شئت.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ١١﴾.

ج: هذا نداء وإقرار من أهل الكفر فيقولون: يا ربنا أمتنا مرتين وأحييتنا مرتين فأقررنا لك بأننا أذنبنا وأجرمنا فهل من طريق للخروج من النار.

قال الحافظ ابن كثير $:

والمقصود من هذا كله: أن الكفار يسألون الرجعة وهم وقوف بين يدي الله، ٥، في عرصات القيامة، كما قال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢﴾ [السجدة: ١٢]، فلا يجابون. ثم إذا رأوا النار وعاينوها ووقفوا عليها، ونظروا إلى ما فيها من العذاب والنَّكال، سألوا الرجعة أشد مما سألوا أول مرة، فلا يجابون، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٢٧

(٢٢٣) أحمر
أسود

﴿بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝٢٨﴾ [الأنعام:٢٧-٢٨] فإذا دخلوا النار وذاقوا مَسّها وحَسِيسها ومقامعها وأغلالها، كان سؤالهم للرجعة أشد وأعظم، ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ۝٣٧﴾ [فاطر:٣٧]، ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ۝١٠٧ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝١٠٨﴾ [المؤمنون: ١٠٧، ١٠٨]، وفي هذه الآية الكريمة تلطفوا في السؤال، وقدموا بين يدي كلامهم مُقدّمة، وهي قولهم: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ [غافر: ١١] أي: قدرتك عظيمة، فإنك أحييتنا بعد ما كنا أمواتا، ثم أمتنا ثم أحييتنا، فأنت قادر على ما تشاء، وقد اعترفنا بذنوبنا، وإننا كنا ظالمين لأنفسنا في الدار الدنيا، ﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ۝١١﴾ أي فهل أنت مجيبنا إلى أن تعيدنا إلى الدار الدنيا؟ فإنك قادر على ذلك؛ لنعمل غير الذي كنا نعمل، فإن عدنا إلى ما كنا فيه فإنا ظالمون. فأُجِيبُوا ألا سبيل إلى عودكم ومرجعكم إلى الدار الدنيا.

وقال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ۝١١﴾.

قد بين جلَّ وعلا في غير هذا الموضع، أن الاعتراف بالذنب في ذلك الوقت لا ينفع، كما قال تعالى: ﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾ [الملك: ١١]، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝١٢﴾ [السجدة: ١٢]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ۝١١﴾، قد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية، في سورة الأعراف في الكلام على قوله

تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الأعراف: ٣٥].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ذلكم الجواب الذي أُجبتم به، وهو عدم خروجكم من النار وعدم إجابة طلبكم للخروج منها لأنكم كنتم في الدنيا إذا دعيتم إلى توحيد الله ۵ وعبادته وحده لا شريك له جحدتم ذلك وأبيتم واستكبرتم، وإذا كان هناك شرك صدقتم وإذا دعيتم إلى الشرك بالله أجبتم فها هنا الحكم والقضاء لله ۵ يفصل بينكم وبين من كذبتموه من المرسلين، القضاء لله العلي على كل شيء الكبير الذي يتصاغر دونه كل شيء، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

وفي هذا الكلام متروك استغني بدلالة الظاهر من ذكره عليه؛ وهو: فأجيبوا أن لا سبيل إلى ذلك هذا الذي لكم من العذاب أيها الكافرون ﴿بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾، فأنكرتم أن تكون الألوهة له خالصة، وقلتم: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ [ص: ٥].

﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ يقول: وإن يجعل لله شريك تصدقوا من جعل ذلك له ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ يقول: فالقضاء لله العلي على كل شيء، الكبير الذي كل شيء دونه متصاغرًا له اليوم.

وقال ابن كثير $:

ثم علل المنع من ذلك بأن سجاياكم لا تقبل الحق ولا تقتضيه بل

(٢٢٥) أحمر
أسود

تَجْحَده وتنفيه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ﴾ أي: أنتم هكذا تكونون، وإن رددتم إلى الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٨] .

وقوله: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ أي: هو الحاكم في خلقه، العادل الذي لا يجور، فيهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ويرحم من يشاء، ويعذب من يشاء، لا إله إلا هو .

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله ۵ هو الذي يريكم آياته الدالة على قدرته كالسموات والأرض وما بينهما وما فيهما كآياته في أنفسكم كآياته فيما حولكم وينزل لكم من السماء غيثًا يغيثكم به، ولكن ما يتعظ وما يعتبر إلَّا من رجع إلى طاعة الله واستقام فهذا الذي ينتفع بالآيات.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: الذي يريكم أيها الناس حججه وأدلته على وحدانيته وربوبيته ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ﴾ يقول ينزل لكم من أرزاقكم من السماء بإدرار الغيث الذي يخرج به أقواتكم من الأرض، وغذاء أنعامكم عليكم ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ يقول: وما يتذكر حجج الله التي جعلها أدلة على وحدانيته، فيعتبر بها ويتعظ، ويعلم حقيقة ما تدل عليه، إلا من ينيب، يقول: إلا من يرجع إلى توحيده، ويقبل على طاعته.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: يظهر قدرته لخلقه بما يشاهدونه

في خلقه العلوي والسفلي من الآيات العظيمة الدالة على كمال خالقها ومبدعها ومنشئها، ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ ، وهو المطر الذي يخرج به من الزروع والثمار ما هو مشاهد بالحس، من اختلاف ألوانه وطعومه، وروائحه وأشكاله وألوانه، وهو ماء واحد، فبالقدرة العظيمة فاوت بين هذه الأشياء، ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ أي: يعتبر ويتفكر في هذه الأشياء ويستدل بها على عظمة خالقها ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ أي: من هو بصير منيب إلى الله، ٥.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ أي دلائل توحيده وقدرته ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ جمع بين إظهار الآيات وإنزال الرزق لأن بالآيات قوام الأديان وبالرزق قوام الأبدان وهذه الآيات هي السموات والأرضون وما فيهما وما بينهما من الشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب والبحار والأنهار والعيون والجبال والأشجار وآثار قوم هلكوا ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ أي ما يتعظ بهذه الآيات فيوحد الله ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ أي يرجع إلى طاعة الله.

وقال الشنقيطي $:

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾.

ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة، أنه جل وعلا هو الذي يُري خلقه آياته، أي الكونية القدرية ليجعلها علامات لهم على ربوبيته، واستحقاقه العبادة وحده. ومن تلك الآيات: الليل والنهار والشمس والقمر كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ الآية [فصلت: ٣٧].

ومنها السماوات والأرضون وما فيهما، والنجوم، والرياح والسحاب، والبحار والأنهار، والعيون والجبال والأشجار وآثار قوم هلكوا، كما قال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ) إلى قوله: (لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾) [البقرة: ١٦٤]. وقال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾) [آل عمران: ١٩٠]. وقال تعالى: (إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾) [الجاثية: ٣-٥]، وقال تعالى: (إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾) [يونس: ٦].

وما ذكره جل وعلا في آية المؤمن هذه، من أنه هو الذي يُرِي خلقه آياته، بيَّنه وزاده إيضاحًا في غير هذا الموضع، فبين أنه يريهم آياته في الآفاق وفي أنفسهم، وأن مراده بذلك البيان أن يتبين لهم أن ما جاء به محمد ﷺ حق، كما قال تعالى: (سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ) [فصلت: ٣٥].

(ٱلْآفَاقِ) جمع أفق وهو الناحية، والله جل وعلا قد بين من غرائب صنعه، وعجائبه، في نواحي سماواته وأرضه، ما يتبين به لكل عاقل أنه هو الرب المعبود وحده. كما أشرنا إليه، من الشمس والقمر والنجوم والأشجار والجبال، والدواب والبحار، إلى غير ذلك.

وبين أيضًا أن من آياته التي يريهم ولا يمكنهم أن ينكروا شيئًا منها: تسخيره لهم الأنعام ليركبوها ويأكلوا من لحومها، وينتفعوا بألبانها، وزبدها وسمنها، وأقطها ويلبسوا من جلودها، وأصوافها وأوبارها

(٢٢٨) أحمر
أسود

وأشعارها، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾ [غافر: ٧٩-٨١].

وبيَّن في بعض المواضع، أن من آياته التي يريها بعض خلقه، معجزات رسله، لأن المعجزات آيات، أي دلالات، وعلامات على صدق الرسل، كما قال تعالى في فرعون: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾﴾ [طه: ٥٦]، وبين في موضع آخر، أن من آياته التي يريها خلقه، عقوبته المكذبين رسله، كما قال تعالى في قصة إهلاكه قوم لوط: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [العنكبوت: ٣٥].

وقال في عقوبته فرعون وقومه بالطوفان والجراد والقمل... إلخ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ الآية [الأعراف: ١٣٣].

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، فاعبدوا الله مخلصين له العبادة، أفردوه وحده بالطاعة والعبادة، وإن كره ذلك فكم أهلُ الكفر، فلا تلتفوا إليهم ولا تُبالوا بهم.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □

(٢٢٩) أحمر
أسود

وللمؤمنين به، فاعبدوا الله أيها المؤمنون له، مخلصين له الطاعة غير مشركين به شيئًا مما دونه ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ١٤﴾ يقول: ولو كره عبادتكم إياه مخلصين له الطاعة الكافرون المشركون في عبادتهم إياه الأوثان والأنداد.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى الآيات الكريمات: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ...﴾ إلى قوله: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ١٧﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أن الله ۵ المستحق لعباده هو رفيع الدرجات قد استوى على عرشه، والعرش فوق السماء السابعة والعرش عرشه، وهو سرير الملك، تبارك ربنا وتعالى وتقدس يُلقي الوحي والنبوة والكتاب على من يشاء من عباده فهو الذي يصطفي من الملائكة رسلًا ومن الناس يلقي الروح ويرسل الرسل وينزل الكتب مُنذرًا مُحذرًا من يوم القيامة الذي يلتقي فيه الأولون والآخرون والسابقون واللاحقون وأهل السماء وأهل الأرض، ويلتقي العباد فيه بربهم ۵ كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾.

[البقرة: ٢٢٣]

وذلك يوم هم بارزون ظاهرون لا تخفى على الله منهم خافية، فحينئذ ينادى لمن الملك اليوم؟ أين الذين كانوا ينازعون في الدنيا ويقولون نحن الملوك ونحن... ونحن، أين هم الآن؟ فالجواب: لله الواحد القهار، لا ملك لأحدٍ سواه وهو الذي قد قهر كل شيء.

فيقال حينئذٍ اليوم تُجازى كل نفس بعملها ليس هناك بخسٌ وليس هناك

ظلم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٧﴾ ذو سرعة في محاسبة العباد.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: هو رفيع الدرجات؛ ورفع قوله: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ على الابتداء؛ ولو جاء نصبًا على الرد على قوله: فادعوا الله، كان صوابًا. ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ يقول: ذو السرير المحيط بما دونه. وقوله: ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ يقول: ينزل الوحي من أمره على من يشاء من عباده.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى الروح في هذا الموضع، فقال بعضهم: عني به الوحي.

وقال آخرون: عني به القرآن والكتاب.

وقال آخرون: عني به النبوة.

وقوله: ﴿لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ١٥﴾ يقول: لينذر من يلقي الروح عليه من عباده من أمر الله بإنذاره من خلقه عذاب يوم تلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض، وهو يوم التلاق، وذلك يوم القيامة.

وقوله: ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ﴾ يعني بقوله: ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ﴾ يعني المنذرين الذين أرسل الله إليهم رسله لينذروهم وهم ظاهرون يعني للناظرين لا يحول بينهم وبينهم جبل ولا شجر، ولا يستر بعضهم عن بعض ساتر، ولكنهم بقاع صفصف لا أمت فيه ولا عوج . و(هُم) من قوله: ﴿يَوۡمَ هُم﴾ في موضع رفع بما بعده، كقول القائل: فعلت ذلك يوم الحجاج أمير.

وقوله: ﴿لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ﴾ أي ولا من أعمالهم التي عملوها في

الدنيا ﴿شَيْءٌ﴾.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ ولكنهم برزوا له يوم القيامة، فلا يستترون بجبل ولا مدر.

وقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ﴾ يعني بذلك: يقول الربُّ: لمن الملك اليوم؛ وترك ذكر «يقول» استغناء بدلالة الكلام عليه. وقوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ وقد ذكرنا الرواية الواردة بذلك فيما مضى قبل. ومعنى الكلام: يقول الرب: لمن السلطان اليوم؟ وذلك يوم القيامة، فيجيب نفسه فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ﴾ الذي لا مثل له ولا شبيه ﴿ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ لكل شيء سواه بقدرته، الغالب بعزته.

وقال $:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيله يوم القيامة حين يبعث خلقه من قبورهم لموقف الحساب: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْۚ﴾ يقول: اليوم يثاب كل عامل بعمله، فيوفى أجر عمله، فعامل الخير يجزى الخير، وعامل الشر يجزى جزاءه.

وقوله: ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَۚ﴾ يقول: لا بخس على أحد فيما استوجبه من أجر عمله في الدنيا، فينقص منه إن كان محسنًا، ولا حمل على مسيء إثم ذنب لم يعمله فيعاقب عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ يقول: إن الله ذو سرعة في محاسبة عباده يومئذ على أعمالهم التي عملوها في الدنيا؛ ذكر أن ذلك اليوم لا ينتصف حتى يقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، وقد فرغ من حسابهم، والقضاء بينهم.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى عن عظمته وكبريائه، وارتفاع عرشه العظيم العالي على

جميع مخلوقاته كالسقف لها، كما قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِى يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤﴾ [المعارج: ٣-٤].

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿يُلۡقِى ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾، كقوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ [النحل: ٢]، وكقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤]، ولهذا قال: ﴿لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥].

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ﴾ أي: ظاهرون بادون كلهم، لا شيء يكنهم ولا يظلهم ولا يسترهم. ولهذا قال: ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ﴾ أي: الجميع في علمه على السواء.

وقال:

وقوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝١٧﴾ يخبر تعالى عن عدله في حكمه بين خلقه، أنه لا يظلم مثقال ذرة من خير ولا من شر، بل يجزي بالحسنة عشر أمثالها، وبالسيئة واحدة؛ ولهذا قال: ﴿لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ﴾ كما ثبت في صحيح مسلم، عن أبي ذر، عن رسول الله ﷺ -فيما يحكي عن ربه ٥-أنه قال: «**يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا** -إلى أن قال:- **يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**».

(٢٣٣) أحمر
أسود

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٧﴾ أي: يحاسب الخلائق كلهم، كما يحاسب نفسًا واحدة، كما قال: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ﴾ [لقمان: ٢٨]، وقال: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ٥٠﴾ [القمر: ٥٠].

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩ ..﴾ الآيات.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وحذِّر يا رسول الله أهل الشرك من يوم القيامة ذلكم اليوم القريب الذي فيه تنخلع القلوب من أماكنها وتنتقل من شدة الهلع والخوف فتصل إلى الحناجر فتتعلق القلوب بالحناجر وتنشب بها فلا يستطيعون ردها إلى أماكنها فيكظمونها رغمًا عنهم لا تخرج فيستريحون بالموت ولا ترجع إلى أماكنها وهم سكوت ممتلئين همًّا وغمًّا، فحينئذٍ ليس لأهل الشرك قريب يدافع عنهم ولا صديق قريب، ولا شافع يشفع فيهم ثم العود إلى التحذير وبيان مراقبة الله ۵ للعباد وإطلاعه على ما في نفوسهم، فيقول تعالى: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ﴾ يعلم ما صدر من الأعين من الخيانات والجنايات والمخالفات لأمر الله ويعلم لحظ البصر وإن أخفاه الشخص عن الناس وكذا يعلم ربي سبحانه وتعالى ما أضمرته الصدور وما حوته بداخلها ثم هو يحكم بالعدل أما الأوثان والأصنام فلا تقضي بشيء ولا تحكم بشيء، فهي لا تسمع ولا تعقل ولا تعي، لكن ربنا ۵ هو السميع لأقوال خلقه ولحركاتهم وسكناتهم البصير بهم أينما يكون وحيثما يكونون، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه: وأنذر يا محمد مشركي قومك يوم الآزفة، يعني يوم القيامة، أن يوافوا الله فيه بأعمالهم الخبيثة، فيستحقوا من الله عقابه الأليم.

وقوله: (إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ) يقول تعالى ذكره: إذ قلوب العباد من مخافة عقاب الله لدى حناجرهم قد شخصت من صدورهم، فتعلقت بحلوقهم كاظميها، يرومون ردها إلى مواضعها من صدورهم فلا ترجع، ولا هي تخرج من أبدانهم فيموتوا.

وأورد بسند حسن عن قتادة: (إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ) قال: قد وقعت القلوب في الحناجر من المخافة، فلا هي تخرج ولا تعود إلى أمكنتها.

وقال $:

وقوله: (مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ) يقول جل ثناؤه: ما للكافرين بالله يومئذ من حميم يحم لهم، فيدفع عنهم عظيم ما نزل بهم من عذاب الله، ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم فيطاع فيما شفع، ويجاب فيما سأل.

وقوله: (يُطَاعُ ۝١٨) صلة للشفيع. ومعنى الكلام: ما للظالمين من حميم ولا شفيع إذا شفع أطيع فيما شفع، فأجيب وقبلت شفاعته له.

وقوله: (يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ) يقول جل ذكره مخبرا عن صفة نفسه: يعلم ربكم ما خانت أعين عباده، وما أخفته صدورهم، يعني: وما أضمرته قلوبهم؛ يقول: لا يخفى عليه شيء من أمورهم حتى ما يحدث به نفسه، ويضمره قلبه إذا نظر ماذا يريد بنظره، وما ينوي ذلك بقلبه (وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ) يقول: والله تعالى ذكره يقضي في الذي خانته الأعين بنظرها،

(٢٣٥) أحمر
أسود

وأخفته الصدور عند نظر العيون بالحق، فيجزي الذين أغمضوا أبصارهم، وصرفوها عن محارمه حذار الموقف بين يديه، ومسألته عنه بالحسنى، والذين رددوا النظر، وعزمت قلوبهم على مواقعة الفواحش إذا قدرت، جزاءها.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ﴾ يقول: والأوثان والآلهة التي يعبدها هؤلاء المشركون بالله من قومك من دونه لا يقضون بشيء، لأنها لا تعلم شيئا، ولا تقدر على شيء، يقول جل ثناؤه لهم: فاعبدوا الذي يقدر على كل شيء، ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم، فيجزي محسنكم بالإحسان، والمسيء بالإساءة، لا ما لا يقدر على شيء ولا يعلم شيئا، فيعرف المحسن من المسيء، فيثيب المحسن، ويعاقب المسيء.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٢٠﴾ يقول: إن الله هو السميع لما تنطق به ألسنتكم أيها الناس، البصير بما تفعلون من الأفعال، محيط بكل ذلك محصيه عليكم، ليجازي جميعكم جزاءه يوم الجزاء.

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ فقرأ ذلك عامة قراء المدينة: **(والذين تدعون من دونه)** بالتاء على وجه الخطاب. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بالياء على وجه الخبر.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقال ابن كثير $:

يوم الآزفة هو: اسم من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك لاقترابها، كما قال تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ٥٧ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ٥٨﴾ [النجم:٥٧، ٥٨]،

(٢٣٦) أحمر
أسود

وقال: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١]، وقال: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾ [الأنبياء:١]، وقال: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النحل:١]، وقال: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةً سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ۝٢٧﴾ [الملك:٢٧].

وقوله: ﴿إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ﴾، قال قتادة: وقفت القلوب في الحناجر من الخوف، فلا تخرج ولا تعود إلى أماكنها. وكذا قال عكرمة، والسدي، وغير واحد.

ومعنى: ﴿كَٰظِمِينَۚ﴾ أي: ساكتين، لا يتكلم أحد إلا بإذنه ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ۝٣٨﴾ [النبأ:٣٨].

وقال ابن جُرَيْج: ﴿كَٰظِمِينَۚ﴾ أي: باكين.

وقوله: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ۝١٨﴾ أي: ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم، ولا شفيع يشفع فيهم، بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير.

وقوله: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ۝١٩﴾ يخبر تعالى عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها، دقيقها ولطيفها؛ ليحذر الناس علمه فيهم، فيستحيوا من الله حَقّ الحياء، ويَتَّقُوهُ حق تقواه، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه، فإنه تعالى يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة، ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ﴾ أي: يحكم بالعدل.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: من الأصنام والأوثان والأنداد، ﴿لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ﴾ أي: لا يملكون شيئا ولا يحكمون بشيء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ

(٢٣٧) أحمر
أسود

ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾) أي: سميع لأقوال خلقه، بصير بهم، فيهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وهو الحاكم العادل في جميع ذلك .

وقال الشنقيطي $:

(وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ) أي: يوم القيامة القريب مجيؤها ووقوعها. وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من اقتراب قيام الساعة، جاء موضحًا في آيات أخر كقوله تعالى: (أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾) [النجم: ٥٧-٥٨]، وقوله تعالى : (ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ) [القمر : ١] الآية . وقوله تعالى: (ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ) [الأنبياء : ١] الآية . وقوله تعالى في الأحزاب : (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾) [الأحزاب : ٦٣]، وقوله تعالى في الشورى: (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾) [الشورى : ١٧] .

وقال الشنقيطي $:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ) الظاهر فيه ، أن إذ ، بدل من يوم ، وعليه فهو من قبيل المفعول به ، لا المفعول فيه ، كما بينا آنفًا .

والقلوب : جمع قلب وهو معروف .

ولدى : ظرف بمعنى عند .

والحناجر : جمع حنجرة وهي معروفة .

ومعنى كون القلوب لدى الحناجر ، في ذلك الوقت فيه لعلماء التفسير وجهان معروفان .

أحدهما : ما قاله قتادة وغيره ، من أن قلوبهم يومئذ ، ترتفع من أماكنها في الصدور حتى تلتصق بالحلوق ، فتكون لدى الحناجر ، فلا هي

تخرج من أفواههم فيموتوا ، ولا هي ترجع إلى أماكنها في الصدور فيتنفسوا . وهذا القول هو ظاهر القرآن .

والوجه الثاني : هو أن المراد بكون القلوب ، لدى الحناجر ، بيان شدة الهول ، وفظاعة الأمر ، وعليه فالآية كقوله تعالى : ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ **[الأحزاب : ١٠-١١]** وهو زلزال خوف وفزع لا زلزال حركة الأرض .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿كَـٰظِمِينَ﴾ معناه مكروبين ممتلئين خوفًا وغمًّا وحزنًا .

والكظم : تردد الخوف والغيظ والحزن في القلب حتى يمتلئ منه ، ويضيق به .

والعرب تقول : كظمت السقاء إذا ملأته ماء ، وشددته عليه .

وقول بعضهم كاظمين ، أي ساكتين ، لا ينافي ما ذكرنا ، لأن الخوف والغم الذي ملأ قلوبهم يمنعهم من الكلام ، فلا يقدرون عليه ، ومن إطلاق الكظم على السكوت قول العجاج :

وربّ أسراب حجيج كظّم عن اللّغا ورفث التكلّمِ

ويرجع إلى هذا القول معنى قول من قال : كاظمين أي لا يتكلمون إلا من أذن له الله ، وقال الصواب ، كما قال تعالى : ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ **[النبأ : ٣٨]** .

وقوله : ﴿كَـٰظِمِينَ﴾ حال من أصحاب القلوب على المعنى . والتقدير إذ القلوب لدى الحناجر أي إذ قلوبهم لدى حناجرهم في حال كونهم كاظمين

، أي ممتلئين خوفًا وغمًا وحزنًا ، ولا يبعد أن يكون حالًا من نفس القلوب ، لأنها وصفت بالكظم الذي هو صفة أصحابها .

ونظير ذلك في القرآن : ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ **[يوسف : ٤]** فإنه أطلق في هذه الآية الكريمة ، على الكواكب والشمس والقمر صفة العقلاء في قوله تعالى : ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ والمسوغ لذلك وصفه الكواكب والشمس والقمر بصفة العقلاء التي هي السجود .

ونظير ذلك أيضًا قوله تعالى : ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾﴾ **[الشعراء : ٤]** وقوله تعالى : ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾. **[فصلت : ١١]** .

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أو لم يسر هؤلاء المكذبون بالبعث الجاحدون وحدانية الله، المشركون به، الطغاة الظالمون، أو لم يسيروا في الأرض وينظروا في جوانبها ونواحيها وطرقها فهنالك الظالمون الذين أبادهم الله ٥ وأفناهم كانوا أشد قوة من هؤلاء وأكثر جمعًا وقد تركوا من الآثار ما يدل على قوتهم وشدة بطشهم، ولكن أين هم الآن، لقد أبادهم الله وأفناهم وأخذهم أخذة عزيز مقتدر فلم يكن لهم واق يقيهم عذاب الله، ولا مدافع

يدفعه عنهم، وذلك الأخذ سببه تكذيبهم لرسل الله الكرام وجحدهم لوحدانية الله، كان ذلك سببًا في أخذهم والانتقام منهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: أو لم يسر هؤلاء المقيمون على شركهم بالله، المكذبون رسوله من قريش، في البلاد، ﴿فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ يقول: فيروا ما الذي كان خاتمة أمم الذين كانوا من قبلهم من الأمم الذين سلكوا سبيلهم، في الكفر بالله، وتكذيب رسله ﴿كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةً﴾ يقول: كانت تلك الأمم الذين كانوا من قبلهم أشد منهم بطشا، وأبقى في الأرض آثارا، فلم تنفعهم شدة قواهم، وعظم أجسامهم، إذ جاءهم أمر الله، وأخذهم بما أجرموا من معاصيه، واكتسبوا من الآثام، ولكنه أباد جمعهم، وصارت مساكنهم خاوية منهم بما ظلموا ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٢١﴾ يقول: وما كان لهم من عذاب الله إذ جاءهم، من واق يقيهم، فيدفعه عنهم.

وقال $:

يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعلت بهؤلاء الأمم الذين من قبل مشركي قريش من إهلاكناهم بذنوبهم فعلنا بهم بأنهم كانت تأتيهم رسل الله إليهم بالبينات، يعني بالآيات الدالات على حقيقة ما تدعوهم إليه من توحيد الله، والانتهاء إلى طاعته ﴿فَكَفَرُواْ﴾ يقول: فأنكروا رسالتها، وجحدوا توحيد الله، وأبوا أن يطيعوا الله ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ يقول: فأخذهم الله بعذابه فأهلكهم ﴿إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٢﴾ يقول: إن الله ذو قوة لا يقهره شيء، ولا يغلبه، ولا يعجزه شيء أراده، شديد عقابه من عاقب من خلقه، وهذا وعيد من الله

(٢٤١) أحمر
أسود

مشركي قريش، المكذبين رسوله محمدًا يقول لهم جل ثناؤه: فاحذروا أيها القوم أن تسلكوا سبيلهم في تكذيب محمد وجحود توحيد الله، ومخالفة أمره ونهيه فيسلك بكم في تعجيل الهلاك لكم مسلكهم.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: أو لم يسر هؤلاء المكذبون برسالتك يا محمد ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ أي: من الأمم المكذبة بالأنبياء، ما حل بهم من العذاب والنكال مع أنهم كانوا أشد من هؤلاء قوة ﴿وَءَاثَارًا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: أثروا في الأرض من البنايات والمعالم والديارات، ما لا يقدر عليه هؤلاء، كما قال: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦]، وقال ﴿وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ [الروم: ٩] أي: ومع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد، أخذهم الله بذنوبهم، وهي كفرهم برسلهم، ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٢١﴾ أي: وما دفع عنهم عذاب الله أحد، ولا رده عنهم راد، ولا وقاهم واق.

ثم ذكر علة أخذه إياهم وذنوبهم التي ارتكبوها واجترموها، فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالدلائل الواضحات والبراهين القاطعات، ﴿فَكَفَرُواْ﴾ أي: مع هذا البيان والبرهان كفروا وجحدوا، ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ أي: أهلكهم ودمَّر عليهم وللكافرين أمثالها، ﴿إِنَّهُۥ

قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٢٣ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ

(٢٤٢) أحمر
أسود

فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾
وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ
فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا
يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ
أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا
فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ
مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ
ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ
وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ
﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ
جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ
قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ
﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ
ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى
لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ
فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾) [غافر: ٢٣-٣٧]

(٢٤٣) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(بِـَٔايَٰتِنَا - وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ - وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ - كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ - فِي ضَلَٰلٖ - ذَرُونِيٓ - عُذۡتُ - مُسۡرِفٞ - ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ - بَأۡسِ ٱللَّهِ - وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ - يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ - دَأۡبِ - يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ - تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ - عَاصِمٖۗ - هَلَكَ - مُّرۡتَابٌ - صَرۡحٗا - ٱلۡأَسۡبَٰبَ - أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ - تَبَابٖ).

ج:

الكلمة	معناها
(بِـَٔايَٰتِنَا)	بحججنا الدالة على وحدانيتنا والدالة على نبوة موسى ﵇
(وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ)	حجة مظهرةٌ لمن تأملها أن موسى ﵇ صادق
(وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡ)	استبقوا نساءهم للخدمة والامتهان اتركوا نساءهم أحياء
(كَيۡدُ)	مكر الكافرين - احتيال الكافرين - تدبير الكافرين
(فِي ضَلَٰلٖ)	ضياع - ذهاب - بطلان - عدم فائدة - حيودٌ عن طريق الحق
(ذَرُونِيٓ)	دعوني - اتركوني
(عُذۡتُ)	لجأت إلى ربي مستنجدًا به
(مُسۡرِفٞ)	مشرك - مكثر من الكبائر والقتل والإجرام
(ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ)	ممكنون في الأرض، لكم الغلبة فيها على غيركم
(بَأۡسِ ٱللَّهِ)	عذاب الله

(٢٤٤) أحمر
أسود

﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾	ما أرشدكم إلا إلى طريق الحق
﴿يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾	اليوم الذي أحلَّ الله فيه بالأحزاب عذابه ونقمته والأحزاب هم الذين تخربوا على أنبيائهم لحربهم
﴿دَأۡبِ﴾	عادة - شأن
﴿يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾	يوم القيامة - ينادي الخلق بعضهم بعضًا
﴿تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ﴾	تنصرفون هاربين
﴿عَاصِمٖۗ﴾	مانع يمنعكم من العذاب
﴿هَلَكَ﴾	مات
﴿مُّرۡتَابٌ﴾	شاك
﴿صَرۡحٗا﴾	قصرًا عاليًا شاهقًا منيعًا
﴿ٱلۡأَسۡبَٰبَ﴾	الطرق - الأبواب - ما يتوصل به إلى الأشياء
﴿أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾	الطرق المؤدية إلى السموات وأبوابها
﴿تَبَابٖ﴾	خسار - بطلان - ضلال

❁ ❁ ❁

س: ما وجه التذكير بقصة موسى ؟

ج: ذلك، والله أعلم، لتصبير النبي ولمواساته على ما يلقى من أذى قومه.

(٢٤٥) أحمر
أسود

س: ما هذه الآيات التي ذكرها الله في قوله : (أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾)؟

ج: هي الآيات التسع التي ذكرها الله ٥ إذ قال: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾) [الإسراء: ١٠١]، وأعظمها العصى التي تتحول بإذن الله إلى حية تسعى، واليد التي تخرج بيضاء من غير سوء.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، ولقد أرسلنا يا رسولنا من قبلك موسى غ إلى فرعون الذي ادعى الربوبية والإلهية فقال: (مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى) [القصص: ٣٨]، وقال: (أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾) [النازعات: ٢٤]، وكذا إلى وزيره وزير السوء هامان، وإلى الذي أطغاه ماله وجاهه وهو قارون الإسرائيلي الطاغي الباغي.

أرسلنا موسى غ لهؤلاء بحججنا الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا، والدالة على صدق رسولنا فما كان منهم، وبعد رؤيتهم للآيات إلا تكذيب موسى غ، ووصفه بالسحر، وهكذا شأن الأمم السابقة لأمتك يا رسول الله، قال تعالى: (كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾) [الذاريات: ٥٢]، فلا تجزع يا رسول الله ولا تحزن إذا وصفك قومك بالسحر، فقد وُصف من قبلك بمثل هذا.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره مسليًا نبيه محمد □، عما كان يلقى من مشركي قومه من قريش، بإعلامه ما لقي موسى ممن أرسل إليه من التكذيب، ومخيره أنه معليه عليهم، وجاعل دائرة السوء على من حاده وشاقه، كسنته في موسى صلوات الله عليه، إذ أعلاه، وأهلك عدوه فرعون ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ : يعني بأدلته ﴿وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾﴾.

وقال:

يقول: وحججه المبينة لمن يراها أنها حجة محققة ما يدعو إليه موسى﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾﴾ يقول: فقال هؤلاء الذين أرسل إليهم موسى لموسى: هو ساحر يسحر العصا، فيرى الناظر إليها أنها حية تسعى.

﴿كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾﴾ يقول: يكذب على الله، ويزعم أنه أرسله إلى الناس رسولا.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى مسليًا لنبيه □ في تكذيب من كذبه من قومه، ومبشرًا له بأن العاقبة والنصرة له في الدنيا والآخرة، كما جرى لموسى بن عمران، فإن الله تعالى أرسله بالآيات البينات، والدلائل الواضحات؛ ولهذا قال: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾﴾ والسلطان هو: الحُجة والبرهان.

﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾ هو: ملك القبط بالديار المصرية، ﴿وَهَٰمَٰنَ﴾ وهو: وزيره في مملكته ﴿وَقَٰرُونَ﴾ وكان أكثر الناس في زمانه مالا وتجارة ﴿فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾﴾ أي: كذبوه وجعلوه ساحرًا مُمَخرِقًا مموهًا كذابًا في أن الله

(٢٤٧) أحمر
أسود

أرسله. وهذه كقوله: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الذاريات ٥٢-٥٣].

❁ ❁ ❁

س: كيف وجه الأمر بقتل الأبناء لما جاءهم موسى بالبينات، ومعلوم أن قتل الأبناء كان قديمًا في العام الذي ولد فيه موسى غ؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن الأمر بقتل الأبناء تكرر وشُدِّد فيه مرة ثانية بعد مجيء موسى غ ولذا قال قوم موسى لموسى غ: ﴿أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ ...﴾ [الأعراف: ١٢٩] والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، وما كان جواب فرعون على ما دعاه إليه موسى غ إلا التكذيب والتهديد بالقتل بل الأمر بقتل الأبناء الصغار واستبقاء النساء لإذلال أهاليهن وأزواجهن ولاستخدامهن وامتهانهن، ولكن كل ذلك لن يكن بضائر أهل الإيمان شيئًا فمكر الكافرين في ضياع وذهاب وبطلان، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: فلما جاء موسى هؤلاء الذين أرسله الله إليهم بالحق من عندنا، وذلك مجيئه إياهم بتوحيد الله، والعمل بطاعته، مع إقامة الحجة عليهم، بأن الله ابتعثه إليهم بالدعاء إلى ذلك ﴿قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله ﴿مَعَهُۥ﴾ من بني إسرائيل ﴿وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ﴾ يقول: واستبقوا نساءهم

(٢٤٨) أحمر
أسود

للخدمة.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ﴾، وإنما كان قتل فرعون الولدان من بني إسرائيل حذار المولود الذي كان أخبر أنه على رأسه ذهاب ملكه، وهلاك قومه، وذلك كان فيما يقال قبل أن يبعث الله موسى نبيًّا؟ قيل: إن هذا الأمر بقتل أبناء الذين آمنوا مع موسى، واستحياء نسائهم، كان أمرا من فرعون وملئه من بعد الأمر الأول الذي كان من فرعون قبل مولد موسى.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قال: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ﴾ قال: هذا قتل غير القتل الأول الذي كان.

وقال $:

وقوله: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾ يقول: وما احتيال أهل الكفر لأهل الإيمان بالله إلا في جور عن سبيل الحق، وصد عن قصد المحجة، وأخذ على غير هدى.

وقال ابن كثير $:

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا ﴾ أي: بالبرهان القاطع الدال على أن الله تعالى أرسله إليهم، ﴿قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ﴾ وهذا أمر ثان من فرعون بقتل ذكور بني إسرائيل. أما الأول: فكان لأجل الاحتراز من وجود موسى، أو لإذلال هذا الشعب وتقليل عددهم، أو لمجموع الأمرين. وأما الأمر الثاني: فللعلة الثانية، لإهانة هذا الشعب،

ولكي يتشاءموا بموسى، غ؛ ولهذا قالوا: ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾.

[الأعراف: ١٢٩]

قال قتادة: هذا أمر بعد أمر.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾ أي: وما مكرهم وقصدهم الذي هو تقليل عدد بني إسرائيل لئلا يُنصروا عليهم، إلا ذاهب وهالك في ضلال.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا﴾ وهي المعجزة الظاهرة ﴿قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ قال قتادة : هذا قتل غير القتل الأول لأن فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان بعد ولادة موسى فلما بعث الله موسى أعاد القتل على بني إسرائيل عقوبة لهم فيمتنع الإنسان من الإيمان ولئلا يكثر جمعهم فيعتضدوا بالذكور من أولادهم، فشغلهم الله عن ذلك بما أنزل عليهم من أنواع العذاب كالضفادع والقمل والدم والطوفان إلى أن خرجوا من مصر فأغرقهم الله وهذا معنى قوله تعالى : ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾ أي في حسران وهلا ك وإن الناس لا يمتنعون من الإيمان وإن فعل بهم مثل هذا فكيده يذهب باطلًا.

❀ ❀ ❀

س: لماذا قيل: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾ ولم يقل: (وما كيدهم إلا في ضلال)؟

(٢٥٠) أحمر
أسود

ج: ذلك، والله أعلم، للخروج بالقصة إلى حيز العموم؛ لبيان أن كل كافرٍ كيده في ضلال.

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ٢٥﴾، حيث لم يتم لهم ما قصدوا، بل أصابهم ضد ما قصدوا، أهلكهم الله وأبادهم عن آخرهم.

قاعدة

وتدبر هذه النكتة التي يكثر مرورها بكتاب الله تعالى: إذا كان السياق في قصة معينة أو على شيء معين، وأراد الله أن يحكم على ذلك المعين بحكم، لا يختص به ذكر الحكم، وعلقه على الوصف العام ليكون أعم، وتندرج فيه الصورة التي سيق الكلام لأجلها، وليندفع الإيهام باختصاص الحكم بذلك المعين.

فلهذا لم يقل: (وما كيدهم إلا في ضلال). بل قال: ﴿وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ٢٥﴾.

❁ ❁ ❁

س: في قوله: ﴿يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦﴾ قراءتان. وضحهما.

ج: **الأولى:** ﴿يُظۡهِرَ﴾ بضم الياء، وبفتح الدال في قوله: ﴿ٱلۡفَسَادَ ٢٦﴾.

والثانية: (**يَظهر**) بفتح الياء، وضم الدال من قوله: (**الفسادُ**).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أن فرعون يقول لقومه لما جاءه موسى

بالبينات، وعجز فرعون عن مواجهة الحجة بالحجة، فما كان منه إلا أن لوح بالبطش والقتل وهدّد به فقال لقومه: دعوني أقتل موسى وليدع ربه أن ينجيه مني، دعوني أقتله فإني أخاف أن ينشر الفساد في الأرض، وهكذا ادعى عدو الله فرعون على نبي الله وكليمه موسى أنه يريد أن يظهر الفساد في الأرض، فغريب ومستنكر صنيع أهل الإجرام.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لملئه: ﴿ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ الذي يزعم أنه أرسله إلينا فيمنعه منا ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ يقول: إني أخاف أن يغير دينكم الذي أنتم عليه بسحره.

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ٢٦﴾ فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والشام والبصرة: **(وأن يظهر في الأرض الفساد)** بغير ألف، وكذلك ذلك في مصاحف أهل المدينة، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: ﴿أَوْ أَن﴾ بالألف، وكذلك ذلك في مصاحفهم**(يَظهر في الأرض)** بفتح الياء ورفع الفساد.

والصواب من القول في ذلك عندنا: أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار متقاربتا المعنى، وذلك أن الفساد إذا أظهره مظهرًا كان ظاهرًا، وإذا ظهر فبإظهار مظهره يظهر، ففي القراءة بإحدى القراءتين فى ذلك دليل واضح على صحة معنى الأخرى. وأما القراءة في: ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ﴾ بالألف وبحذفها، فإنهما أيضا متقاربتا المعنى، وذلك أن الشيء إذا بدل إلى خلافه فلا شك أن خلافه المبدل إليه الأول هو الظاهر دون المبدل، فسواء عطف على خبره عن خوفه من موسى أن يبدل دينهم

بالواو أو بأو، لأن تبديل دينهم كان عنده هو ظهور الفساد، وظهور الفساد كان عنده هو تبديل الدين.

فتأويل الكلام إذن: إني أخاف من موسى أن يغير دينكم الذي أنتم عليه، أو أن يظهر في أرضكم أرض مصر، عبادة ربه الذي يدعوكم إلى عبادته، وذلك كان عنده هو الفساد.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

وأورد بإسنادٍ حسن: عن قتادة: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ﴾ : أي أمركم الذي أنتم عليه ﴿أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦﴾ والفساد عنده أن يعمل بطاعة الله.

وقال ابن كثير $:

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ﴾ وهذا عَزْمٌ من فرعون -لعنه الله-على قتل موسى، غ، أي: قال لقومه: دعوني حتى أقتل لكم هذا، ﴿وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ﴾ أي: لا أبالي منه. وهذا في غاية الجحد والتجهرم والعناد.

وقوله -قبحه الله-: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦﴾ يعني: موسى، يخشى فرعون أن يُضِلَّ موسى الناس ويغير رسومهم وعاداتهم. وهذا كما يقال في المثل: «صار فرعون مُذَكِّرًا» يعني: واعظًا، يشفق على الناس من موسى، غ.

وقرأ الأكثرون: **(أن يبدل دينكم وأن يُظهِر في الأرض الفساد)** وقرأ آخرون: ﴿أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦﴾ وقرأ بعضهم: **(يَظْهَر في الأرض الفسادُ)** بالضم .

وقال موسى: ﴿إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴾

أي: لما بلغه قول فرعون: ﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ﴾ قال موسى: استجرتُ بالله وعُذْتُ به من شره وشر أمثاله؛ ولهذا قال: ﴿إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾ أيها المخاطبون ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ﴾ أي: عن الحق، مجرم، ﴿لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾.

س: وضح معنى قول موسى ڠ: ﴿إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٢٧﴾.

ج: هذا، والله أعلم، معناه أن موسى لما هُدد من فرعون، ما كان أمامه إلا أن يلجأ إلى الله مستنجدًا به مستجيرًا به فقال: إني استجرت بربي ٥ فهو ربي وربكم من كل متعال على الحق مستكبر في الأرض لا يقر ببعثٍ ولا يؤمن بثوابٍ ولا عقابٍ.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وقال موسى لفرعون وملئه: إني استجرت أيها القوم بربي وربكم، من كل متكبر عليه، تكبر عن توحيده، والإقرار بألوهيته وطاعته، لا يؤمن بيوم يحاسب الله فيه خلقه، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بما أساء؛ وإنما خص موسى صلوات الله وسلامه عليه، الاستعاذة بالله ممن لا يؤمن بيوم الحساب، لأن من لم يؤمن بيوم الحساب مصدقًا، لم يكن للثواب على الإحسان راجيا، ولا للعقاب على الإساءة، وقبيح ما يأتي من الأفعال خائفًا، ولذلك كان استجارته من هذا الصنف من الناس خاصة.

وقال الشنقيطي $:

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن نبيه موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، عاذ بربه ، أي اعتصم به ، وتمنع من كل متكبر ، أي

متصف بالكبر ، لا يؤمن بيوم الحساب ، أي لا يصدق بالبعث والجزاء .

وسبب عياذ موسى بربه المذكور ، أن فرعون قال لقومه : (ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾). [غافر: ٢٦]

فعياذ موسى المذكور بالله إنما هو في الحقيقة من فرعون ، وإن كانت العبارة أعم من خصوص فرعون ، لأن فرعون لا شك أنه متكبر ، لا يؤمن بيوم الحساب فهو داخل في الكلام دخولًا أوليًّا ، وهو المقصود بالكلام .

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وقال رجل مؤمن من قوم فرعون، واحدٌ يُسرُّ بالإيمان ويخفيه ولا يظهره: كيف تقتلون رجلًا لا لشيء إلا لكونه قال ربي الله، وقد جاءكم بالحجج الدالة على صدقه في دعواه النبوة وإن يك كاذبًا فإثمه على نفسه، وإن يك صادقًا ما حذروا فقد يحل بكم ما وعدكم به وما دعا عليكم به إن الله لا يوفق للطاعة من هو مشرك مسرف على نفسه بالكبائر والشركيات وظلم العباد.

قال الطبري $:

وقوله: (وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ) اختلف أهل العلم

(٢٥٥) أحمر
أسود

في هذا الرجل المؤمن، فقال بعضهم: كان من قوم فرعون، غير أنه كان قد آمن بموسى، وكان يسر إيمانه من فرعون وقومه خوفا على نفسه.

وقوله: ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ يقول: أتقتلون أيها القوم موسى لأن يقول ربي الله؟ فإن في موضع نصب لما وصفت. ﴿وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ يقول: وقد جاءكم بالآيات الواضحات على حقيقة ما يقول من ذلك. وتلك البينات من الآيات يده وعصاه.

وقوله: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥ﴾ يقول: وإن يك موسى كاذبا في قيله: إن الله أرسله إليكم يأمركم بعبادته، وترك دينكم الذي أنتم عليه، فإنما إثم كذبه عليه دونكم ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡ﴾ يقول: وإن يك صادقا في قيله ذلك، أصابكم الذي وعدكم من العقوبة على مقامكم على الدين الذي أنتم عليه مقيمون، فلا حاجة بكم إلى قتله، فتزيدوا ربكم بذلك إلى سخطه عليكم بكفركم سخطًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ يقول: إن الله لا يوفق للحق من هو متعد إلى فعل ما ليس له فعله، كذاب عليه يكذب، ويقول عليه الباطل وغير الحق.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى الإسراف الذي ذكره المؤمن في هذا الموضع، فقال بعضهم: عني به الشرك، وأراد: إن الله لا يهدي من هو مشرك به مفتر عليه.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ : مشرك أسرف على نفسه بالشرك.

وقال آخرون: عنى به من هو قتال سفاك للدماء بغير حق.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن هذا المؤمن أنه

عم بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ۝٢٨﴾ والشرك من الإسراف، وسفك الدم بغير حق من الإسراف، وقد كان مجتمعا في فرعون الأمران كلاهما، فالحق أن يعم ذلك كما أخبر جل ثناؤه عن قائله، أنه عم القول بذلك.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾ أي: كيف تقتلون رجلا لكونه يقول: ﴿رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾، وقد أقام لكم البرهان على صدق ما جاءكم به من الحق؟ ثم تنزل معهم في المخاطبة فقال: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ﴾ يعني: إذا لم يظهر لكم صحة ما جاءكم به، فمن العقل والرأي التام والحزم أن تتركوه ونفسه، فلا تؤذوه، فإن يك كاذبا فإن الله سيجازيه على كذبه بالعقوبة في الدنيا والآخرة، وإن يك صادقا وقد آذيتموه يصبكم بعض الذي يعدكم، فإنه يتوعدكم إن خالفتموه بعذاب في الدنيا والأخرى، فمن الجائز عندكم أن يكون صادقا، فينبغي على هذا ألا تتعرضوا له، بل اتركوه وقومه يدعوهم ويتبعونه.

وهكذا أخبر الله عن موسى، غ، أنه طلب من فرعون وقومه الموادعة في قوله: ﴿۞وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ ۝١٧ أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ۝١٨ وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ۝١٩ وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ ۝٢٠ وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ ۝٢١﴾ [الدخان: ١٧ - ٢١]، وهكذا قال رسول الله ﷺ لقريش أن يتركوه يدعو إلى الله عباد الله، ولا يمسوه بسوء، وأن يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة في ترك أذيته، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى: ٢٣] أي: إلا أن لا تؤذوني فيما

(٢٥٧) أحمر
أسود

بيني وبينكم من القرابة، فلا تؤذوني وتتركوا بيني وبين الناس. وعلى هذا وقعت الهدنة يوم الحديبية، وكان فتحًا مبينًا.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ٢٨﴾ أي: لو كان هذا الذي يزعم أن الله أرسله إليكم كاذبًا كما تزعمون، لكان أمره بينا، يظهر لكل أحد في أقواله وأفعاله، كانت تكون في غاية الاختلاف والاضطراب، وهذا نرى أمره سديدا ومنهجه مستقيما، ولو كان من المسرفين الكذابين لما هداه الله، وأرشده إلى ما ترون من انتظام أمره وفعله .

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

فقال ذلك الرجل المؤمن الموفق العاقل الحازم، مقبحًا فعل قومه، وشناعة ما عزموا عليه: ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ أي: كيف تستحلون قتله، وهذا ذنبه وجرمه، أنه يقول ربي الله، ولم يكن أيضا قولا مجردًا عن البينات، ولهذا قال: ﴿وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾ لأن بينته اشتهرت عندهم اشتهارًا علم به الصغير والكبير، أي: فهذا لا يوجب قتله.

فهلا أبطلتم قبل ذلك ما جاء به من الحق، وقابلتم البرهان ببرهان يرده، ثم بعد ذلك نظرتم: هل يحل قتله إذا ظهرتم عليه بالحجة أم لا؟ فأما وقد ظهرت حجته، واستعلى برهانه، فبينكم وبين حل قتله مفاوز تنقطع بها أعناق المطي.

ثم قال لهم مقالة عقلية تقنع كل عاقل، بأي حالة قدرت، فقال: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ﴾.

أي: موسى بين أمرين، إما كاذب في دعواه أو صادق فيها، فإن كان كاذبًا فكذبه عليه، وضرره مختص به، وليس عليكم في ذلك ضرر حيث

(٢٥٨) أحمر
أسود

امتنعتم من إجابته وتصديقه، وإن كان صادقًا وقد جاءكم بالبينات، وأخبركم أنكم إن لم تجيبوه عذبكم الله عذابًا في الدنيا وعذابًا في الآخرة، فإنه لا بد أن يصيبكم بعض الذي يعدكم، وهو عذاب الدنيا.

وهذا من حسن عقله، ولطف دفعه عن موسى، حيث أتى بهذا الجواب الذي لا تشويش فيه عليهم، وجعل الأمر دائرًا بين تينك الحالتين، وعلى كل تقدير فقتله سفه وجهل منكم.

ثم انتقل ؓ وأرضاه وغفر له ورحمه - إلى أمر أعلى من ذلك، وبيان قرب موسى من الحق فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ﴾ أي: متجاوز الحد بترك الحق والإقبال على الباطل. ﴿كَذَّابٞ ٢٨﴾ بنسبته ما أسرف فيه إلى الله، فهذا لا يهديه الله إلى طريق الصواب، لا في مدلوله ولا في دليله، ولا يوفق للصراط المستقيم، أي: وقد رأيتم ما دعا موسى إليه من الحق، وما هداه الله إلى بيانه من البراهين العقلية والخوارق السماوية، فالذي اهتدى هذا الهدى لا يمكن أن يكون مسرفًا ولا كاذبًا، وهذا دليل على كمال علمه وعقله ومعرفته بربه.

ثم حذر قومه ونصحهم، وخوفهم عذاب الآخرة، ونهاهم عن الاغترار بالملك الظاهر، فقال: ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ أي: في الدنيا ﴿ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ على رعيتكم، تنفذون فيهم ما شئتم من التدبير، فهبكم حصل لكم ذلك وتم، ولن يتم، ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ﴾ أي: عذابه ﴿إِن جَآءَنَاۚ﴾ ؟ وهذا من حسن دعوته، حيث جعل الأمر مشتركًا بينه وبينهم بقوله: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا﴾ وقوله: ﴿إِن جَآءَنَاۚ﴾ ليفهمهم أنه ينصح لهم كما ينصح لنفسه، ويرضى لهم ما يرضى لنفسه.

(٢٥٩) أحمر
أسود

❀ ❀ ❀

س: ذكر بعض العلماء منقبةً للصديق أبي بكر ؓ عند تفسير الآية الكريمة: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ ...﴾. وضحها.

ج: هذه المنقبة حاصلها أن أبا بكر جهر بإيمانه ودافع عن رسوله ﷺ.

قال الحافظ ابن كثير $:

ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون وهي قوله: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾، اللهم إلا ما رواه البخاري (١) في صحيحه حيث قال:

حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، حدثني يحيى ابن أبي كثير، حدثني محمد بن إبراهيم التيمي، حدثني عروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء مما صنعه المشركون برسول الله ﷺ قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عُقْبة بن أبي مُعَيط، فأخذ بمَنْكب رسول الله ﷺ ولَوَى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر، ؓ، فأخذ بمنكبه ودَفَع عن النبي ﷺ ثم قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾.

❀ ❀ ❀

س: لماذا قدَّم مؤمن آل فرعون احتمالية الكذب على احتمالية الصدق في قوله: ﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾؟ وهل لذلك نظائر في القرآن؟

---

(١) البخاري (٤٨١٥).

(٢٦٠) أحمر
أسود

ج: ذلك، والله أعلم، لدفع الشبهة والرِّيبة حتى لا يظن أنه ممالئ ومجامل لموسى ﷺ.

ومن نظائر هذا في القرآن: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٢٧﴾ [يوسف: ٢٦-٢٧].

قوله: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢٤﴾، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٢٩﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أن مؤمن آل فرعون استمر مُذكرًا بقوله: يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض، أي أنكم ممكنون في الأرض غالبون لمن ناوأكم وخالفكم فمن الذي يمنعنا من عذاب الله إذا حلَّ بنا ونزل، قال فرعون: ما أريكم إلا ما أرى أي أن الذي أشير به عليكم هو رأيي ونصيحتي لكم وما أريد لكم إلا النصح والهداية لطريق الحق.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه: ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني: أرض مصر، يقول: لكم السلطان اليوم والملك ظاهرين أنتم على بنى إسرائيل في أرض مصر ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ﴾ يقول: فمن يدفع عنا بأس الله وسطوته إن حل بنا،

وعقوبته إن جاءتنا، قال فرعون ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ يقول: قال فرعون مجيبًا لهذا المؤمن الناهي عن قتل موسى: ما أُريكم أيها الناس من الرأي والنصيحة إلا ما أرى لنفسي ولكم صلاحا وصوابا، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد. يقول: وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصواب في أمر موسى وقتله، فإنكم إن لم تقتلوه بدل دينكم، وأظهر في أرضكم الفساد.

وقال الحافظ ابن كثير $:

أي: قد أنعم الله عليكم بهذا الملك والظهور في الأرض بالكلمة النافذة والجاه العريض، فراعوا هذه النعمة بشكر الله، وتصديق رسوله □، واحذروا نقمة الله إن كذبتم رسوله، ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ﴾ أي: لا تغني عنكم هذه الجنود وهذه العساكر، ولا ترد عنا شيئا من بأس الله إن أرادنا بسوء.

﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ﴾ لقومه، رادًّا على ما أشار به هذا الرجل الصالح البار الراشد الذي كان أحق بالملك من فرعون: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ أي: ما أقول لكم وأشير عليكم إلا ما أراه لنفسي وقد كذب فرعون، فإنه كان يتحقق صدق موسى فيما جاءه به من الرسالة ﴿ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء:١٠٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ [النمل: ١٤].

فقوله: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ كذب فيه وافترى، وخان الله ورسوله ورعيته، فغشهم وما نصحهم وكذا قوله: ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩﴾ أي: وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصدق والرشد وقد كذب أيضا في ذلك، وإن كان قومه قد أطاعوه واتبعوه، قال الله تعالى: ﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ

(٢٦٢) أحمر
أسود

أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴿٩٧﴾) [هـود: ٩٧]، وقـال تعـالى: (وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾) [طه: ٧٩]، وفي الحديث(١): «**ما من إمام يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا لم يَرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام**».

قال السعدي $:

(قَالَ فِرۡعَوۡنُ) معارضًا له في ذلك، ومغررًا لقومه أن يتبعوا موسى: (مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾) وصدق في قوله: (مَا أُرِيكُمْ إلا مَا أَرَى) ولكن ما الذي رأى؟

رأى أن يستخف قومه فيتابعوه، ليقيم بهم رياسته، ولم ير الحق معه، بل رأى الحق مع موسى، وجحد به مستيقنًا له.

وكذب في قوله: (وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾) فإن هذا قلب للحق، فلو أمرهم باتباعه اتباعًا مجردًا على كفره وضلاله، لكان الشر أهون، ولكنه أمرهم باتباعه، وزعم أن في اتباعه اتباع الحق وفي اتباع الحق، اتباع الضلال.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله: (يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾).

ج: هذا، والله أعلم، تحذير من مؤمن آل فرعون لقومه، يقول لهم: ويا قوم إني أخلف عليكم إن كذبتم موسى غ ورددتم ما جاءكم به وتوعدتموه، أن يحل بكم ما حل بالأمم من قبلكم بالأحزاب الذين تحزبوا على أنبيائهم

---

(١) البخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٢).

(٢٦٣) أحمر
أسود

وكفروا بربهم فانتقم الله منهم، أخاف عليكم أن يحل بكم مثل ما حلَّ بهم، مثل الصنيع الذي حل بقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لما كذبوا أنبياءهم، فربنا سبحانه وتعالى لا يريد ظلمكم بل يرسل إليكم رسلًا يحذرونكم وينذرونكم ما قبلوا ما جاءكم به موسى □.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وقال المؤمن من آل فرعون وملئه: يا قوم إني أخاف عليكم بقتلكم موسى إن قتلتموه مثل يوم الأحزاب الذين تحزبوا على رسل الله نوح وهود وصالح، فأهلكهم الله بتجرئهم عليه، فيهلككم كما أهلكهم.

وقوله: ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ يقول: يفعل ذلك بكم فيهلككم مثل سنته في قوم نوح وعاد وثمود وفعله بهم.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ يعني قوم إبراهيم، وقوم لوط، وهم أيضا من الأحزاب.

وقوله: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه: وما أهلك الله هذه الأحزاب من هذه الأمم ظلما منه لهم بغير جرم اجترموه بينهم وبينه، لأنه لا يريد ظلم عباده، ولا يشاؤه، ولكنه أهلكهم بإجرامهم وكفرهم به، وخلافهم أمره.

وقال الحافظ ابن كثير $:

هذا إخبار من الله، ۵، عن هذا الرجل الصالح، مؤمن آل فرعون: أنه حذر قومه بأس الله في الدنيا والآخرة فقال: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾﴾ أي: الذين كذبوا رسل الله في قديم الدهر، كقوم نوح وعاد

وثمود، والذين من بعدهم من الأمم المكذبة، كيف حل بهم بأس الله، وما رده عنهم راد، ولا صده عنهم صاد.

﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ٣١﴾ أي: إنما أهلكهم الله بذنوبهم، وتكذيبهم رسله، ومخالفتهم أمره. فأنفذ فيهم قدره.

❀ ❀ ❀

س: ما المراد بيوم التناد؟ ولماذا أطلق عليه يوم التناد؟

ج: المراد بيوم التناد يوم القيامة، وأطلق عليه يوم التناد لنداء الناس بعضهم بعضًا فأحيانًا ينادي أهل النار أهل الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أم مما رزقكم الله، وأحيانًا ينادي أهل الجنة أهل النار ﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗا﴾ [الأعراف: ٤٤]، وأحيانًا ينادي الشخص أباه أو أخاه أو قريبه أو حميمه، إلى غير ذلك من صور النداءات التي تحمل توبيخًا أحيانًا وتحمل تبكيتًا أحيانًا أُخر وتحمل لومًا واستغاثة إلى غير ذلك، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله: ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٣٣﴾.

ج: هذا، والله أعلم، تحذيرٌ من مؤمن آل فرعون لقومه فيقول لهم مُحذرًا يا قوم إني أخاف عليكم عذاب يوم التناد - يوم القيامة - يوم ينادي بعض الخلق بعضًا مستغيثين صارخين، أو معاتبين لائمين أو غير ذلك من أسباب النداءات.

يوم تولون مدبرين، يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه، يوم تولون هاربين تظنون أنكم ستجدون ملجأً أو محيصًا أو مهربًا فلا ملجأً ولا

محيص ولا مهرب.

ومن يصرف الله عن طريق الهداية في الدنيا، فلن تجد له هاديًا يهديه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ٣٤﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن مؤمن آل فرعون يعظم قومه ويذكر قومه فيقول لهم: ولقد جاء يوسف ﷺ إلى أسلافكم وأجدادكم يا أهل مصر، جاءهم بالحجج الواضحات الدالة على نبوته وصدقه والتي فيها تأويله للرؤيا، والتي فيها ما ذكره في السجن إذ قال: ﴿لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ..﴾ [يوسف: ٣٧]، إلى غير ذلك من الآيات، فما زال أسلافكم في تشكك من أمره ومن أمر رسالته حتى إذا مات يوسف ﷺ قالوا: لن يبعث الله رسولًا، واطمئنوا إلى دوام مملكتهم فقد كانوا يتوقعون زوال مملكتهم على يد يوسف ﷺ، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ٣٤﴾ أي: كذلك، وكما أضل الله أولئك، فيضل من هو مكثر من المعاصي والشرك والكبائر متشكك في أمر الله ووحدانيته.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ولقد جاءكم يوسف بن يعقوب يا قوم من قبل موسى بالواضحات من حجج الله.

وقوله: ﴿فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ﴾ يقول: فلم تزالوا مرتابين فيما أتاكم به يوسف من عند ربكم غير موقني القلوب بحقيقته ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾

(٢٦٦) أحمر
أسود

يقول: حتى إذا مات يوسف قلتم أيها القوم: لن يبعث الله من بعد يوسف إليكم رسولا بالدعاء إلى الحق ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ٣٤﴾ يقول: هكذا يصد الله عن إصابة الحق وقصد السبيل من هو كافر به مرتاب، شاك فى حقيقة أخبار رسله.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ يعني: أهل مصر، قد بعث الله فيهم رسولًا من قبل موسى، وهو يوسف، غ، كان عزيز أهل مصر، وكان رسولا يدعو إلى الله أمته القبط، فما أطاعوه تلك الطاعة إلا لمجرد الوزارة والجاه الدنيوي؛ ولهذا قال: ﴿فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ﴾ أي: يئستم فقلتم طامعين: ﴿لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ﴾ وذلك لكفرهم وتكذيبهم ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ٣٤﴾ أي: كحالكم هذا يكون حال من يضله الله لإسرافه في أفعاله وارتياب قلبه.

وقال القرطبي $:

﴿فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ﴾ أي أسلافكم كانوا في شك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ﴾ أي من يدعي الرسالة ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ﴾ أي مثل ذلك الضلال ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ﴾ مشرك ﴿مُّرۡتَابٌ ٣٤﴾ شاك في وحدانية الله تعالى.

❀ ❀ ❀

(٢٦٧) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ (٣٥)﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله، يخاصمون فيها ويدفعونها بالباطل وبدون حجة أتتهم من عند الله، كبر جدالهم مقتًا عند الله، استجلب لهم جدالهم هذا بالباطل المقت الشديد والبغض الشديد والذمّ الشديد من ربهم ﻷ، وكذا استجلب لهم مقت أهل الإيمان، فهكذا يختم الله على قلب كل متكبرٍ على عبادة الله ﻷ، متعاظم على اتباع الحق، مسرف على نفسه بقتل العباد وأذاهم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل المؤمن من آل فرعون: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ﴾ فقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ مردود على ﴿مَنۡ﴾ في قوله: ﴿مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ﴾ . وتأويل الكلام: كذلك يضل الله أهل الإسراف والغلو في ضلالهم بكفرهم بالله، واجترائهم على معاصيه، المرتابين في أخبار رسله، الذين يخاصمون في حججه التي أتتهم بها رسله ليدحضوها بالباطل من الحجج ﴿بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ﴾ يقول: بغير حجة أتتهم من عند ربهم يدفعون بها حقيقة الحجج التي أتتهم بها الرسل؛ و﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ إذا كان معنى الكلام ما ذكرنا في موضع نصب ردًّا على ﴿مَنۡ﴾.

وقوله: ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يقول: كبر ذلك الجدال الذي يجادلونه في آيات الله مقتًا عند الله، ﴿وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ ﴾ بالله؛ وإنما نصب قوله: ﴿مَقۡتًا﴾ لما في قوله: ﴿كَبُرَ﴾ من ضمير الجدال، وهو نظير قوله: ﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ

﴿تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ﴾ [الكهف: ٥]، فنصب كلمة من نصبها، لأنه جعل في قوله: ﴿كَبُرَتۡ﴾ ضمير قولهم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ٤﴾ [الكهف: ٤] وأما من لم يضمر ذلك فإنه رفع الكلمة.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥﴾ يقول: كما طبع الله على قلوب المسرفين الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم، كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر على الله أن يوحده، ويصدق رسله. جبار: يعني متعظم عن اتباع الحق.

وقال الحافظ ابن كثير $:

ثم قال: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ﴾ أي: الذين يدفعون الحق بالباطل، ويجادلون الحجج بغير دليل وحجة معهم من الله، فإن الله يمقت على ذلك أشد المقت؛ ولهذا قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ أي: والمؤمنون أيضا يُبغضُون من تكون هذه صفته، فإن من كانت هذه صفته، يطبع الله على قلبه، فلا يعرف بعد ذلك معروفًا، ولا ينكر منكرًا؛ ولهذا قال: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ﴾ أي: على اتباع الحق ﴿جَبَّارٖ ٣٥﴾.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ٣٧﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أن فرعون، وبعد استماعه إلى موعظة المؤمن من آله تمادى في غيِّه وضلاله فقال لوزيره وزير السوء هامان: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا﴾ قصرًا عاليًا شاهقًا لعلي أسلك الأسباب والطرق التي توصلني

(٢٦٩) أحمر
أسود

إلى إله موسى الذي يدعي أنه له إلـه مع ظنـي القطعي وتأكدي أن موسى كـاذب فـي دعـواه، وهكذا زين الشيطان لفرعون عملـه وحسنه فـي عينـه وقلبـه وصـرف عن طريـق الحـق إلـى طريـق الباطـل، ودبَّر وتـآمر وما تدبيره وما كيده إلا في ضياع وخسران.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وقال فرعون لما وعظه المؤمن من آلـه بما وعظـه به وزجره عن قتل موسى نبي الله وحذره من بـأس الله علـى قيلـه: أقتلـه ما حـذره لـوزيره وزيـر السـوء هامـان: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦﴾ يعني بناء. وقد بينا معنى الصرح فيما مضى بشواهده بما أغنـى عن إعادته في هذا الموضع.

﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦﴾ اختلف أهل التأويل في معنى الأسباب في هذا الموضع، فقال بعضهم: أسباب السموات: طرقها.

وقال آخرون: عني بأسباب السموات: أبواب السموات.

وقال آخرون: بل عني به منزل السماء.

فأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال: معناه لعلـي أبلـغ من أسباب السموات أسبابا أتسبب بها إلى رؤية إله موسى، طرقًا كانت تلك الأسباب منها، أو أبوابا، أو منازل، أو غير ذلك.

وقولـه: ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ اختلـف القـراء فـي قـراءة قولـه: ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ فقرأت ذلك عامة قراء الأمصـار: **(فـأطلعُ)** بضـم العين: ردًّا علـى قولـه: ﴿أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦﴾ وعطفًـا بـه عليـه. وذكـر عن حميـد الأعـرج أنـه قـرأ ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ نصبًا جوابًا لـ(لعلي)، وقد ذكر الفراء أن بعض العرب أنشده:

(٢٧٠) أحمر
أسود

عَلَّ صُرُوف الدَّهْرِ أَوْ دُولاتِـها
يُدِلْنَنـا اللَّمَّـةَ مِنْ لَـمَّاتِـها
فَتَسْتَرِيحَ النَّفْسُ مِنْ زَفْرَاتِـها

فنصب فتستريح على أنها جواب للعل.

والقراءة التي لا أستجيز غيرها الرفع في ذلك، لإجماع الحجة من القراء عليه.

وقوله: (وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ) يقول: وإني لأظن موسى كاذبا فيما يقول ويدَّعي من أن له في السماء ربا أرسله إلينا.

وقوله: (وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ) يقول الله تعالى ذكره: وهكذا زين الله لفرعون حين عتا عليه وتمرد، قبيح عمله، حتى سولت له نفسه بلوغ أسباب السموات، ليطلع إلى إله موسى.

وقوله: (وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ) اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة: (وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ) بضم الصاد، على وجه ما لم يسم فاعله.

وقوله: (وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ۝٣٧) يقول تعالى ذكره: وما احتيال فرعون الذي يحتال للاطلاع إلى إله موسى، إلا في خسار وذهاب مال وغبن، لأنه ذهبت نفقته التي أنفقها على الصرح باطلًا ولم ينل بما أنفق شيئًا مما أراده، فذلك هو الخسار والتباب.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى مخبرًا عن فرعون، وعتوه، وتمرده، وافترائه في تكذيبه موسى، غ، أنه أمر وزيره هامان أن يبني له صرحًا، وهو: القصر العالي

(٢٧١) أحمر
أسود

المنيف الشاهق. وكان اتخاذه من الآجرّ المضروب من الطين المشوي، كما قال: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا﴾ [القصص: ٣٨]، ولهذا قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون البناء بالآجر، وأن يجعلوه في قبورهم. رواه ابن أبي حاتم.

وقوله: ﴿لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ قال سعيد بن جبير، وأبو صالح: أبواب السموات. وقيل: طرق السموات ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾، وهذا من كفره وتمرده، أنه كذب موسى في أن الله، ٥، أرسله إليه، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: بصنيعه هذا الذي أراد أن يوهم به الرعية أنه يعمل شيئًا يتوصل به إلى تكذيب موسى، غ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ قال ابن عباس، ومجاهد: يعني إلا في خسار .

وقال القرطبي $ في قوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ أي وإني لأظن موسى كاذبا في ادعائه إلهًا دوني وإنما أفعل ما أفعل لإزاحة العلة وهذا يوجب شك فرعون في أمر الله وقيل : إن الظن بمعنى اليقين أي وأنا أتيقن أنه كاذب وإنما أقول ما أقوله لإزالة الشبة عمن لا أتيقن ما أتيقنه.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

(وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾
يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾
مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ
أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾
۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾
تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى
ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى
ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾
فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ
بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ
ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟
ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾)

[غافر: ٣٨-٤٦]

(٢٧٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(أَهْدِكُمْ -سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ -مَتَٰعٌ -دَارُ ٱلْقَرَارِ - لَا جَرَمَ -لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ - مَرَدَّنَآ -ٱلْمُسْرِفِينَ -وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ - فَوَقَىٰهُ -سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ -وَحَاقَ -غُدُوًّا - وَعَشِيًّا).

ج:

الكلمة	معناها
(أَهْدِكُمْ)	أرشدكم - أدلكم
(سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ)	طريق الحق والصواب - الطريق الموصل إلى
(مَتَٰعٌ)	ما يستمتع به ثم يزول
(دَارُ ٱلْقَرَارِ)	دار الاستقرار وعدم الزوال وعدم الانتقال
(لَا جَرَمَ)	حقًّا
(لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ)	ليس له دعاء - لا يدعو
(مَرَدَّنَآ)	مرجعنا - حسابنا يوم الحساب
(ٱلْمُسْرِفِينَ)	المشركون - مرتكبو الكبائر والمعاصي والآثام
(وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ)	أسلِّم أمري - أستعين بالله على أموري
(فَوَقَىٰهُ)	فصرف عنه
(سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟)	المكر السيئ الذي مكروه - التدبير السيئ الذي دبَّروه له
(وَحَاقَ)	حلَّ - نزل
(غُدُوًّا)	صباحًا

(٢٧٤) أحمر
أسود

(وَعَشِيًّا)	مساءً

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن مؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه وجَّه النصح صريحًا إلى قومه قائلًا لهم: يا قوم اتبعون فيما دعوتكم إليه من الحق، فأنا أدلكم على طريق الحق والصواب الموصل إلى جنة الله **٥** إلى مرضاته ليس كما يقول فرعون إذ قال: (مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾)، ثم يواصل مؤمن آل فرعون تذكيره بقوله: (يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ) أي: ما هي إلا متاع يستمتع به زمنًا قصيرًا ثم تزول ويزول متاعها، أما الآخرة ففيها الاستقرار والخلود وعدم الخروج، والمراد بالآخرة هنا الجنة أو النار.

وقوله:- (مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ).، حاصله: من عمل بالمعاصي في الدنيا فيجازى بالسيئة سيئة أما الشرك فإنه يحبط الأعمال.

(وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾) أي: يرزقون فيها بلا تحديد أي كيفما شاءوا رزقوا.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن المؤمن بالله من آل فرعون: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ﴾ من قوم فرعون لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾﴾ يقول: إن اتبعتموني فقبلتم مني ما أقول لكم، بينت لكم طريق الصواب الذي ترشدون إذا أخذتم فيه وسلكتموه وذلك هو دين الله الذي ابتعث به موسى. يقول: ﴿إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ يقول لقومه: ما هذه الحياة الدنيا العاجلة التي عجلت لكم في هذه الدار إلا متاع تستمتعون بها إلى أجل أنتم بالغوه، ثم تموتون وتزول عنكم ﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ يقول: وإن الدار الآخرة، وهي دار القرار التي تستقرون فيها فلا تموتون ولا تزول عنكم، يقول: فلها فاعملوا، وإياها فاطلبوا.

وقال $:

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾.

يقول: من عمل بمعصية الله في هذه الحياة الدنيا، فلا يجزيه الله في الآخرة إلا سيئة مثلها، وذلك أن يعاقبه بها؛ ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ يقول: ومن عمل بطاعة الله فى الدنيا، وائتمر لأمره، وانتهى فيها عما نهاه عنه من رجل أو امرأة، وهو مؤمن بالله ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ يقول: فالذين يعملون ذلك من عباد الله يدخلون في الآخرة الجنة.

وقال ابن كثير $:

يقول المؤمن لقومه ممن تمرد وطغى وآثر الحياة الدنيا، ونسي الجبار الأعلى، فقال لهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾﴾ لا كما كذب

(٢٧٦) أحمر
أسود

فرعون في قوله: ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٢٩﴾ .

ثم زهدهم في الدنيا التي آثروها على الأخرى، وصدتهم عن التصديق برسول الله موسى، فقال: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ﴾ أي: قليلة زائلة فانية عن قريب تذهب وتضمحل، ﴿وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ۝٣٩﴾ أي: الدار التي لا زوال لها، ولا انتقال منها ولا ظعن عنها إلى غيرها، بل إما نعيم وإما جحيم، ولهذا قال ﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ﴾ أي: واحدة مثلها ﴿وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝٤٠﴾ أي: لا يتقدر بجزاء بل يثيبه الله، ثوابًا كثيرًا لا انقضاء له ولا نفاد.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ﴾ أي يتمتع بها قليلا ثم تنقطع وتزول ﴿وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ۝٣٩﴾ أي الاستقرار والخلود ومراده بالدار الآخرة الجنة والنار لأنهما لا يفنيان بين ذلك بقوله: ﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ﴾ يعني الشرك ﴿فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ﴾ وهو العذاب ﴿وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ قال ابن عباس : يعني لا إله إلا الله ﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ مصدق بقلبه لله وللأنبياء ﴿**فأولئك يُدخلون الجنة**﴾ بضم الياء على ما لم يسم فاعله، وهي قراءة ابن كثير وابن محيصن وأبي عمرو ويعقوب وأبي بكر عن عاصم يدل عليه ﴿يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝٤٠﴾ الباقون ﴿يَدۡخُلُونَ﴾ بفتح الياء.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله: ﴿۞وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٤١ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ۝٤٢﴾.

(٢٧٧) أحمر
أسود

ج: قال الطبري في معناها:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هذا المؤمن لقومه من الكفرة: ﴿مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ﴾ من عذاب الله وعقوبته بالإيمان به، واتباع رسوله موسى، وتصديقه فيما جاءكم به من عند ربه ﴿وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾﴾ يقول: وتدعونني إلى عمل أهل النار.

وقوله: ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ يقول: وأشرك بالله في عبادته أوثانا، لست أعلم أنه يصلح لي عبادتها وإشراكها فى عبادة الله، لأن الله لم يأذن لي في ذلك بخبر ولا عقل.

وقوله: ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾﴾ يقول: وأنا أدعوكم إلى عبادة العزيز في انتقامه ممن كفر به، الذي لا يمنعه إذا انتقم من عدو له شيء، الغفار لمن تاب إليه بعد معصيته إياه، لعفوه عنه، فلا يضره شيء مع عفوه عنه، يقول: فهذا الذي هذه الصفة صفته فاعبدوا، لا ما لا ضر عنده ولا نفع.

وقال ابن كثير $:

يقول لهم المؤمن: ما بالي أدعوكم إلى النجاة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له وتصديق رسوله الذي بعثه ﴿وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: على جهل بلا دليل ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾﴾ أي: هو في عزته وكبريائه يغفر ذنب من تاب إليه.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : ﴿۞ وَيَا قَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ﴾ أي إلى طريق

(٢٧٨) أحمر
أسود

الإيمان الموصِّل إلى الجنان (وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾) بين أن ما قال فرعون من قوله (وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾) سبيل الغي عاقبته النار وكانوا دعوه إلى اتباعه ولهذا قال: (تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ) وهو فرعون (وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾).

قال السعدي $:

قوله: (۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ) بما قلت لكم (وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾) بترك اتباع نبي الله موسى غ.

ثم فسر ذلك فقال: (تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ) أنه يستحق أن يعبد من دون الله، والقول على الله بلا علم من أكبر الذنوب وأقبحها، (وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ) الذي له القوة كلها، وغيره ليس بيده من الأمر شيء. (ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾) الذي يسرف العباد على أنفسهم ويتجرؤون على مساخطه ثم إذا تابوا وأنابوا إليه، كفر عنهم السيئات والذنوب، ودفع موجباتها من العقوبات الدنيوية والأخروية.

(لَا جَرَمَ) أي: حقًّا يقينًا (أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ) أي: لا يستحق من الدعوة إليه، والحث على اللجء إليه، في الدنيا ولا في الآخرة، لعجزه ونقصه، وأنه لا يملك نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياة، ولا نشورًا.

(وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ) تعالى فيجازي كل عامل بعمله. (وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾) وهم الذين أسرفوا على أنفسهم بالتجرؤ على ربهم بمعاصيه والكفر به، دون غيرهم.

فلما نصحهم وحذرهم وأنذرهم ولم يطيعوه ولا وافقوه قال لهم:

﴿ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ ﴾ من هذه النصيحة، وسترون مغبة عدم قبولها حين يحل بكم العقاب، وتحرمون جزيل الثواب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ٤٣﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، حقًّا فهذه الأصنام والأوثان التي تدعونني إلى عبادتها ليس لها دعاء أصلًا فهي لا تدعو لكونها جمادات لا تفهم ولا تعي ولا تتكلم فمن ثمَّ لا تدعو لعابديها لا في دنيا ولا في آخرة، وقوله: ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ﴾ مرجعنا إلى الله، وأن الذين أسرفوا على أنفسهم بكذبهم على الله وبشركهم بالله وباقترافهم المعاصي هم أهل النار حقًّا.

قال الطبري $:

يقول: حقًّا أن الذي تدعونني إليه من الأوثان، ليس له دعاء في الدنيا ولا في الآخرة، لأنه جماد لا ينطق، ولا يفهم شيئًا.

وقوله: ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يقول: وأن مرجعنا ومنقلبنا بعد مماتنا إلى الله ﴿وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ٤٣﴾ يقول: وإن المشركين بالله المتعدين حدوده، القتلة النفوس التي حرم الله قتلها، هم أصحاب نار جهنم عند مرجعنا إلى الله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في معنى المسرفين في هذا الموضع، فقال بعضهم: هم سفاكو الدماء بغير حقها.

وقال آخرون: هم المشركون.

قال الطبري $:

(٢٨٠) أحمر
أسود

وإنما اخترنا في تأويل ذلك في هذا الموضع ما اخترنا، لأن قائل هذا القول لفرعون وقومه، إنما قصد فرعون به لكفره، وما كان همَّ به من قتل موسى، وكان فرعون عاليًا عاتيًا في كفر. سفَّاكا للدماء التي كان محرما عليه سفكها، وكل ذلك من الإسراف، فلذلك اخترنا ما اخترنا من التأويل في ذلك.

وقال ابن كثير $:

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: (لَا جَرَمَ) يقول: بلى، إن الذي تدعونني إليه من الأصنام والأنداد (لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ).

قال مجاهد: الوثن ليس بشيء.

وقال قتادة: يعني الوثن لا ينفع ولا يضر.

وقال السدي: لا يجيب داعيه، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وهذا كقوله تعالى: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ۝٦) **[الأحقاف: ٥-٦]**، (إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ) **[فاطر: ١٤]**.

وقوله: (وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ) أي: في الدار الآخرة، فيجازي كلًّا بعمله؛ ولهذا قال: (وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۝٤٣) أي: خالدين فيها بإسرافهم، وهو شركهم بالله.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : (لَا جَرَمَ) تقدم الكلام فيه ومعناه حقًّا (أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ) (ما) بمعنى الذي (لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ) قال الزجاج : ليس له استجابة دعوة تنفع

وقال غيره : ليس له دعوة توجب له الألوهية (فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْآخِرَةِ) وقال الكلبي : ليس له شفاعة في الدنيا ولا في الآخرة وكان فرعون أولا يدعو الناس إلى عبادة الأصنام ثم دعاهم إلى عبادة البقر فكانت تعبد ما كانت شابة فإذا هرمت أمر بذبحها ثم دعا بأخرى لتعبد ثم لما طال عليه الزمان قال: أنا ربكم الأعلى (وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾) قال قتادة و ابن سيرين : يعني المشركين وقال مجاهد والشعبي : هم السفهاء والسفاكون للدماء بغير حقها وقال عكرمة : الجبارون والمتكبرون وقيل : هم الذين تعدوا حدود الله وهذا جامع لما ذكر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: (فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾).

ج: هذا تذكيرٌ من مؤمن آل فرعون لقومه، فبعد أن ذكرهم بالذي ذكرهم به وبيَّن لهم ما ينتظرهم في آخرتهم قال لهم: (فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ) أي: سيأتي يوم تتحققون فيه من صدق مقولتي وصدق تذكرتي، وهو يوم القيامة أما في دنياي فإني قد أسلمت أمري لله ٥ وتركت أمري له يقضي فيه، والله ليس بغافلٍ عما يصنعه العباد، فسلمه الله وحفظه من كيدهم وتدبيرهم ونزل بآل فرعون ما ساءهم من عذاب الله.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وقومه: فستذكرون أيها القوم إذا عاينتم عقاب الله قد حل بكم، ولقيتم ما

لقيتموه صدق ما أقول، وحقيقة ما أخبركم به من أن المسرفين هم أصحاب النار.

وقوله: (وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ) يقول: وأسلم أمري إلى الله، وأجعله إليه وأتوكل عليه، فإنه الكافي من توكل عليه.

وقوله: (إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٤٤) يقول: إن الله عالم بأمور عباده، ومن المطيع منهم، والعاصي له، والمستحق جميل الثواب، والمستوجب سيئ العقاب.

وقوله: (فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ) يقول تعالى ذكره: فدفع الله عن هذا المؤمن من آل فرعون بإيمانه وتصديق رسوله موسى، مكروه ما كان فرعون ينال به أهل الخلاف عليه من العذاب والبلاء، فنجاه منه.

وقوله: (وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ) يقول: وحل بآل فرعون ووجب عليهم؛ وعني بآل فرعون في هذا الموضع أتباعه وأهل طاعته من قومه.

وعني بقوله: (سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥) : ما ساءهم من عذاب الله، وذلك نار جهنم .

وقال ابن كثير $:

(فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ) أي: سوف تعلمون صدق ما أمرتكم به ونهيتكم عنه، ونصحتكم ووضحت لكم، وتتذكرونه، وتندمون حيث لا ينفعكم الندم، (وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ) أي: وأتوكل على الله وأستعينه، وأقاطعكم وأباعدكم، (إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٤٤) أي: هو بصير بهم، فيهدي من يستحق الهداية، ويضل من يستحق الإضلال، وله الحجة البالغة، والحكمة التامة، والقدر النافذ.

وقوله: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ ﴾ أي: في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فنجاه الله مع موسى، غ، وأما في الآخرة فبالجنة ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥﴾ وهو: الغرق في اليم، ثم النقلة منه إلى الجحيم.

قال السعدي $:

﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ أي: ألجأ إليه وأعتصم، وألقي أموري كلها لديه، وأتوكل عليه في مصالحي ودفع الضرر الذي يصيبني منكم أو من غيركم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٤٤﴾ يعلم أحوالهم وما يستحقون، يعلم حالي وضعفي فيمنعني منكم ويكفيني شركم، ويعلم أحوالكم فلا تتصرفون إلا بإرادته ومشيئته، فإن سلطكم عليَّ فبحكمة منه تعالى، وعن إرادته ومشيئته صدر ذلك.

﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ ﴾ أي: وقى الله القويّ، ذلك الرجل المؤمن الموفق، عقوبات ما مكر فرعون وآله له، ومن إرادة إهلاكه وإتلافه، لأنه بادأهم بما يكرهون، وأظهر لهم الموافقة التامة لموسى غ، ودعاهم إلى ما دعاهم إليه موسى، وهذا أمر لا يحتملونه وهم الذين لهم القدرة إذ ذاك، وقد أغضبهم واشتد حنقهم عليه، فأرادوا به كيدًا فحفظه الله من كيدهم ومكرهم وانقلب كيدهم ومكرهم، على أنفسهم، ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥﴾ أغرقهم الله تعالى في صبيحة واحدة عن آخرهم.

وفي البرزخ: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ فهذه العقوبات الشنيعة، التي تحل بالمكذبين لرسل الله، المعاندين لأمره.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قولـه تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن أرواح آل فرعون في أجواف طير سود تغدو وتروح على النار، وذلك عرضها.

الثاني: أنهم يرون مقاعدهم من النار صباحًا ومساءً، يقال لهم: هذه منازلكم توبيخًا ونقمة وصغارًا لهم.

وفي حديث ابن عمر ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار؛ فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله - ٥ - إليه يوم القيامة**»[(١)]. أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به.

قال ابن كثير $:

فإن أرواحهم تعرض على النار صباحا ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار؛ ولهذا قال: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ أي: أشده ألما وأعظمه نكالا . وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور، وهي قوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ﴾.

❀ ❀ ❀

س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في إثبات عذاب القبر.

ج: من ذلك ما يلي:

---

(١) البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).

ما أخرجه البخاري[(١)] من حديث عائشة ف؛ أن يهودية دخلت عليها فقالت: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله □ عن عذاب القبر؟ فقال: «**نعم، عذاب القبر حق**». قالت عائشة: فما رأيت رسولَ الله □ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر.

وما أخرجه مسلم وأحمد[(٢)] من حديث عائشة - ف - أن رسول الله □ دخل عليها وعندها امرأة من اليهود، وهي تقول: أشعرت أنكم تُفتنون في قبوركم؟ فارتاع رسول الله □ وقال: «**إنما يفتن يهود**». قالت عائشة: فلبثنا ليالي، ثم قال رسول الله □: «**أشعرت أنه أوحي إليّ أنكم تفتنون في القبور؟**»، وقالت عائشة: سمعت رسول الله □ بعد يستعيذ من عذاب القبر.

وعند البخاري[(٣)] من حديث أنس ؓ.. وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه - وإنه يسمع قرع نعالهم - أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة فيراهما جميعًا وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال: لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين**».

---

(١) البخاري (١٣٧٢).
(٢) مسلم (١٢٣).
(٣) البخاري (١٣٧٤).

(٢٨٦) أحمر
أسود

وأخرج مسلم[(١)] في صحيحه من حديث زيد بن ثابت قال: إن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه**».

❁ ❁ ❁

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ وبين ما ورد من قوله تعالى في شأن الكافرين بعد نزول المائدة: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة: ١١٥]، وكذا قول النبي ﷺ: «أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصورون» ونحوها من الآيات.

ج: هناك للعلماء أقوال في مثل هذا:

أحدها: أن كل المذكورين في الدرجة العليا من الظلم.

الثاني: أن ينزل ذلك منزلة الاختصاص فيكون قوله: ﴿لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ في زمانهم، وهكذا، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

---

(١) مسلم (٢٨٦٧).

قال الله تعالى:

(وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا
كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ
ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ
ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ
قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ
مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ
وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ
﴿٥٤﴾ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ
بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾) [غافر: ٤٧-٥٥]

(٢٨٨) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(يَتَحَآجُّونَ -تَبَعًا -نَصِيبًا -فِي ضَلَٰلٍ -ٱلْأَشْهَٰدُ -مَعْذِرَتُهُمْ -سُوٓءُ ٱلدَّارِ - ٱلْهُدَىٰ -ٱلْكِتَٰبَ - هُدًى -وَذِكْرَىٰ -لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ -وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ - وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ -بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ).

ج:

الكلمة	معناها
(يَتَحَآجُّونَ)	يتخاصمون
(تَبَعًا)	أتباعًا
(نَصِيبًا)	جزءًا
(فِي ضَلَٰلٍ)	في ضياع وبطلان وذهاب وعدم فائدة
(ٱلْأَشْهَٰدُ)	جمع شهيد، وهو الذي يشهد يوم القيامة ومنهم الملائكة والنبيون والمؤمنون والجوارح...
(مَعْذِرَتُهُمْ)	اعتذارهم
(ٱللَّعْنَةُ)	الطرد والإبعاد من رحمة الله
(سُوٓءُ ٱلدَّارِ)	الجزاء الذي يُسيئهم في الآخرة وهو النار
(ٱلْهُدَىٰ)	البيان للحق والصواب
(ٱلْكِتَٰبَ)	التوراة
(هُدًى)	بيانًا للحق وإرشادًا
(وَذِكْرَىٰ)	عظةً - تذكيرًا
(لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ)	لأصحاب العقول النيِّرة الرشيدة

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾	اطلب من الله المغفرة لذنبك
﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾	صل لربك
﴿بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ﴾	قيل: العشي: آخر النهار، والإبكار: أوله وقيل: العشي من الظهر إلى غروب الشمس والإبكار بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس وقيل: المراد الصلاتان الفجر والعصر (وذلك قبل فرض الصلوات الخمس)

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، وذكِّر يا رسول الله أهل الكفر بوقت يتخاصمون فيه وهم في نار جهنم فيقول: الذين كانوا في الدنيا ضعفاء وأتباعًا لأهل الإجرام المستكبرين، يقول لهم: إنا كنا لكم أتباعًا نحبكم ونواليكم ونناصركم، فهل أنتم مخففون عنا شيئًا من العذاب، عذاب النار، فيجيب أهل الإجرام الذين كانوا في الدنيا أهل كبرٍ وأئمة ضلال قائلين: نحن وأنتم كلنا في النار فإن الله قد فصل بين عباده، وأدخل السعداء الجنة، وها نحن وأنتم الأشقياء مآلنا النار، فقد قضي الأمر.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ﴾ [غافر: ١٨]، ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ﴾ يقول: وإذ يتخاصمون في

(٢٩٠) أحمر
أسود

النار. وعنى بذلك: إذ يتخاصم الذين أمر رسول الله ﷺ بإنذارهم من مشركي قومه في النار، فيقول الضعفاء منهم وهم المتبعون على الشرك بالله ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ يقولون لرؤسائهم الذين اتبعوهم على الضلالة: إنا كنا لكم في الدنيا تبعا على الكفر بالله ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾ اليوم ﴿عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾﴾ يعنون حظا فتخففوه عنا، فقد كنا نسارع في محبتكم في الدنيا، ومن قبلكم أتينا، لولا أنتم لكنا في الدنيا مؤمنين، فلم يصبنا اليوم هذا البلاء؛ والتبع يكون واحدا وجماعة في قول بعض نحويي البصرة، وفي قول بعض نحويي الكوفة جمع لا واحد له، لأنه كالمصدر. قال: وإن شئت كان واحده تابعًا، فيكون مثل خائل وخول، وغائب وغيب.

والصواب من القول في ذلك عندي أنه جمع واحده. تابع، وقد يجوز أن يكون واحدا فيكون جمعه أتباع. فأجابهم المتبوعون بما أخبر الله عنهم؛ قال الذين استكبروا، وهم الرؤساء المتبوعون على الضلالة في الدنيا: إنا أيها القوم وأنتم كلنا في هذه النار مخلدون، لا خلاص لنا منها ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ بفصل قضائه، فأسكن أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فلا نحن مما نحن فيه من البلاء خارجون، ولا هم مما فيه من النعيم منتقلون، ورفع قوله: ﴿كُلٌّ﴾ بقوله: ﴿فِيهَا﴾ ولم ينصب على النعت.

وقال ابن كثير $:

يخبر تعالى عن تحاج أهل النار في النار، وتخاصمهم، وفرعون وقومه من جملتهم ﴿فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ﴾ وهم: الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ وهم: القادة والسادة والكبراء: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ أي: أطعناكم فيما دعوتمونا إليه في الدنيا من الكفر والضلال، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ

﴿٤٧﴾) أي: قسطًا تتحملونه عنا.

(قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ) أي: لا نتحمل عنكم شيئًا، كفى بنا ما عندنا، وما حملنا من العذاب والنكال. (إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾) أي: يقسم بيننا العذاب بقدر ما يستحقه كل منا، كما قال تعالى: (قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾) [الأعراف: ٣٨].

وقال القرطبي $:

قولـه تعـالى : (وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ) أي يختصـمون فيهـا (فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ) عـن الانقيـاد للأنبيـاء (إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا) فيمـا دعوتمونا إليه من الشرك في الدنيا (فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ) أي متحملون (عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾) أي جزاءً من العذاب.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾).

ج: الظـاهر، والله أعلـم، مـن معنـى الآيـة الكريمـة أن أهـل الكفـر لمـا يئسوا من إجابة بعضهم لبعض ومن إغاثة بعضـهم لـبعض سـألوا القـائمين على أمر النار، وهم خزنة النار الموكلون بها قـائلين لـهم: اسـألوا ربكـم أن يخفف عنا يومًا من العذاب، فيجيبونهم أو لم تك تـأتيكم رسلكم بـالحجج الواضحات والدلالات البينات على صدق رسلنا وعلى وحدانيتنا؟! قـالوا: بلى أي قد جاءتنا، قالوا: فادعوا أنتم ربكم ولكن لـن يستجاب لكم دعـاء، فدعاؤكم مردود غير مقبول.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وقال أهل جهنم لخزنتها وقوامها، استغاثة بهم من عظيم ما هم فيه من البلاء، ورجاء أن يجدوا من عندهم فرجًا ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ﴾ لنا ﴿يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا﴾ واحدًا، يعني قدر يوم واحد من أيام الدنيا ﴿مِّنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ الذي نحن فيه. وإنما قلنا: معنى ذلك: قدر يوم من أيام الدنيا، لأن الآخرة يوم لا ليل فيه، فيقال: خفف عنهم يومًا واحدًا.

وقوله: ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ يقول تعالى ذكره: قالت خزنة جهنم لهم: أو لم تك تأتيكم في الدنيا رسلكم بالبينات من الحجج على توحيد الله، فتوحدوه وتؤمنوا به، وتتبرءوا مما دونه من الآلهة؟ قالوا: بلى، قد أتتنا رسلنا بذلك.

وقوله: ﴿قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ﴾ يقول جل ثناؤه: قالت الخزنة لهم: فادعوا إذن ربكم الذي أتتكم الرسل بالدعاء إلى الإيمان به.

وقوله: ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ٥٠﴾ يقول: قد دعوا وما دعاؤهم إلا في ضلال، لأنه دعاء لا ينفعهم، ولا يستجاب لهم، بل يقال لهم: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ **[المؤمنون: ١٠٨]**.

وقال ابن كثير $:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٤٩﴾

لما علموا أن الله، سبحانه، لا يستجيب منهم ولا يستمع لدعائهم، بل قد قال: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ **[المؤمنون: ١٠٨]** سألوا الخزنة - وهم كالبوابين لأهل النار-أن يدعوا لهم الله أن يخفف عن الكافرين ولو يوما واحدا من العذاب، فقالت لهم الخزنة رادين عليهم: ﴿أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ

(٢٩٣) أحمر
أسود

رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ أي: أوما قامت عليكم الحجج في الدنيا على ألسنة الرسل؟ ﴿قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْۗ﴾ أي: أنتم لأنفسكم، فنحن لا ندعو لكم ولا نسمع منكم ولا نود خلاصكم، ونحن منكم برآء، ثم نخبركم أنه سواء دعوتم أو لم تدعوا لا يستجاب لكم ولا يخفف عنكم؛ ولهذا قالوا: ﴿وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَـٰلٍ ۝٥٠﴾ أي: إلا في ذهاب، لا يتقبل ولا يستجاب.

وقال الشنقيطي $:

ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة، أن أهل النار طلبوا من خزنة جهنم أن يدعوا لهم الله أن يخفف عنهم من شدة عذاب النار.

وقد بين في سورة «الزخرف» أنهم نادوا مالكًا خاصة، من خزنة أهل النار، ليقضي الله عليهم، أي: ليميتهم فيستريحوا بالموت من عذاب النار.

وقد أوضح جل وعلا في آيات من كتابه، أنهم لا يجابون في واحد من الأمرين، فلا يخفف عنهم العذاب، الذي سألوا تخفيفه، في سورة «المؤمن» هذه، ولا يحصل لهم الموت الذي سألوه في سورة «الزخرف»، فقال تعالى في عدم تخفيف العذاب عنهم في هذه الآية: ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْۗ وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَـٰلٍ ۝٥٠﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ۝٣٦﴾ [فاطر: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾ [النبأ: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝٧٥﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥﴾ [الفرقان: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۝٧٧﴾ [الفرقان: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝١٦٢﴾ [البقرة: ١٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ

مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾) [المائدة: ٣٧].

وقال تعالى في عدم موتهم في النار: (لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا) [فاطر: ٣٦]. وقال تعالى: (وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ) [إبراهيم: ١٧]، وقال تعالى: (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) [النساء: ٥٦]. وقال تعالى: (إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾) [طه: ٧٤]. وقال تعالى: (وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾)، ولما قالوا: (لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ) ، أجابهم بقوله: (قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾)[الزخرف: ٧٧].

❀ ❀ ❀

س: ما المراد بقوله تعالى: (وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾)؟

ج: المعنى، والله أعلم، يوم يقوم الشهود للإدلاء بشهادتهم، وذلك يوم القيامة، وهؤلاء الشهود فهم الملائكة والأنبياء والجوارح وغير ذلك، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: ما توجيه قوله تعالى: (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾) وقد قُتل عددٌ من الأنبياء؟

ج: من العلماء من أجاب على ذلك بقوله: إن نصرهم على عدوهم يكون بالحجة والبيان.

ومنهم من قال: إن الله ينتصر لأوليائه إذا آذاهم أعداؤهم.

وقد طرح الطبري هذا السؤال على نفسه وأجاب عليه فقال:

يقول القائل: وما معنى: (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

وقد علمنا أن منهم من قتله أعداؤه، ومثلوا به، كشعياء ويحيى بن زكريا وأشباههما. ومنهم من هم بقتله قومه، فكان أحسن أحواله أن يخلص منهم حتى فارقهم ناجيا بنفسه، كإبراهيم الذي هاجر إلى الشام من أرضه مفارقا لقومه، وعيسى الذي رفع إلى السماء إذ أراد قومه قتله، فأين النصرة التي أخبرنا أنه ينصرها رسله، و المؤمنين به في الحياة الدنيا، وهؤلاء أنبياؤه قد نالهم من قومهم ما قد علمت، وما نصروا على من نالهم بما نالهم به؟ قيل: إن لقوله: (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا) وجهين كلاهما صحيح معناه. أحدهما أن يكون معناه: إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا إما بإعلائناهم على من كذبنا وإظفارنا بهم، حتى يقهروهم غلبة، ويذلوهم بالظفر ذلة، كالذي فعل من ذلك بداود وسليمان، فأعطاهما من الملك والسلطان ما قهرا به كل كافر، وكالذي فعل بمحمد ﷺ بإظهاره على من كذبه من قومه، وإما بانتقامنا ممن حادهم وشاقهم بإهلاكهم وإنجاء الرسل ممن كذبهم وعاداهم، كالذي فعل تعالى ذكره بنوح وقومه، من تغريق قومه وإنجائه منهم، وكالذي فعل بموسى وفرعون وقومه، إذ أهلكهم غرقا، ونجى موسى ومن آمن به من بني إسرائيل وغيرهم ونحو ذلك، أو بانتقامنا في الحياة الدنيا من مكذبيهم بعد وفاة رسولنا من بعد مهلكهم، كالذي فعلنا من نصرتنا شعياء بعد مهلكه، بتسليطنا على قتله من سلطنا حتى انتصرنا بهم من قتلته، وكفعلنا بقتلة يحيى، من تسليطنا بختنصر عليهم حتى انتصرنا به من قتله له وكانتصارنا لعيسى من مريدي قتله بالروم حتى أهلكناهم بهم، فهذا أحد وجهيه. وقد كان بعض أهل التأويل يوجه معنى ذلك إلى هذا الوجه.

وقال:

بقوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۝٥١﴾ يوم يقوم الأشهاد من الملائكة والأنبياء والمؤمنين على الأمم المكذبة رسلها بالشهادة بأن الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم، وأن الأمم كذبتهم. والأشهاد: جمع شهيد، كما الأشراف: جمع شريف.

وقال:

وقوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ذلك يوم لا ينفع أهل الشرك اعتذارهم لأنهم لا يعتذرون إن اعتذروا إلا بباطل، وذلك أن الله قد أعذر إليهم في الدنيا، وتابع عليهم الحجج فيها فلا حجة لهم في الآخرة إلا الاعتصام بالكذب بأن يقولوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۝٢٣﴾ [الأنعام: ٢٣].

وقوله: ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ يقول: وللظالمين اللعنة، وهي البعد من رحمة الله ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٥٢﴾ يقول: ولهم مع اللعنة من الله شر ما في الدار الآخرة، وهو العذاب الأليم.

❁ ❁ ❁

س: ما فائدة التذكير بنبي الله موسى ؟

ج: فائدة ذلك تصبير النبي وتثبيته وبيان أن العاقبة للتقوى، فإن الشخص إذا رأى من سبقوه قد صبروا فأكرمهم الله، فيحملهم هذا على الصبر هم الآخرون.

والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٢٩٧) أحمر
أسود

س: ما المراد بالهدى الذي أوتاه موسى غ؟

ج: المراد به الحق الذي أرسل الله ٥ به نبيه موسى وجعله هداية للناس وإرشادًا لهم فيدخل في ذلك الألواح والتوراة وصحف موسى (عند من قال بالتفريق بين هذه الثلاث وجعلها ثلاثًا)، ويدخل فيه كذلك الآيات البينات التي أيَّد الله ٥ بها موسى .

ويدخل في ذلك عموم ما جاء به هذا النبي الكريم .

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ولقد مننا على نبينا موسى وعلى قومه بأن آتيناه ما فيه هدايةٌ وإرشاد وفيه بيان لطرائق الحق والصواب وجعلنا بني إسرائيل يتوارثون الكتاب الذي أنزله الله عليه وهو التوراة التي فيها تذكيرٌ وهدايةٌ لأصحاب العقول النيِّرة الرشيدة وكانت لهم العاقبة، وأغرق الله عدوه وعدوهم وهو فرعون وقومه.

فاصبر يا رسول الله على ما يصيبك من أذى قومك فإن العاقبة للتقوى وسينصرك ربك ٥، فاستعن بالصبر وأكثر من الاستغفار فإن الأعداء كثيرًا ما يتسلطون على الشخص بسبب ذنوبٍ وأكثر من التسبيح والصلاة أواخر النهار وأوائله وقيل: قيل في العشي إنه من بعد الظهر إلى غروب الشمس، وفي الإبكار من بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس.

وقيل: إن المراد بالعشي أواخر النهار والإبكار أوائله.

وقيل: المراد صلاتي الصبح والعصر.

وهما اللتان كانتا قبل فرض الصلوات، فالله أعلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: (وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى) البيان للحق الذي بعثناه به كما آتينا ذلك محمدا فكذب به فرعون وقومه، كما كذبت قريش محمدًا (وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾) يقول: وأورثنا بني إسرائيل التوراة، فعلمناهموها، وأنزلناها إليهم (هُدٗى) يعني بيانا لأمر دينهم، وما ألزمناهم من فرائضها، (وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٤﴾) يقول: وتذكيرا منا لأهل الحجا والعقول منهم بها.

وقوله: (فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: فاصبر يا محمد لأمر ربك، وانفذ لما أرسلك به من الرسالة، وبلغ قومك ومن أمرت بإبلاغه ما أنزل إليك، وأيقن بحقيقة وعد الله الذي وعدك من نصرتك، ونصرة من صدقك وآمن بك، على من كذبك، وأنكر ما جئته به من عند ربك، إن وعد الله حق لا خلف له وهو منجز له (وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ) يقول: وسله غفران ذنوبك وعفوه لك عنه (وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ) يقول: وصل بالشكر منك لربك (بِٱلۡعَشِيِّ) وذلك من زوال الشمس إلى الليل (وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾) وذلك من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس. وقد وجه قوم الإبكار إلى أنه من طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحى، وخروج وقت الضحى، والمعروف عند العرب القول الأول.

واختلف أهل العربية في وجه عطف الإبكار والباء غير حسن دخولها فيه على العشي، والباء تحسن فيه، فقال بعض نحويي البصرة: معنى ذلك: وسبح بحمد ربك بالعشي وفي الإبكار. وقال: قد يقال: بالدار زيد،

(٢٩٩) أحمر
أسود

يراد: في الدار زيد، وقال غيره: إنما قيل ذلك كذلك، لأن معنى الكلام: صل بالحمد بهذين الوقتين وفي هذين الوقتين، فإدخال الباء في واحد فيهما.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: (وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ) وهو ما بعثه الله به من الهدى والنور، (وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾) أي: جعلنا لهم العاقبة، وأورثناهم بلاد فرعون وأمواله وحواصله وأرضه، بما صبروا على طاعة الله واتباع رسوله موسى، غ، وفي الكتاب الذي أورثوه -وهو التوراة-(هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٤﴾) وهي: العقول الصحيحة السليمة .

وقوله: (فَٱصۡبِرۡ) أي: يا محمد، (إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ) أي: وعدناك أنا سنعلي كلمتك، ونجعل العاقبة لك ولمن اتبعك، والله لا يخلف الميعاد. وهذا الذي أخبرناك به حق لا مرية فيه ولا شك.

وقوله: (وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ) هذا تهييج للأمة على الاستغفار، (وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ) أي: في أواخر النهار وأوائل الليل، (وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾) وهي أوائل النهار وأواخر الليل .

❀ ❀ ❀

(٣٠٠) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي
صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ
وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا
تَتَذَكَّرُونَ ٥٨ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا
يُؤۡمِنُونَ ٥٩ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ
عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر: ٥٦-٦٠]

(٣٠١) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(يُجَٰدِلُونَ -بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ -ٱلۡمُسِيٓءُۚ -قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ -لَّا رَيۡبَ فِيهَا -لَا يُؤۡمِنُونَ -ٱدۡعُونِيٓ -يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي -دَاخِرِينَ).

ج:

الكلمة	معناها
(يُجَٰدِلُونَ)	يخاصمون - يحاولون إبطال الآيات - يردون عليها
(بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ)	بغير حجة ولا برهان ولا كتاب أُنزل إليهم من عند
(ٱلۡمُسِيٓءُۚ)	المشرك - المسرف على نفسه بالكبائر والمعاصي
(قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ)	قلَّ اتعاظكم وتذكركم - قلَّ منكم من يتعظ ويعتبر
(لَّا رَيۡبَ فِيهَا)	لا شك في وقوعها ومجيئها
(لَا يُؤۡمِنُونَ)	لا يصدقون
(ٱدۡعُونِيٓ)	اعبدوني - اسألوني
(يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي)	يتعاظمون عليَّ فلا يتواضعون لعبادتي ولا يقرون باستحقاقي للعبادة وحدي لا شريك لي بل يشركون معي غيري. يتعاظمون عن مسألتي فلا يسألونني
(دَاخِرِينَ)	صاغرين - أذلاء

❁ ❁ ❁

(٣٠٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إن الذي يخاصمونك في آيات الله المنزلة عليك ويجتهدون لدفعها بالباطل وبغير حجة ولا وجه حق، ولا برهان من الله ۵، هؤلاء ما يحملهم على مجادلتك وخصومتك إلا أن صدورهم مُلئت كبرًا ونفوسهم متطلعة إلى أن تكون في مراكز عَليةٍ كبيرة يظنون أنهم لن يحققوا مآربهم إذا اتبعوك، بل سَتَقِلُّ مراتبهم إذا اتبعوك فمن ثمَّ يعاندونك كي يصلوا إلى ما في نفوسهم من المناصب الكبيرة التي يتمنونها، وهيهات هيهات أن يصلوا لذلك مع عنادهم لك ومع مخالفتهم للحق.

فاستعذ بالله يا رسول الله، اطلب من الله أن يعيذك، ويُجيرك منهم، ويحفظك من شرهم وكذا استعذ بالله أن يتسرب إلى قلبك كبرٌ كالذي تسرب إلى قلوبهم.

إنه هو السميع بأقوالك وأقوالهم والسميع لكل شيء البصير بك وبهم وبكل شيء وبنحو هذا قال كثيرٌ من أهل التأويل.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: إن الذين يخاصمونك يا محمد فيما أتيتهم به من عند ربك من الآيات (بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ) يقول: بغير حجة جاءتهم من عند الله بمخاصمتك فيها (إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ) يقول: ما في صدورهم إلا كبر يتكبرون من أجله عن اتباعك، وقبول الحق الذي أتيتهم به حسدا منهم

(٣٠٣) أحمر
أسود

على الفضل الذي آتاك الله، والكرامة التي أكرمك بها من النبوة ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ يقول: الذي حسدوك عليه أمر ليسوا بمدركيه ولا نائليه، لأن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وليس بالأمر الذي يدرك بالأماني؛ وقد قيل: إن معناه: إن في صدورهم إلا عظمة ما هم ببالغي تلك العظمة لأن الله مذلهم.

وقوله: ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦﴾ يقول تعالى ذكره: فاستجر بالله يا محمد من شر هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان، ومن الكبر أن يعرض في قلبك منه شيء ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦﴾ يقول: إن الله هو السميع لما يقول هؤلاء المجادلون في آيات الله وغيرهم من قول البصير بما تعمله جوارحهم، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ﴾ أي: يدفعون الحق بالباطل، ويردون الحجج الصحيحة بالشبه الفاسدة بلا برهان ولا حجة من الله، ﴿إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ أي: ما في صدورهم إلا كبر على اتباع الحق، واحتقار لمن جاءهم به، وليس ما يرومونه من إخمال الحق وإعلاء الباطل بحاصل لهم، بل الحق هو المرفوع، وقولهم وقصدهم هو الموضوع، ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ﴾ أي: من حال مثل هؤلاء، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦﴾ أو من شر مثل هؤلاء المجادلين في آيات الله بغير سلطان. هذا تفسير ابن جرير.

وقال كعب وأبو العالية: نزلت هذه الآية في اليهود: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم

(٣٠٤) أحمر
أسود

ﮋﭹ ﭺﮊ قال أبو العالية: وذلك أنهم ادعوا أن الدجال منهم، وأنهم يملكون به الأرض. فقال الله لنبيه آمرا له أن يستعيذ من فتنة الدجال، ولهذا قال: ﮋﭼ ﭽ ﭾﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮊ .

وهذا قول غريب، وفيه تعسف بعيد، وإن كان قد رواه ابن أبي حاتم في كتابه، والله أعلم .

وقال القرطبي $:

قولــه تعــالى : ﮋ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ ﮊ يخاصــمون ﮋفِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍﮊ أي حجـــة ﮋأَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ ﮊ قـــال الزجاج : المعنى ما في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغي إرادتهم فيه قدره على الحذف وقال غيره : المعنى ما هم ببالغي الكبر على غير حذف لأن هؤلاء قوم رأوا أنهم إن اتبعوا النبي قل ارتفاعهم ونقصت أحوالهم وأنهم يرتفعون إذا لم يكونوا تبعا فأعلم الله عز و جل أنهم لا يبلغون الارتفاع الذي أملوه بالتكذيب والمراد المشركون وقيل : اليهود فالآية مدنية على هذا كما تقدم أول السورة والمعنى : إن تعظموا عن اتباع محمد وقالوا إن الدجال سيخرج عن قريب فيرد الملك إلينا وتسير معه الأنهار وهو آية من آيات الله فذلك كبر لا يبلغونه فنزلت الآية فيهم قال أبو العالية وغيره وقد تقدم في (آل عمران) أنه يخرج ويطأ البلاد كلها إلا مكة والمدينة وقد ذكرنا خبره مستوفى في كتاب التذكرة وهو يهودي اسمه صاف ويكنى أبا يوسف وقيل : كل من كفر بالنبي وهذا حسن لأنه يعم وقال مجاهد : معناه في صدورهم عظمة ما هم ببالغيها والمعنى واحد وقيل : المراد بالكبر الأمر الكبير أي يطلبون النبوة أو أمرًا كبيرا

(٣٠٥) أحمر
أسود

يصلون به إليك من القتل ونحوه ولا يبلغون ذلك أو يتمنون موتك قبل أن يتم دينك ولا يبلغونه.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه التذكير بقوله تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ وما معنى الآية الكريمة؟

ج: وجه ذلك التنبيه على قدرة الله ۵ على البعث وعلى حساب خلقه.

أما عن معنى الآية الكريمة فهو واضح وجلي فإذا كنا قد خلقنا السموات في ارتفاعها واتساعها وما حوته، وخلقنا الأرض بفجاجها وسهولها وجبالها وبحارها وأنهارها وما بثثنا فيها من دواب إلى غير ذلك فإعادتنا الخلق أحياءً بعد إماتتهم أيسر علينا وأهون كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم: ٢٧]، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك ولا يقرون به.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: لابتداع السموات والأرض وإنشاؤها من غير شيء أعظم أيها الناس عندكم إن كنتم مستعظمي خلق الناس، وإنشائهم من غير شيء من خلق الناس، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن خلق جميع ذلك هين على الله.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى منبها على أنه يعيد الخلائق يوم القيامة، وأن ذلك سهل عليه، يسير لديه -بأنه خلق السموات والأرض، وخلقهما أكبر من خلق الناس بدأة وإعادة، فمن قدر على ذلك فهو قادر على ما دونه بطريق

(٣٠٦) أحمر
أسود

الأولى والأحرى، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف: ٣٣]. وقال هاهنا: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾؛ فلهذا لا يتدبرون هذه الحجة ولا يتأملونها، كما كان كثير من العرب يعترفون بأن الله خلق السموات والأرض، وينكرون المعاد، استبعادا وكفرًا وعنادًا، وقد اعترفوا بما هو أولى مما أنكروا .

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أنه لا يستوي عند الله من أعماه الله عن الحق فلم يبصر آيات الله التي حوله ولم يستدل بها على قدرة الله ووحدانيته لا يستوي من هذا شأنه مع الذي رزقه الله البصيرة والفهم، فينظر إلى ما حوله ويأخذ منه العبر والعظات ويعلم منه أن الله على كل شيء قدير، وأنه سبحانه قادر على البعث وسيبعث الناس ويحاسب كلًّا على عمله.

وكذلك لا يستوي من امتثل أمر ربِّه ٥ فعمل بطاعته واجتنب معصيته، لا يستوي هذا مع من أسرف على نفسه وأضرَّ بها بشركِهِ بالله ٥ واقترافه الكبائر والآثام أما قوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ أي أن اتعاظكم معشر البشر قليل فلا يكاد يتعظ منكم متعظ ولا يعتبر منكم معتبر إلا من رحم الله، وكذلك فمن اتعظ منكم فاتعاظه قليل.

قال الطبري $:

وما يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئًا، وهو مثل الكافر الذي لا

(٣٠٧) أحمر
أسود

يتأمل حجج الله بعينيه، فيتدبرها ويعتبر بها، فيعلم وحدانيته وقدرته على خلق ما شاء من شيء، ويؤمن به ويصدق. والبصير الذي يرى بعينيه ما شخص لهما ويبصره، وذلك مثل للمؤمن الذي يرى بعينيه حجج الله، فيتفكر فيها ويتعظ، ويعلم ما دلت عليه من توحيد صانعه، وعظيم سلطانه وقدرته على خلق ما يشاء؛ ولا يستوي أيضًا الكافر والمؤمن. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ يقول جل ثناؤه: ولا يستوي أيضا كذلك المؤمنون بالله ورسوله، المطيعون لربهم، ولا المسيء، وهو الكافر بربه، العاصي له، المخالف أمره ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨﴾ يقول جل ثناؤه: قليلا ما تتذكرون أيها الناس حجج الله، فتعتبرون وتتعظون؛ يقول: لو تذكرتم آياته واعتبرتم، لعرفتم خطأ ما أنتم عليه مقيمون من إنكاركم قدرة الله على إحيائه من فني من خلقه من بعد الفناء، وإعادتهم لحياتهم من بعد وفاتهم، وعلمتم قبح شرككم من تشركون في عبادة ربكم.

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿تَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨﴾ فقرأت ذلك عامة قراء المدينة والبصرة: **(يتذكرون)** بالياء على وجه الخبر، وقرأته عامة قراء الكوفة: ﴿تَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨﴾ بالتاء على وجه الخطاب، والقول في ذلك أن القراءة بهما صواب.

وقال ابن كثير $:

ثم قال: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ﴾ أي كما لا يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئًا، والبصير الذي يرى ما انتهى إليه بصره، بل بينهما فرق عظيم، كذلك لا يستوي المؤمنون الأبرار والكفرة الفجار، ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨﴾ أي: ما أقل ما

(٣٠٨) أحمر
أسود

يتذكر كثير من الناس.

❁ ❁ ❁

س: كثيرًا ما ينبه على أن المسلم لا يستوي مع المشرك وأن الصالح لا يستوي مع الطالح. اذكر بعض الآيات في هذا الصدد.

ج: من الآيات الواردة في هذا الصدد ما يلي:

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾﴾ **[السجدة: ١٨]**.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ **[الحشر: ٢٠]**.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ﴾ **[غافر: ٥٨]**.

وقوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ **[القلم: ٣٥]**.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ **[ص: ٢٨]**... إلى غير ذلك من الآيات.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

ج: إن القيامة لآتية، وبعث الناس من قبورهم أحياءً بعد موتهم ومجازاتهم بأعمالهم، وما وعد الله أنه سيكون يوم القيامة لا بُدَّ وأن يكون كما أخبر الله سبحانه وتعالى، ولكن أكثر الناس لا يصدقون بذلك.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: إن الساعة التي يحيي الله فيها الموتى للثواب والعقاب لجائية أيها الناس لا شك في مجيئها؛ يقول: فأيقنوا بمجيئها، وأنكم مبعوثون من بعد مماتكم، ومجازون بأعمالكم، فتوبوا إلى ربكم

(٣١٠) أحمر
أسود

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٩﴾ يقول: ولكن أكثر قريش لا يصدقون بمجيئها.

وقال ابن كثير $:

ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَاتِيَةٌ﴾ أي لكائنة وواقعة ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٩﴾ أي: لا يصدقون بها، بل يكذبون بوجودها.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وقال ربكم: اعبدوني - وحدي لا شريك لي - أفردوني بالعبادة بصلاتكم - بصيامكم - بحجكم - بنسككم - بكل عباداتكم - لا تشركوا معي غيري، فالذين يستكبرون عن عبادتي وحدي سيدخلون جهنم أذلاء صاغرين.

ويدخل في معنى الآية الكريمة أيضًا:

وقال ربكم اسألوني واطلبوا مني حاجاتكم وما تريدون أجيبكم إلى ما سألتم وأعطيكم ما أردتم، ولا تمتنعوا من سؤالي مستكبرين مستغنين عني فإن الذين يستكبرون عن سؤالي ويستغنون عني سيدخلون جهنم أذلاء صاغرين.

هذا، وقد صح من حديث النعمان بن بشير ﭬ عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾[(١)].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/٢٧١)، والترمذي (٢٩٦٩)، والطبري في تفسير الآية الكريمة.
أما الحديث بلفظ: «الدعاء مخ العبادة»، فلا يصح بهذا اللفظ.

وفي بعض ألفاظ هذا الحديث.. إن عبادتي دعائي ثم تلا الآية.

وهذا الحديث ينتظم المعنيين المذكورين معًا.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ يقول تعالى ذكره: ويقول ربكم أيها الناس لكم ادعوني: يقول: اعبدوني وأخلصوا لي العبادة دون من تعبدون من دوني من الأوثان والأصنام وغير ذلك ﴿أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ يقول: أجب دعاءكم فأعفو عنكم وأرحمكم.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾ يقول: إن الذين يتعظمون عن إفرادي بالعبادة، وإفراد الألوهة لي ﴿سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ بمعنى: صاغرين. وقد دللنا فيما مضى قبل على معنى الدخر بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقد قيل: إن معنى قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾ : إن الذين يستكبرون عن دعائي.

وقال الحافظ ابن كثير $:

هذا من فضله، تبارك وتعالى، وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه، وتكفل لهم بالإجابة، كما كان سفيان الثوري يقول: يا مَنْ أحبُّ عباده إليه مَنْ سأله فأكثر سؤاله، ويا من أبغض عباده إليه من لم يسأله، وليس كذلك غيرك يا رب.

رواه ابن أبي حاتم.

وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

اللهُ يَغْضبُ إن تركْتَ سُؤَالهُ وَبُنَيُّ آدمَ حين يُسألُ يَغْضَبُ

(٣١٢) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في الحث على الدعاء.

ج: تقدم شيء من ذلك في تفسير سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

ومن ذلك أيضًا.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ **[غافر: ٦٥].**

وقوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة»(١).

وقوله ﷺ: «ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثمٌ ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يُدخر له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها»(٢).

❁ ❁ ❁

(١) الترمذي وأحمد وغيرهما، وقد تقدم، وهو صحيح.
(٢) أحمد (١٨/٣) بسندٍ حسن.

قال الله تعالى:

(ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ
لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ
ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَىۡءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ
ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ
قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾
هُوَ ٱلۡحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلۡ إِنِّى نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ
ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم
مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٍ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلًا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ
ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى
وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا
يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾) [غافر: ٦١-٦٨]

(٣١٤) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ -مُبۡصِرًاۚ -تُؤۡفَكُونَ -يُؤۡفَكُ -يَجۡحَدُونَ -قَرَارًا -بِنَآءً -فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ -ٱلۡبَيِّنَٰتُ -أُسۡلِمَ -أَجَلًا مُّسَمًّى).

ج:

الكلمة	معناها
(لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ)	لتستقروا فيه ـ لتناموا فيه
(مُبۡصِرًاۚ)	مضيئًا
(تُؤۡفَكُونَ)	تصرفون (عن الحق إلى الباطل)
(يُؤۡفَكُ)	يُصرف
(يَجۡحَدُونَ)	يكذبون ـ ينكرون
(قَرَارًا)	مستقرةً تستقرون عليها
(بِنَآءً)	سقفًا
(فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ)	فاعبدوه وحده لا شريك له
(ٱلۡبَيِّنَٰتُ)	دلائل التوحيد ـ الآيات البينات
(أُسۡلِمَ)	أستسلم ـ أخضع
(أَجَلًا مُّسَمًّى)	وقتًا قد حدَّده الله وسماه ـ تنتهي عنده آجالكم

❁ ❁ ❁

(٣١٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٦١﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، الله الذي يستحق أن تعبدوه وتوحدوه ولا تشركوا به شيئًا هو الذي من رحمته بكم: جعل لكم الليل لتستريحوا فيه وتنامون فيه كما قال: ﴿وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ٩﴾ أي: راحةً لكم ولأبدانكم وجعل لكم النهار مضيئًا لقضاء معايشكم واحتياجاتكم فيه إن الله لصاحب فضل على الناس كلهم، ولكن الناس لا يقدمون لذلك شكرًا.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: الله الذي لا تصلح الألوهة إلا له، ولا تنبغي العبادة لغيره، الذي صفته أنه جعل لكم أيها الناس الليل سكنا لتسكنوا فيه، فتهدءوا من التصرف والاضطراب للمعاش، والأسباب التي كنتم تتصرفون فيها في نهاركم ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾ يقول: وجعل النهار مبصرًا من اضطرب فيه لمعاشه، وطلب حاجاته، نعمة منه بذلك عليكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يقول: إن الله لمتفضل عليكم أيها الناس بما لا كفء له من الفضل ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٦١﴾ يقول: ولكن أكثرهم لا يشكرونه بالطاعة له، وإخلاص الألوهة والعبادة له، ولا يد تقدمت له عنده استوجب بها منه الشكر عليها.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى ممتنًّا على خلقه، بما جعل لهم من الليل الذي يسكنون فيه ويستريحون من حركات ترددهم في المعايش بالنهار، وجعل النهار

مبصرًا، أي: مضيئا، ليتصرفوا فيه بالأسفار، وقطع الأقطار، والتمكن من الصناعات، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ۝٦١﴾ أي: لا يقومون بشكر نعم الله عليهم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾.

ج: في معناها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ۝١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ۝١١﴾ [النبأ: ١٠-١١].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ﴾ [الإسراء: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٧٣﴾ [القصص: ٧٣].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ۝٦٢ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ۝٦٣﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ذلكم الذي فعل ما ذُكر في الآيات السابقة، الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مُبصرًا... إلى آخره، هو الله خالقنا ورازقنا والمتفضل علينا بنعمه، هو خالق كل شيء فلا يستحق العبادة أحدٌ سواه فمن أي وجهٍ تُصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره، فهكذا، وكما صُرف هؤلاء عن الحق، فكذلك يُصرف كل جاحد مكذبٍ، يصرفه الله عن الحق.

قال الطبري $:

(٣١٧) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: الذي فعل هذه الأفعال، وأنعم عليكم هذه النعم أيها الناس، الله مالككم ومصلح أموركم، وهو خالقكم وخالق كل شيء ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ يقول: لا معبود تصلح له العبادة غيره، ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾﴾ يقول: فأي وجه تأخذون، وإلى أين تذهبون عنه، فتعبدون سواه؟

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ يقول: كذهابكم عنه أيها القوم، وانصرافكم عن الحق إلى الباطل، والرشد إلى الضلال، ذهب عنه الذين كانوا من قبلكم من الأمم بآيات الله، يعني: بحجج الله وأدلته يكذبون فلا يؤمنون؛ يقول: فسلكتم أنتم معشر قريش مسلكهم، وركبتم محجتهم في الضلال.

وقال الحافظ ابن كثير $:

ثم قال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: الذي فعل هذه الأشياء هو الله الواحد الأحد، خالق الأشياء، الذي لا إله غيره، ولا رب سواه، ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾﴾ أي: فكيف تعبدون غيره من الأصنام، التي لا تخلق شيئا، بل هي مخلوقة منحوتة .

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ أي: كما ضل هؤلاء بعبادة غير الله، كذلك أفك الذين من قبلهم، فعبدوا غيره بلا دليل ولا برهان بل بمجرد الجهل والهوى، وجحدوا حجج الله وآياته .

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى الآيات المباركات: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ....﴾ الآية.

ج: المعنى، الذي يستحق أن يعبد ويوحد ولا يشرك معه أحد هو الله

الذي جعل الأرض مستقرة حتى يستطيع أهلها المعيشة عليها وجعل السماء فوقها سقفًا محفوظًا بغير عمدٍ نراها وخلقنا في أحسن الصور وأحسن تقويم وتفضل علينا بأن يسر لنا الحلال الطيب فهذا هو ربنا المنعم علينا والمتفضل تكاثر الخير الوارد منه والنازل لعباده وتعاظم ربنا وتمجد.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿ٱللَّهُ﴾ الذي له الألوهة خالصة أيها الناس ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ التي أنتم على ظهرها سكان ﴿قَرَارًا﴾ تستقرون عليها، وتسكنون فوقها، ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾: بناها فرفعها فوقكم بغير عمد ترونها لمصالحكم، وقوام دنياكم إلى بلوغ آجالكم ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾ يقول: وخلقكم فأحسن خلقكم ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ يقول: ورزقكم من حلال الرزق، ولذيذات المطاعم والمشارب. وقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ﴾ يقول تعالى ذكره: فالذي فعل هذه الأفعال، وأنعم عليكم أيها الناس هذه النعم، هو الله الذي لا تنبغي الألوهة إلا له، وربكم الذي لا تصلح الربوبية لغيره، لا الذي لا ينفع ولا يضر، ولا يخلق ولا يرزق ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٤﴾ يقول: فتبارك الله مالك جميع الخلق جنهم وإنسهم، وسائر أجناس الخلق غيرهم.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارًا﴾ أي: جعلها مستقرا لكم، بساطا مهادا تعيشون عليها، وتتصرفون فيها، وتمشون في مناكبها، وأرساها بالجبال لئلا تميد بكم، ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ أي: سقفًا للعالم محفوظًا،

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ أي: فخلقكم في أحسن الأشكال، ومنحكم أكمل الصور في أحسن تقويم، ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي: من المآكل والمشارب في الدنيا. فذكر أنه خلق الدار، والسكان، والأرزاق -فهو الخالق الرازق، كما قال في سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٠-٢١] وقال هاهنا بعد خلق هذه الأشياء: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ أي: فتعالى وتقدس وتنزه رب العالمين كلهم .

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أن الله ۵ هو الحي الذي لا يموت، وسائر خلقه يموتون، هو الله لا إله إلا هو، لا معبود سواه ولا رب غيره، فادعوه مخلصين له في دعائكم، عابدين مخلصين في عبادتكم، فله الحمد إذ هو رب العالمين.

قال الطبري $:

﴿هُوَ ٱلْحَىُّ﴾ يقول: هو الحي الذي لا يموت، الدائم الحياة، وكل شيء سواه فمنقطع الحياة غير دائمها ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ يقول: لا معبود بحق تجوز عبادته، وتصلح الألوهة له إلا الله الذي هذه الصفات صفاته، فادعوه أيها الناس مخلصين له الدين، مخلصين له الطاعة، مفردين له الألوهة، لا

تشركوا في عبادته شيئا سواه، من وثن وصنم، ولا تجعلوا له ندًّا ولا عدلًا ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ يقول: الشكر لله الذي هو مالك جميع أجناس الخلق، من ملك وجن وإنس وغيرهم، لا للآلهة والأوثان التي لا تملك شيئا، ولا تقدر على ضر ولا نفع، بل هو مملوك، إن ناله نائل بسوء لم يقدر له عن نفسه دفعًا.

وكان جماعة من أهل العلم يأمرون من قال: لا إله إلا الله، أن يتبع ذلك: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ تأولا منهم هذه الآية، بأنها أمر من الله بقيل ذلك.

وقال ابن كثير $:

ثم قال: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: هو الحي أزلا وأبدًا، لم يزل ولا يزال، وهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا نظير له ولا عديل له، ﴿فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ﴾ أي: موحدين له مقرين بأنه لا إله إلا هو ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٦﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا رسول الله لهؤلاء الذين يدعونك إلى عبادة أوثانهم التي يعبدونها من دون الله لما جاءتني دلائل التوحيد وعرفتها ونزل عليَّ القرآن وأمرت أن أكون مسلمًا مُستسلمًا خاضعًا لله رب العالمين لا لأحدٍ سواه.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك من قريش (إِنِّي نُهِيتُ) أيها القوم (أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) من الآلهة والأوثان (لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي) يقول: لما جاءني الآيات الواضحات من عند ربي، وذلك آيات كتاب الله الذي أنزله (وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾). يقول: وأمرني ربي أن أذل لرب كل شيء، ومالك كل خلق بالخضوع، وأخضع له بالطاعة دون غيره من الأشياء.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : (۞ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ) أي قل يا محمد : نهاني الله الذي هو الحي القيوم ولا إله غيره (أَنْ أَعْبُدَ) غيره (لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي) أي دلائل توحيده (وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ) أذل وأخضع (لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾) وكانوا دعوه إلى دين آبائه فأمر أن يقول هذا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، وأمرت أن أسلم لرب العالمين الذي خلق أباكم آدم ؑ من تراب ثم خلقكم أنتم يا بني آدم من نطفةٍ من مني يُمنى ثم تحولت هذه النطفة إلى علقة ثم أخرجتم بعد ذلك أطفالًا من بطون الأمهات ثم بلغت أقصى قواكم ثم صرتم شيوخًا ومنكم من استوفى أجله قبل أن يصل شيخًا فمات قبل الشيخوخة، وعشتم في هذه الدنيا إلى أجلكم الذي أجلكم الله إليه، كل ذلك لعلكم

(٣٢٢) أحمر
أسود

تتفكرون في أنفسكم وتعقلون حجج الله وآياته فيقودكم ذلك إلى الإيمان والتوحيد.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره آمرًا نبيه محمدًا بتنبيه مشركي قومه على حججه عليهم في وحدانيته: قل يا محمد لقومك: أمرت أن أسلم لرب العالمين الذي صفته هذه الصفات. وهي أنه خلق أباكم آدم ﴿مِّن تُرَابٍ ثُمَّ﴾ خلقكم ﴿مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ بعد أن كنتم نطفًا ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ من بطون أمهاتكم صغارًا، ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾، فتتكامل قواكم، ويتناهى شبابكم، وتمام خلقكم شيوخًا ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾ أن يبلغ الشيخوخة ﴿وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ يقول: ولتبلغوا ميقاتا مؤقتا لحياتكم، وأجلا محدودا لا تجاوزونه، ولا تتقدمون قبله ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾ يقول: وكي تعقلوا حجج الله عليكما بذلك، وتتدبروا آياته فتعرفوا بها أنه لا إله غيره فعل ذلك.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: إن الله ينهى أن يُعْبَد أحد سواه من الأصنام والأنداد والأوثان. وقد بين تعالى أنه لا يستحق العبادة أحد سواه، في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا﴾ أي: هو الذي يقلبكم في هذه الأطوار كلها، وحده لا شريك له، وعن أمره وتدبيره وتقديره يكون ذلك كله، ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل أن يوجد ويخرج إلى هذا العالم، بل تسقطه أمه سقطا، ومنهم من يتوفى صغيرًا، وشابًّا، وكهلا قبل الشيخوخة، كقوله: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الحج:

(٣٢٣) أحمر
أسود

٥]، وقال هاهنا: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ قال ابن جريج، تتذكرون البعث.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، وأمرت أن أسلم لرب العالمين الذي هو يحيي من أراد أن يحييه بعد موته، ويميت من هو حي، وكذلك يخرج من الأصلاب ما كان مستقرًا فيها، ويميت من انتهى أجله.

وأيُّ أمرٍ يريده فإنما يقضيه بكلمة كن فيكون كما أراد الله ٥.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: قل لهم يا محمد: ﴿ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ يقول قل لهم: ومن صفته جل ثناؤه أنه هو الذي يحيي من يشاء بعد مماته، ويميت من يشاء من الأحياء بعد حياته و﴿فَإِذَا قَضَى أَمْرًا﴾ يقول: وإذا قضى كون أمر من الأمور التي يريد تكوينها ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن﴾ يعني للذي يريد تكوينه كن، فيكون ما أراد تكوينه موجودًا بغير معاناة، ولا كلفة مؤنة.

وقال ابن كثير $:

ثم قال: ﴿ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: هو المتفرد بذلك، لا يقدر على ذلك أحد سواه، ﴿فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾ أي: لا يخالف ولا يمانع، بل ما شاء كان.

❁ ❁ ❁

(٣٢٤) أحمر

قال الله تعالى:

(أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ
أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ
﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل
لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ
تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا
نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا
مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ
هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾) [غافر: ٦٩-٧٨]

س: وضح معنى ما يلي:

﴿أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ -ٱلۡأَغۡلَٰلُ -أَعۡنَٰقِهِمۡ -ٱلۡحَمِيمِ -يُسۡجَرُونَ -ضَلُّواْ عَنَّا -تَمۡرَحُونَ -مَثۡوَى -بِـَٔايَةٍ -أَمۡرُ ٱللَّهِ -ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ﴾	من أي وجهٍ يُصرفون عن الحق إلى الباطل - كيف يُصرفون؟ كيف يتبعون الباطل كي ينصرفوا عن
﴿ٱلۡأَغۡلَٰلُ﴾	جمع غُل وهو طوق من حديد أو جلد يجعل في عنق الأسير أو يده. والمراد هنا حلقة من حديد توضع فيه الأيدي مضمومة إلى الرقبة أي أنه يحيط باليد والرقبة معًا.
﴿أَعۡنَٰقِهِمۡ﴾	الرقاب
﴿ٱلۡحَمِيمِ﴾	الماء الذي بلغ أعلى درجات حرارته
﴿يُسۡجَرُونَ﴾	يقذفون في النار - يحترقون
﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾	غابوا عنا وذهبوا عنا
﴿تَمۡرَحُونَ﴾	تبطرون - تأْشَرون (البطر: بطر الحق جحده والتكذيب به)، وقيل: المرح: الفرح بفعل المحرم،
﴿مَثۡوَى﴾	مقام - مسكن - منزل - مأوى
﴿بِـَٔايَةٍ﴾	بمعجزةٍ - بشيء خارق للعادات

(٣٢٦) أحمر
أسود

﴿أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾	أمر الله بتعذيب هؤلاء أمر الله بقيام الساعة وإدخال أهل النار النار
﴿ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾	الذين حاولوا إبطال الحق بشركهم بالله وقولهم الباطل على الله.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ألم تر يا رسول الله هؤلاء الكفار أهل الشرك المجادلين في آيات الله الذين يريدون دفعها بالباطل، ألم تر إليهم من أي وجه ينصرفون عن الحق إلى الباطل؟!

قال الطبري $:

وقوله: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ يقول لنبيه محمد □ ألم تر يا محمد هؤلاء المشركين من قومك، الذين يخاصمونك في حجج الله وآياته ﴿أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ يقول: أي وجه يصرفون عن الحق، ويعدلون عن الرشد.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: ألا تعجب يا محمد من هؤلاء المكذبين بآيات الله، ويجادلون في الحق بالباطل، كيف تُصرف عقولهم عن الهدى إلى الضلال.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يُصۡرَفُونَ ٦٩ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٧٠﴾.

ج: هذا، والله أعلم، وصف للذين يصرفون عن آيات الله وبيان من هم، إنهم أهل الشرك المكذبون بالقرآن المنزل على النبي ﷺ المكذبون بالآيات التي جاءت على أيدي المرسلين.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون الذين كذبوا بكتاب الله، وهو هذا القرآن؛ و﴿ٱلَّذِينَ﴾ الثانية في موضع خفض ردًّا لها على ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الأولى على وجه النعت ﴿وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ﴾ يقول: وكذبوا أيضا مع تكذيبهم بكتاب الله بما أرسلنا به رسلنا من إخلاص العبادة لله، والبراءة مما يعبد دونه من الآلهة والأنداد، والإقرار بالبعث بعد الممات للثواب والعقاب.

وقال ابن كثير $:

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ﴾ أي: من الهدى والبيان، ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٧٠﴾ هذا تهديد شديد، ووعيد أكيد، من الرب، ٤، لهؤلاء، كما قال تعالى: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥﴾ **[المرسلات: ١٥]**.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ٧١ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ٧٢ ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٧٣ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٤ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ٧٥ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ

(٣٢٨) أحمر
أسود

خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، فسوف يعلم هؤلاء الذين كذبوا بالقرآن وبما أُرسلت به الرسل من الآيات والأدلة والبراهين على وحدانية الله وعلى البعث وعلى صدق ما جاء في الكتب - سوف يعلم هؤلاء المكذبون بذلك تمام العلم حينما توضع الأغلال وهي أطواق الحديد في رقابهم وقد جمعت أيديهم مع رقابهم وأحاطت بها تلك الأطواق، ثم ربطت الأطواق سلاسل وسُحبوا إلى النار في هذا المشهد المهول المروِّع، أيديهم مضمومة إلى أعناقهم تحيط بها أطواق الحديد، تلك الأطواق التي ربطت في سلاسل ويسحبون بتلك السلاسل إلى الحميم، إلى الماء الذي بلغ أعلى درجات غليانه ثم يقذف بهم في النار فتحرقهم ويكونون لها وقودًا ثم يُقال لهم على سبيل التوبيخ والتأنيب: أين هذه الآلهة التي عبدتموها من دون الله ٥ وجعلتموها شريكة له في ملكه؟ أين هي؟ ادعوها كي تستجيب لكم - كي تدفع عنكم العذاب - كي تشفع لكم كما زعمتم؟

فيبحث أهل الكفر أين تلك الآلهة؟ لقد غابت عنهم وذهبت فيندمون أشد الندم قائلين، لم نكن ندعو شيئًا له حقيقة، فكل معبودٍ من دون الله قد ذهب عن عابدين وابتعد وتبرأ ممن عبدوه، فضلًا عن تلك الأصنام التي لم تكن تسمع ولا تبصر ولا تغني عن أصحابها شيئًا، وهكذا، وكما أضل الله سبحانه وتعالى الآلهة عمن عبدوها، فهكذا يضل الله الكافرين عن رحمته، وهكذا يفعل بكل كافر اتخذ مع الله إلهًا آخر يضل عن إلهه الذي كان يعبده في الدنيا من دون الله ويضل عن إلهه.

ذلكم الذي نفعله بكم يا أهل الكفر سببه فرحكم في الأرض بشرككم

(٣٢٩) أحمر
أسود

وبمعاصيكم وكبائركم وأشركم وبطركم في دنياكم فها هي أبواب جهنم فادخلوها خالدين فيها لا تتحولون عنها ولا تزولون ولا تموتون فيها ولا تحيون، فلبئس المقام مقام أهل الكفر، وبئس المستقر مستقرهم، بئس المستقر مستقر هؤلاء الذين تكبروا عن الإيمان، ورضوا بالكفر بديلًا عنه، وتعالوا عن توحيد الرحمن ٥ وبنحو ما ذُكر قال أهل التأويل.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٧٠ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾، وهذا تهديد من الله المشركين به؛ يقول جل ثناؤه: فسوف يعلم هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله، المكذبون بالكتاب حقيقة ما تخبرهم به يا محمد، وصحة ما هم به اليوم مكذبون من هذا الكتاب، حين تجعل الأغلال والسلاسل في أعناقهم في جهنم.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿يُسْحَبُونَ ۝٧١﴾ يقول: يسحب هؤلاء الذين كذبوا في الدنيا بالكتاب زبانية العذاب يوم القيامة في الحميم، وهو ما قد انتهى حره، وبلغ غايته.

وقوله: ﴿ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ۝٧٢﴾ يقول: ثم في نار جهنم يحرقون، يقول: تسجر به جهنم: أي توقد بهم.

وقوله: ﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝٧٣ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يقول: ثم قيل: أين الذين كنتم تشركون بعبادتكم إياها من دون الله من آلهتكم وأوثانكم حتى يغيثوكم فينقذوكم مما أنتم فيه من البلاء والعذاب، فإن المعبود يغيث من عبده وخدمه؛ وإنما يقال هذا لهم توبيخًا وتقريعًا على ما كان منهم في

(٣٣٠) أحمر
أسود

الدنيا من الكفر بالله وطاعة الشيطان، فأجاب المساكين عند ذلك فقالوا: ضلوا عنا: يقول: عدلوا عنا، فأخذوا غير طريقنا، وتركونا في هذا البلاء، بل ما ضلوا عنا، ولكنا لم نكن ندعو من قبل في الدنيا شيئا: أي لم نكن نعبد شيئا؛ يقول الله تعالى ذكره: (كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾) يقول: كما أضل هؤلاء الذين ضل عنهم في جهنم ما كانوا يعبدون في الدنيا من دون الله من الآلهة والأوثان آلهتهم وأوثانهم، كذلك يضل الله أهل الكفر به عنه، وعن رحمته وعبادته، فلا يرحمهم فينجيهم من النار، ولا يغيثهم فيخفف عنهم ما هم فيه من البلاء.

وقال: ويعني تعالى ذكره بقوله: (ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ) هذا الذي فعلنا اليوم بكم أيها القوم من تعذيبنا كم العذاب الذي أنتم فيه، بفرحكم الذي كنتم تفرحونه في الدنيا، بغير ما أذن لكم به من الباطل والمعاصي، وبمرحكم فيها، والمرح: هو الأشر والبطر .

وقوله: (ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا) يقول تعالى ذكره لهم: ادخلوا أبواب جهنم السبعة من كل باب منها جزء مقسوم منكم (فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾) يقول: فبئس منزل المتكبرين في الدنيا على الله أن يوحدوه، ويؤمنوا برسله اليوم جهنم.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: (إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ) أي: متصلة بالأغلال، بأيدي الزبانية يسحبونهم على وجوههم، تارة إلى الحميم وتارة إلى الجحيم؛ ولهذا قال: (يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾) ، كما قال: (هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾) [الرحمن: ٤٣-٤٤] . وقال بعد

(٣٣١) أحمر
أسود

ذكْره أكلهم الزقوم وشربهم الحميم: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ [الصافات:٦٨]، وقال: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ إلى أن قال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ [الواقعة: ٤١ - ٥٦]. وقال: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الدخان: ٤٣ - ٥٠]، أي: يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ، والتحقير والتصغير، والتهكم والاستهزاء بهم.

وقوله: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: قيل لهم: أين الأصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله؟ هل ينصرونكم اليوم؟ ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ أي: ذهبوا فلم ينفعونا، ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا﴾ أي: جحدوا عبادتهم، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٣]؛ ولهذا قال: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

وقولــــه: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾ أي: تقول لهم الملائكة: هذا الذي أنتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا بغير الحق، ومرحكم وأشركم وبطركم، ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾ أي: فبئس المَنزلُ والمَقِيلُ الذي فيه الهوان والعذاب الشديد، لمن استكبر عن آيات الله، واتباع دلائله وحُججه.

وقال القرطبي $:

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ وهذا تقريع وتوبيخ ﴿قَالُوا

ضَلُّواْ عَنَّا) أي: هلكوا وذهبوا عنا وتركونا في العذاب من ضل الماء في اللبن أي: خفي وقيل : أي: صاروا بحيث لا نجدهم (بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـًٔاۚ) أي: شيئًا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وليس هذا إنكار لعبادة الأصنام بل هو اعتارف بأن عبادتهم الأصنام كانت باطلة قال الله تعالى : (كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾) أي كما فعل بهؤلاء الإضلال يفعل بكل كافر.

قوله تعالى : (ذَٰلِكُم) أي ذلكم العذاب (بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ) بالمعاصي يقال لهم ذلك توبيخًا أي نالكم هذا بما كنتم تظهرون في الدنيا من السرور بالمعصية وكثرة المال والأتباع والصحة وقيل: إن فرحهم بها عندهم أنهم قالوا للرسل : نحن نعلم أنا لا نبعث ولا نعذب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴿٧٧﴾).

ج: هذا، والله أعلم، تصبير للنبي ﷺ وتسليةٌ له، فالمعنى اصبر يا رسول الله فسيتحقق ما وعد الله به من إحلال العقوبة بهؤلاء الذين كذبوك وعاندوك وخالفوا أمرك فإن الله لا يخلف وعده رسله.

هذا، وقد تحلُّ بهؤلاء المكذبين عقوبتنا في الدنيا وتراهم يعاقبون وأنت حي وقد تموت قبل أن يحل بهم عقابنا، كما قال تعالى: (فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدۡنَٰهُمۡ فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾) [الزخرف: ٤١-٤٢].

قال الطبري $:

(٣٣٣) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فاصبر يا محمد على ما يجادلك به هؤلاء المشركون في آيات الله التي أنزلناها عليك، وعلى تكذيبهم إياك، فإن الله منجز لك فيهم ما وعدك من الظفر عليهم، والعلو عليهم، وإحلال العقاب بهم، كسنتنا في موسى بن عمران ومن كذبه ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ يقول جل ثناؤه: فإما نرينك يا محمد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من العذاب والنقمة أن يحل بهم ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل أن يحل ذلك بهم ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ٧٧﴾ يقول: فإلينا مصيرك ومصيرهم، فنحكم عند ذلك بينك وبينهم بالحق بتخليدناهم في النار، وإكرامناك بجوارنا في جنات النعيم.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى آمرًا رسوله، صلوات الله وسلامه عليه، بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه؛ فإن الله سينجز لك ما وعدك من النصر والظفر على قومك، وجعل العاقبة لك ولمن اتبعك في الدنيا والآخرة، ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ أي: في الدنيا. وكذلك وقع، فإن الله أقر أعينهم من كبرائهم وعظمائهم، أبيدوا في يوم بدر. ثم فتح الله عليه مكة وسائر جزيرة العرب في أيام حياته ﷺ.

وقوله: ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ٧٧﴾ أي: فنذيقهم العذاب الشديد في الآخرة.

❀ ❀ ❀

(٣٣٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ولقد أرسلنا رسلًا من قبلك يا رسول الله، منهم من ذكَّرناك به وتلونا عليك سيرته وقصته مع قومه، ومنه من لم نخبرك بشيء من أمره، وما كان لرسول من هؤلاء الرسل الذين أرسلهم الله إلى البشر أن يأتي بمعجزةٍ من تلقاء نفسه، ولا أن يأتي بأمرٍ يكون فاصلًا بينه وبين قومه وقاطعًا للحجة ولا أن يأتي بخارقة من خوارق العادات إلا بإذن الله.

فإذا جاء أمر الله الذي يريده بتعذيب قومٍ ورحمة آخرين أو بقيام الساعة أو غير ذلك، فحينئذٍ يفصل بين العباد بالحق، فيرحم الله من يشاء ويقضي لصاحب الحق بحقه وعلى المبطل ببطلانه، فحينئذٍ يخسر هؤلاء المبطلون الذين حاولوا جاهدين إبطال الحق وإزهاقه، بما يقذفونه من شُبه الباطل، والله أعلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ يا محمد ﴿رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾ إلى أممها ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ يقول: من أولئك الذين أرسلنا إلى أممهم من قصصنا عليك نبأهم ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ﴾ نبأهم.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: وما جعلنا لرسول ممن أرسلناه من قبلك الذين قصصناهم عليك، والذين لم نقصصهم عليك إلى أممها أن يأتي قومه بآية فاصلة بينه وبينهم، إلا بإذن

(٣٣٥) أحمر
أسود

الله له بذلك، فيأتيهم بها؛ يقول جل ثناؤه لنبيه: فلذلك لم يجعل لك أن تأتي قومك بما يسألونك من الآيات دون إذننا لك بذلك، كما لم نجعل لمن قبلك من رسلنا إلا أن نأذن له به ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ﴾ يعني بالعدل، وهو أن ينجي رسله والذين آمنوا معهم ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝٧٨﴾ يقول: وهلك هنالك الذين أبطلوا في قيلهم الكذب، وافترائهم على الله وادعائهم له شريكًا.

وقال ابن كثير $:

ثم قال مسليًا له: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ كما قال في (سورة النساء) سواء، أي: منهم من أوحينا إليك خبرهم وقصصهم مع قومهم كيف كذبوهم ثم كانت للرسل العاقبة والنُّصرة، ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ وهم أكثر ممن ذكر بأضعاف أضعاف، كما تقدم التنبيه على ذلك في سورة النساء، ولله الحمد والمنة.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: ولم يكن لواحد من الرسل أن يأتي قومه بخارق للعادات، إلا أن يأذن الله له في ذلك، فيدل ذلك على صدقه فيما جاءهم به، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ وهو عذابه ونكاله المحيط بالمكذبين ﴿قُضِىَ بِٱلْحَقِّ﴾ فينجو المؤمنون، ويهلك الكافرون؛ ولهذا قال: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝٧٨﴾.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾ عزَّاه أيضًا بما لقيت الرسل من قبله ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ أي أنبأناك بأخبارهم وما لقوا من قومهم

(وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ) أي من قبل نفسه (إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ) أي إذا جاء الوقت المسمى لعذابهم أهلكهم الله وإنما التأخير لإسلام مَنْ علم الله إسلامه منهم ولمن في أصلابهم من المؤمنين وقيل : أشار بهذا إلى القتل ببدر (قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ۝٧٨) أي الذين يتبعون الباطل والشرك.

❁ ❁ ❁

(٣٣٧) أحمر

قال الله تعالى:

(ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾
وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى
ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾
أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟
أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ
﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ
بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ
وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ
سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾).

[غافر: ٧٩-٨٥]

(٣٣٨) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(ٱلۡأَنۡعَٰمَ - ٱلۡفُلۡكِ - وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ - وَحَاقَ بِهِم - بَأۡسَنَا - سُنَّتَ ٱللَّهِ - خَلَتۡ).

ج:

الكلمة	معناها
(ٱلۡأَنۡعَٰمَ)	قيل: المراد هنا الإبل خاصة وقيل: الأنعام الثمانية (الإبل - البقر - الغنم - الماعز) (الجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والجدي والعنز)
(ٱلۡفُلۡكِ)	السفن العظيمة
(وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ)	آثارهم الباقية بعد هلاكهم - العلامات الدالة عليهم بعد هلاكهم (منازل - قبور، ونحو ذلك)
(وَحَاقَ بِهِم)	حلَّ بهم - نزل بهم
(بَأۡسَنَا)	عذابنا
(سُنَّتَ ٱللَّهِ)	طريقة الله ۵ - صنيعه في الأمم
(خَلَتۡ)	مضت - انقضت وذهبت

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قول الله ۵: (ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، الله الذي يستحق العبادة وحده لا شريك لـه، هو الله الذي جعل لكم الأنعام (الإبل - البقر - الغنم - الماعز) منها ما تركبوه، وهي الإبل ومنها جميعًا تأكلون، ولكم فيها منافع غير الأكل والركوب كالانتفاع بأصوافها وأوبارها وأشعارها كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ۝٨٠﴾ [النحل: ٨٠].

وكذا سخرت لتبلغوا عليها حاجة في صدوركم أي: السفر إلى البلاد التي تريدون قضاء حوائجكم فيها ومنها، وعلى الإبل التي هي من الأنعام وعلى ﴿ٱلْفُلْكِ﴾ وهي السفن العظيمة تحملكم في أسفاركم كما قال تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ [النحل: ٧]، ويطلعكم الله على آياته الدالة على قدرته ووحدانيته، فأي هذه الآيات الدالة على قدرة الله، فأي هذه الآيات تنكرونها.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿ٱللَّهُ﴾ الذي لا تصلح الألوهة إلا لـه أيها المشركون به من قريش ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ﴾ من الإبل والبقر والغنم والخيل، وغير ذلك من البهائم التي يقتنيها أهل الإسلام لمركب أو لمطعم ﴿لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا﴾ يعني: الخيل والحمير ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٧٩﴾ يعني الإبل والبقر والغنم. وقال:﴿لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا﴾ ومعناه: لتركبوا منها بعضًا ومنها بعضًا تأكلون، فحذف استغناء بدلالة الكلام على ما حذف.

وقولـه: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ وذلك أن جعل لكم من جلودها بيوتًا تستخفونها يوم ظعنكم، ويوم إقامتكم، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثًا ومتاعًا إلى حين.

وقولـه: ﴿وَعَلَيْهَا﴾ يعني: وعلى هذه الإبل، وما جانسها من الأنعام المركوبة ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ يعني: وعلى السفن ﴿تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ يقول: نحملكم على هذه في البر، وعلى هذه في البحر ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يقول: ويريكم حججه، ﴿فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾ يقول: فأي حجج الله التي يريكم أيها الناس في السماء والأرض تنكرون صحتها، فتكذبون من أجل فسادها بتوحيد الله، وتدعون من دونه إلهًا.

وقولـه: ﴿وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ﴾ يقول: ولتبلغوا بالحمولة على بعضها، وذلك الإبل حاجة في صدوركم لم تكونوا بالغيها لولا هي، إلا بشق أنفسكم، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ [النحل: ٧].

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى ممتنًا على عباده، بما خلق لهم من الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [يس: ٧٢]، فالإبل تركب وتؤكل وتحلب، ويحمل عليها الأثقال في الأسفار والرحال إلى البلاد النائية، والأقطار الشاسعة. والبقر تؤكل، ويشرب لبنها، وتحرث عليها الأرض. والغنم تؤكل، ويشرب لبنها، والجميع تجز أصوافها وأشعارها وأوبارها، فيتخذ منها الأثاث والثياب والأمتعة كما فَصّل وبَيَّنَ في أماكن تقدم ذكرها في (سورة الأنعام)، و(سورة النحل)، وغير ذلك؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

وقولـه: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: حججه وبراهينه في الآفاق وفي أنفسكم،

❀ ❀ ❀

﴿فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾ أي: لا تقدرون على إنكار شيء من آياته، إلا أن تعاندوا وتكابروا .

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أفلم يَسر هؤلاء المكذبون في الأرض فينظروا مصائر وعواقب الذين كذبوا من قبلهم، فقد كان من كان قبلهم أكثر عددًا منهم وأقوى منهم وتركوا آثارًا عظيمة في الأرض تدل على عظيم قوتهم وشدتهم وبأسهم وغناهم وكثرة أموالهم فما أغنى كل هذا من عذاب الله من شيء، وقد كان من شأنهم لما أتتهم رسلهم بالحجج الواضحات والآيات النيِّرات الدالة على وحدانية الله ۵، وقد رأوا أنهم يعلمون من أمور الدنيا علومًا، في حقيقتها زائلة وفانية فرحوا بما عندهم من العلم الدنيوي وفرحوا بما هم فيه من سعة الأرزاق وحسن التدبير في أمور الدنيا، فغرتهم دنياهم وحملتهم على تكذيب المرسلين والسخرية منهم، فحلَّ بهم من أمر الله وعذابه ما حل ونزل بهم جزاؤهم لمَّا استهزؤوا برسل الله الكرام.

فلما رأوا عذاب الله أتى ولا محالة من وقوعه ولا راد له من بعد الله،

(٣٤٢) أحمر
أسود

قالوا حينما عاينوه ورأوه صدقنا بوحدانية الله ۵ وكفرنا بما سواه من الآلهة والأصنام والأنداد، ولكن ما نفعتهم مقولتهم هذه، فقد قالوها عند حلول العذاب، فلم ينفعهم إيمانهم آنذاك كما قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ ...﴾ [النساء: ١٨]، وكما قال تعالى في شأن فرعون لما أدركه الغرق: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس: ٩٠-٩١].

فالحاصل أن إيمانهم لم ينفعهم عند حلول العذاب بهم وعند معاينتهم له، وتلك سُنَّة الله ۵ وطريقته في الخلق، سنته التي مضت في عباده أنه ينتقم ممن عاندوا رسله وكذبوهم وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا، وعند معاينة العذاب يبادر الكفار بإعلان إيمانهم، وعند وقوع العذاب يخسر هؤلاء الكفار أنفسهم ويخسرون كل ما ينتفع به، والله أعلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: أفلم يسر يا محمد هؤلاء المجادلون في آيات الله من مشركي قومك في البلاد، فإنهم أهل سفر إلى الشأم واليمن، رحلتهم في الشتاء والصيف، فينظروا فيما وطئوا من البلاد إلى وقائعنا بمن أوقعنا به من الأمم قبلهم، ويروا ما أحللنا بهم من بأسنا بتكذيبهم رسلنا، وجحودهم آياتنا، كيف كان عقبى تكذيبهم ﴿كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ يقول: كان أولئك الذين من قبل هؤلاء المكذبيك من قريش أكثر عددا من هؤلاء وأشد بطشا، وأقوى قوة، وأبقى في الأرض آثارا، لأنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتا ويتخذون مصانع.

قولـه تعـالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨٣﴾.

يقول تعالى ذكره: فلما جاءت هؤلاء الأمم الذين من قبل قريش المكذبة رسلها رسلهم الذين أرسلهم الله إليهم بالبينات، يعني: بالواضحات من حجج الله ٥ ﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ يقول: فرحوا جهلا منهم بما عندهم من العلم وقالوا: لن نبعث، ولن يعذبنا الله.

وقوله: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨٣﴾ يقول: وحاق بهم من عذاب الله ما كانوا يستعجلون رسلهم به استهزاء وسخرية.

وقال في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ٨٤﴾.

يقول تعالى ذكره: فلما رأت هذه الأمم المكذبة رسلها بأسنا، يعني عقاب الله الذي وعدتهم به رسلهم قد حل بهم.

وقوله: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ﴾ يقول: قالوا: أقررنا بتوحيد الله، وصدقنا أنه لا إله إلا الله ﴿وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ٨٤﴾ يقول: وجحدنا الآلهة التي كنا قبل وقتنا هذا نشركها في عبادتنا الله ونعبدها معه، ونتخذها آلهة، فبرئنا منها.

في تأويل قوله تعالى : ﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٥﴾.

يقول تعالى ذكره: فلم يك ينفعهم تصديقهم في الدنيا بتوحيد الله عند معاينة عقابه قد نزل، وعذابه قد حل، لأنهم صدقوا حين لا ينفع التصديق مصدقًا، إذ كان قد مضى حكم الله في السابق من علمه، أن من تاب بعد

نزول العذاب من الله على تكذيبه لم تنفعه توبته.

وقوله: (سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ) يقول: ترك الله تبارك وتعالى إقالتهم، وقبول التوبة منهم، ومراجعتهم الإيمان بالله، وتصديق رسلهم بعد معاينتهم بأسه، قد نزل بهم سنته التي قد مضت في خلقه، فلذلك لم يقلهم ولم يقبل توبتهم في تلك الحال.

وأورد عن قتادة بإسناد حسن (سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ) يقول: كذلك كانت سنة الله في الذين خلوا من قبل إذا عاينوا عذاب الله لم ينفعهم إيمانهم عند ذلك.

وقوله: (وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٥) يقول: وهلك عند مجيء بأس الله، فغبنت صفقته ووضع في بيعه الآخرة بالدنيا، والمغفرة بالعذاب، والإيمان بالكفر، الكافرون بربهم الجاحدون توحيد خالقهم، المتخذون من دونه آلهة يعبدونهم من دون بارئهم.

قال السعدي $:

ثم ذكر جرمهم الكبير فقال: (فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ) من الكتب الإلهية، والخوارق العظيمة، والعلم النافع المبين، الهادي من الضلال، والحق من الباطل (فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ) المناقض لدين الرسل.

ومن المعلوم، أن فرحهم به، يدل على شدة رضاهم به، وتمسكهم، ومعاداة الحق، الذي جاءت به الرسل، وجعل باطلهم حقًّا، وهذا عام لجميع العلوم، التي نوقض بها، ما جاءت به الرسل، ومن أحقها بالدخول في هذا، علوم الفلسفة، والمنطق اليوناني، الذي رُدَّت به كثير من آيات القرآن، ونقصت قدره في القلوب، وجعلت أدلته اليقينية القاطعة، أدلة

لفظية، لا تفيد شيئًا من اليقين، ويقدم عليها عقول أهل السفه والباطل، وهذا من أعظم الإلحاد في آيات الله، والمعارضة لها، والمناقضة، فالله المستعان.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يخبر تعالى عن الأمم المكذبة بالرسل في قديم الدهر، وماذا حل بهم من العذاب الشديد، مع شدة قواهم، وما أثّروه في الأرض، وجمعوه من الأموال، فما أغنى عنهم ذلك شيئا، ولا رد عنهم ذرة من بأس الله؛ وذلك لأنهم لما جاءتهم الرسل بالبينات، والحجج القاطعات، والبراهين الدامغات، لم يلتفتوا إليهم، ولا أقبلوا عليهم، واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءتهم به الرسل.

وقال مجاهد: قالوا: نحن أعلم منهم لن نبعث ولن نعذب.

وقال السدي: فرحوا بما عندهم من العلم بجهالتهم، فأتاهم من بأس الله ما لا قِبَل لهم به.

﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ أي: أحاط بهم ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨٣﴾ أي: يكذبون ويستبعدون وقوعه.

﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا﴾ أي: عاينوا وقوع العذاب بهم، ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ٨٤﴾ أي: وحدوا الله وكفروا بالطاغوت، ولكن حيث لا تُقَال العثرات، ولا تنفع المعذرة. وهذا كما قال فرعون حين أدركه الغرق: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠﴾ [يونس: ٩٠]، قال الله تعالى: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٩١﴾ [يونس: ٩١] أي: فلم يقبل الله منه؛ لأنه قد استجاب لنبيه موسى دعاءه عليه

(٣٤٦) أحمر
أسود

حين قال: ﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٨٨﴾ [يونس:٨٨]. وهاهنا قال: ﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ﴾ أي: هذا حكم الله في جميع مَنْ تاب عند معاينة العذاب: أنه لا يقبل؛ ولهذا جاء في الحديث: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»(١) أي: فإذا غرغر وبلغت الروح الحنجرة، وعاين الملك، فلا توبة حينئذ؛ ولهذا قال: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٥﴾.

قال القرطبي $:

﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٥﴾ قال الزجاج وقد كانوا خاسرين من قبل ذلك إلا أنه بين لنا الخسران لما رأوا العذاب وقيل : فيه تقديم وتأخير أي: (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٥﴾ كسنتنا في جميع الكافرين فـ(سُنَّتَ) نصب بنزع الخافض أي كسنة الله في الأمم كلها والله أعلم.

❁ ❁ ❁

تم بحمد الله تفسير سورة غافر من كتابي
التسهيل لتأويل التنزيل
(تفسير القرآن في سؤال وجواب)

---

(١) في سنده ضعف: أخرجه أحمد (١٣٢/٢)، والترمذي (٣٥٣٧)، وغيرهما، وفي سنده عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، فيه مقال.

(٣٤٧) أحمر

أسود

قال الله تعالى:

تفسير سورة فصلت

(بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)

(حمٓ ١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ
قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ
لَا يَسۡمَعُونَ ٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ
ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥ قُلۡ
إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ
إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ
أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٨) [الأحقاف: ١-١٢]

(٣٤٨) أحمر
أسود

س: ـ اذكر معنى ما يلي:

(فُصِّلَتْ - أَكِنَّةٍ - وَقْرٌ - حِجَابٌ - غَيْرُ مَمْنُونٍ).

ج:

الكلمة	معناها
(فُصِّلَتْ)	بُيِّنت ـ فُسِّرت
(أَكِنَّةٍ)	أغطية (جمع غطاء)
(وَقْرٌ)	صمم – ثقل
(حِجَابٌ)	ساتر
(غَيْرُ مَمْنُونٍ)	غير مقطوع

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: (حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤)؟

ج: معناه، والله أعلم، أن هذا القرآن نزل من عند الله ﻩ الرحمن الرحيم، وهذا الذي نزل كتابٌ قد بُيِّنت آياته بيانًا شافيًا كافيًا ونزل بلسانٍ عربيٍّ واضح يعرف وضوحه وفصاحته وصدقه الراسخون في العلم، نزّل هذا القرآن بشيرًا لمن أطاع الله ورسوله بجنات النعيم وبكل خير ومُحذرًا ومنذرًا بالنار من عصى الله ورسوله وأشرك بالله ما لم ينزل به سلطانًا، ولكن قد أعرض أكثر الناس عنه وما انتفع به إلا أهل الإيمان أما غيرهم فتركوه ولم يستمعوا إليه ولم يبالوا به بل كذبوه ورفضوه.

(٣٤٩) أحمر
أسود

* أما قوله: ﴿حمٓ﴾ فمعناها موكول إلى الله وقد تقدم الكلام على نظيراتها مرارًا.

قال الطبري $:

وقوله:﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ يقول تعالى ذكره: هذا القرآن تنزيل من عند الرحمن الرحيم نزله على نبيه محمد ﷺ ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ يقول: كتاب بينت آياته.

وقوله: ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره: فُصلت آياته هكذا.

وقوله: ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾ يقول: فصلت آيات هذا الكتاب قرآنًا عربيًّا لقوم يعلمون اللسان العربي.

﴿بَشِيرًا﴾ لهم يبشرهم إن هم آمنوا به، وعملوا بما أنزل فيه من حدود الله وفرائضه بالجنة، ﴿وَنَذِيرًا﴾ يقول ومنذرًا من كذب به ولم يعمل بما فيه بأمر الله في عاجل الدنيا، وخلود الأبد في نار جهنم في آجل الآخرة.

وقوله: ﴿فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ﴾ يقول تعالى ذكره: فاستكبر عن الإصغاء له وتدبر ما فيه من حجج الله، وأعرض عنه أكثر هؤلاء القوم الذين أنزل هذا القرآن بشيرا لهم ونذيرا، وهم قوم رسول الله ﷺ. ﴿فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤﴾يقول: فهم لا يصغون له فيسمعوه إعراضًا عنه واستكبارًا.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ يعني: القرآن منزل من الرحمن الرحيم، كقوله تعالى: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]، وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤﴾ [الشعراء: ١٩٢ -١٩٤].

وقولـــه: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أي: بُينـــت معانيـــه وأحكمـــت أحكامـه، ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾ أي: فـي حـال كونـه لفظًـا عربيًّـا، بينًـا واضـحًا، فمعانيه مفصلة، وألفاظه واضحة غير مشكلة، كقولـه: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ [هـود: ١] أي: هـو معجـز مـن حيـث لفظـه ومعنـاه، ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ [فصـلت: ٤٢].

وقوله: ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣﴾ أي: إنما يعرف هذا البيان والوضوح العلماءُ الراسـخون، ﴿بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ أي: تـارة يبشـر المـؤمنين، وتـارة ينـذر الكـافرين، ﴿فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٤﴾ أي: أكثـر قـريش، فهـم لا يفهمون منه شيئا مع بيانه ووضوحه.

❀ ❀ ❀

س: قولـه تعـالى: ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣﴾ هل هـو للـذين يعلمـون فقط؟

ج: ليس كذلك بل هو لعموم الإنس والجن، وإنما خصَّ الله ٥ «القوم الذين يعلمون» لكونهم المنتفعون به.

قال الشنقيطي $ في (أضواء البيان):

وإنمـا خصـهم بـذلك ، لأنهـم هـم المنتفعـون بتفصـيله ، كمـا خصـهم بتفصيل الآيات في سورة يونس فـي قولـه تعـالى : ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٥﴾ [يونس : ٥]، وفـي سـورة الأنعـام فـي قولـه تعـــالى : ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٩٧ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ٩٨﴾ [الأنعـام : ٩٧، ٩٨] إلـى

غير ذلك من الآيات .

وقد أوضحنا وجه تخصيص المنتفعين بالأمر المشترك دون غيرهم في سورة فاطر في الكلام على قوله تعالى : (إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ) [فاطر : ١٨] وبينا هناك أن تخصيصهم بالإنذار دون غيرهم ، في آية فاطر هذه ، وفي قوله تعالى في يس: (إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ) [يس : ١١] وقوله في النازعات: (إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾) [النازعات : ٤٥] وقوله في الأنعام : (وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ) [الأنعام : ٥١] الآية . مع أن أصل الإنذار عام شامل للمذكورين وغيرهم كما يدل عليه قوله تعالى (تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾) [الفرقان : ١] .

وإنما خص المذكورين بالإنذار؛ لأنهم هم المنتفعون به؛ لأن من لم ينتفع بالإنذار ، ومن لم ينذر أصلًا سواء في عدم الانتفاع ، كما قال الله تعالى: (وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾) [يس : ١٠].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾).

ج: المعنى - والله أعلم – وقال هؤلاء المشركون المكذبون بالقرآن لرسول الله ﷺ لما دعاهم إلى الإيمان والتصديق: قلوبنا في أغطية وأوعية فلا يصل إليه شيءٌ مما تدعوها إليه بل وفي آذاننا صمم وثقلٌ فلا نستطيع أن نسمع ما تقوله، وفضلًا عن ذلك كله فبيننا وبينك حائلٌ يحول وساتر يمنع وصول كلامك إلينا فالقلوب مقفلة والأذن مغلقة والسواتر والحواجز

(٣٥٢) أحمر
أسود

قائمة فلن يصل إلينا منك شيء فاستمر على دينك الذي تعتقده، ونستمر على ديننا الذي نعتقده فلن نهتدي بما جئت به.

وبنحو هذا قال أهل التأويل:

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون المعرضون عن آيات الله من مشركي قريش إذ دعاهم محمد نبيّ الله إلى الإقرار بتوحيد الله وتصديق ما في هذا القرآن من أمر الله ونهيه، وسائر ما أنزل فيه ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾ يقول: في أغطية ﴿مِّمَّا تَدۡعُونَآ﴾ يا محمد ﴿إِلَيۡهِ﴾ من توحيد الله، وتصديقك فيما جئتنا به، لا نفقه ما تقول ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ﴾ وهو الثقل، لا نسمع ما تدعونا إليه استثقالا لما يدعو إليه وكراهة له.

وقوله: ﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ يقولون: ومن بيننا وبينك يا محمد ساتر لا نجتمع من أجله نحن وأنت، فيرى بعضنا بعضا، وذلك الحجاب هو اختلافهم في الدين، لأن دينهم كان عبادة الأوثان، ودين محمد □ عبادة الله وحده لا شريك له، فذلك هو الحجاب الذي زعموا أنه بينهم وبين نبيّ الله، وذلك هو خلاف بعضهم بعضا في الدين.

وقوله: ﴿فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥﴾ يقول: قالوا له □: فاعمل يا محمد بدينك، وما تقول إنه الحق، إننا عاملون بديننا وما نقول إنه الحق، ودع دعاءنا إلى ما تدعونا إليه من دينك فإنا ندع دعاءك إلى ديننا.

وأدخلت «من» في قوله: ﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ والمعنى: وبيننا وبينكَ حِجابٌ، توكيدا للكلام.

وقال ابن كثير $:

(٣٥٣) أحمر
أسود

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾ أي: في غلف مغطاة ﴿مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ﴾ أي: صمم عما جئتنا به، ﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ فلا يصل إلينا شيء مما تقول، ﴿فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥﴾ أي: اعمل أنت على طريقتك، ونحن على طريقتنا لا نتابعك.

وقال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾.

ذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أن الكفار صرحوا للنبي ، بأنهم لا يستجيبوا له ولا يؤمنون به، ولا يقبلون منه ما جاءهم به فقالوا له قلوبنا التي نعقل بها، ونفهم في أكنة، أي أغطية.

والأكنة، جمع كنان، وهو الغطاء والغلاف الذي يغطي الشيء ويمنعه من الوصول إليه.

ويعنون أن تلك الأغطية، مانعة لهم من فهم ما يدعوهم إليه ، وقالوا إن في آذانهم التي يسمعون بها وقرًا أي: ثقلًا وهو الصمم. وأن ذلك الصمم مانع لهم من أن يسمعوا من النبي شيئًا ومما يقول، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦].

وأن من بينهم وبينه حجابًا، مانعًا لهم من الاتصال والاتفاق، لأن ذلك الحجاب يحجب كلا منهما عن الآخر، ويحول بينهم وبين رؤية ما يبديه من الحق.

والله جل وعلا، ذكر عنهم هذا الكلام في معرض الذم، مع أنه تعالى صرح بأنه جعل على قلوبهم الأكنة، وفي آذانهم الوقر، وجعل بينهم

وبين رسوله حجابًا ، عند قراءته القرآن ، قال تعالى في سورة بني إسرائيل : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [الإسراء: ٤٥، ٤٦]. وقال تعالى في الأنعام: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ [الأنعام : ٢٥] وقال تعالى في الكهف : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الكهف : ٥٧].

وهذا الإشكال الذي أشرنا إليه في هذه الآيات قوي ، ووجه كونه مشكلًا ظاهر ، لأنه تعالى ذمهم على دعواهم الأكنة والوقر والحجاب في هذه الآية الكريمة من فصلت ، وبين في الآيات الأخرى أن ما ذمهم على ادعائه واقع بهم فعلًا ، وأنه تعالى هو الذي جعله فيهم .

فيقال : فكيف يذمون على قول شيء ، هو حق في نفس الأمر .

والتحقيق في الجواب عن هذا الإشكال ، هو ما ذكرناه مرارًا ، من أن الله إنما جعل على قلوبهم الأكنة ، وطبع عليها وختم عليها، وجعل الوقر في آذانهم، ونحو ذلك من الموانع من الهدى ، بسبب أنهم بادروا إلى الكفر ، وتكذيب الرسل طائعين مختارين ، فجزاهم الله على ذلك الذنب الأعظم ، طمس البصيرة ، والعمى عن الهدى ، جزاء وفاقًا .

فالأكنة والوقر والحجاب المذكورة إنما جعلها الله عليهم ، مجازاة لكفرهم الأول .

ومن جزاء السيئة ، تمادي صاحبها في الضلال ، ولله الحكمة البالغة في ذلك .

والآيات المصرحة بمعنى هذا كثيرة في القرآن ، كقوله تعالى :
(وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ) [النساء : ١٥٥] .

فقول اليهود في هذه الآية (قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ) كقول كفار مكة : (قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ) لأن الغلف ، جمع أغلف وهو الذي عليه غلاف ، والأكنة جمع كنان ، والغلاف والكنان كلاهما بمعنى الغطاء الساتر .

وقد رد الله على اليهود دعواهم ببل التي هي للإضراب الإبطالي ، في قوله (بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ) [النساء : ١٥٥] .

فالباء في قوله : بكفرهم سببية ، وهي دالة على أن سبب الطبع على قلوبهم هو كفرهم ، والأكنة والوقر والطبع كلها من باب واحد .

وكقوله تعالى: (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٣) [المنافقون: ٣]، والفاء في قوله : فطبع سببية أي ثم كفروا ، فطبع على قلوبهم بسبب ذلك الكفر .

وقد قدمنا مرارًا أنه تقرر في الأصول أن الفاء من حروف التعليل ، ومن المعلوم أن العلة الشرعية سبب شرعي .

وكذلك الفاء في قوله : (فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٣) [المنافقون : ٣] فهي سببية أيضًا، أي فطبع على قلوبهم ، فهم بسبب ذلك الطبع لا يفقهون أي لا يفهمون من براهين الله وحججه شيئًا .

وذلك مما يبين أن الطبع والأكنة يؤول معناهما إلى شيء واحد ، وهو ما ينشأ عن كل منهما من عدم الفهم .

لأنه قال في الطبع (فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٣) [المنافقون : ٣] .

وقال في الأكنة : (وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ) [الأنعام : ٢٥] أي

(٣٥٦) أحمر
أسود

كراهة أن يفقهوه ، أو لأجل ألا يفقهوه ، كما قدمنا إيضاحه .

وكقوله تعالى : ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف : ٥] فبين أن زيغهم الأول ، كان سببًا لإزاغة الله قلوبهم ، وتلك الإزاغة قد تكون بالأكنة والطبع والختم على القلوب .

وكقوله تعالى : ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ﴾ [البقرة : ١٠] وقوله تعالى : ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ [الأنعام : ١١٠] الآية . وقوله تعالى : ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ﴾ [التوبة: ١٢٥] الآية .

وإيضاح هذا الجواب : أن الكفار قالوا للنبي ﷺ ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ [فصلت : ٥] يقصدون بذلك إخباره ﷺ بأنهم لا يؤمنون به بوجه ، ولا يتبعونه بحال ، ولا يقرون بالحق الذي هو كون كفرهم هذا هو الجريمة ، والذنب الذي كان سببًا في الأكنة ، والوقر والحجاب .

فدعواهم كاذبة ، لأن الله جعل لهم قلوبًا يفهمون بها ، وآذانًا يسمعون بها ، خلافًا لما زعموا ، ولكنه ، سبب لهم الأكنة ، والوقر والحجاب ، بسبب مبادرتهم إلى الكفر ، وتكذيب الرسول ﷺ .

وهذا المعنى أوضحه رده تعالى على اليهود في قوله عنهم : ﴿وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ﴾ [النساء : ١٥٥].

وقد حاول الفخر الرازي في تفسير هذه الآية الكريمة ، الجواب على الإشكال المذكور فقال : فإن قيل إنه تعالى حكى هذا المعنى عن الكفار في معرض الذم ، وذكر أيضًا ما يقرب منه في معرض الذم ، فقال: ﴿وَقَالُواْ

(٣٥٧) أحمر
أسود

قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ) [البقرة : ٨٨] ثم إنه تعالى ذكر هذه الأشياء الثلاثة بعينها في معنى التقرير والإثبات في سورة الأنعام ، فقال : (وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ) [الأنعام : ٢٥] فكيف الجمع بينهما؟

قلنا : إنه لم يقل ها هنا إنهم كذبوا في ذلك ، إنما الذي ذمهم عليه ، أنهم قالوا إنا إذًا كنا كذلك ، لم يجز تكليفنا وتوجيه الأمر والنهي علينا ، وهذا الثاني باطل .

أما الأول : فلأنه ليس في الآية ما يدل على أنهم كذبوا فيه . اهـ منه .

والأظهر هو ما ذكرنا .

قال صاحب الكشاف في تفسير قوله تعالى : (وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ).

فإن قلت : هل لزيادة من في قوله : (وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ) فائدة؟

قلت : نعم .

لأنه لو قيل : وبيننا وبينك حجاب ، لكان المعنى أن حجابًا حاصل وسط الجهتين .

وأما بزيادة « مِنْ » فالمعنى : أن حجابًا ابتدأ منا وابتدأ منك .

فالمسافة المتوسطة لجهتنا ، وجهتك مستوعبة بالحجاب ، لا فراغ فيها. انتهى منه .

واستحسن كلامه هذا الفخر الرازي وتعقبه ابن المنير على الزمخشري ، فأوضح سقوطه والحق معه في تعقبه عليه .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : (وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ) [فصلت : ٥] ، وقد قدمنا تفسيره وإيضاحه بالآيات القرآنية ، في سورة بني إسرائيل ، في الكلام على قوله تعالى : (وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

(٣٥٨) أحمر
أسود

بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾) [الإسراء : ٤٥] .

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة ما أورده الحافظ ابن كثير وغيره من قصة مجيء عتبة بن ربيعة إلى رسول الله ﷺ وكلامه معه وتلاوة الرسول هذه الآيات (حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ ..) إلى قوله: (مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾)؟

ج: الإسناد بذلك ضعيف ولا يصح.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالزكاة في قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ)؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد زكاة النفوس من الشرك وذلك بقول لا إله إلا الله، أي: أنهم لا يأتون بكلمة لا إله إلا الله.

الثاني: أن المراد الزكاة المفروضة عليهم سواء زكاة الزروع أو الأموال أو الماشية أو الفطر أو غير ذلك من الزكوات المفروضة.

❁ ❁ ❁

س: من لم يؤد الزكاة هل يُعتبر مشركًا؟

ج: من لم يؤدها تكاسلًا أو بُخلًا فليس بمشرك وذلك لما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ؓ قال قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلاَ فِضَّةٍ لاَ يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحَ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِىَ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى**

(٣٥٩) أحمر
أسود

يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ ».

قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَالإِبِلُ قَالَ: « وَلاَ صَاحِبُ إِبِلٍ لاَ يُؤَدِّى مِنْهَا حَقَّهَا وَمِنْ حَقِّهَا حَلَبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ لاَ يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلًا وَاحِدًا تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولاَهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ ».

قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ قَالَ: « وَلاَ صَاحِبُ بَقَرٍ وَلاَ غَنَمٍ لاَ يُؤَدِّى مِنْهَا حَقَّهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ لاَ يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ وَلاَ جَلْحَاءُ وَلاَ عَضْبَاءُ تَنْطِحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلاَفِهَا كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولاَهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»(١).

فقوله: «ثم ينظر مقعده من الجنة أو مقعده من النار» فيه دلالة على أنه ليس بمشرك.

* أما الذي يجحد فرضية الزكاة فهو كافر، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: وضع معنى قوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين المعرضين عن القرآن المنزل عليك قل لهم ليس أمر هدايتكم وتوفيقكم بموكول إليَّ، ولست ملكًا من الملائكة بل بشرٌ يوحي الله ﷻ إليَّ أنما إلهكم إلهٌ واحد

(١) مسلم (حديث ٩٨٧).

فأطيعوه والزموه شرعه واستقيموا على أمره واطلبوا منه مغفرة ذنوبكم وسترها وعدم المؤاخذة بها أما المعرضون عن توحيد الله وعبادته وطاعته فالويل لهم، لهم وادٍ في جهنم يسيل إلى صديد أهل النار، لهم وعيد بالعذاب الشديد، هؤلاء المشركون الذين من شأنهم عدم تأدية الزكاة المفروضة عليهم، ومن شأنهم إنكار البعث والتكذيب بالآخرة.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المعرضين عن آيات الله من قومك: أيها القوم، ما أنا إلا بشر من بني آدم مثلكم في الجنس والصورة والهيئة.

لست بمَلك ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ يوحي الله إليَّ أن لا معبود لكم تصلح عبادته إلا معبود واحد. ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ يقول: فاستقيموا إليه بالطاعة، ووجهوا إليه وجوهكم بالرغبة والعبادة دون الآلهة والأوثان.

﴿وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ﴾ يقول: وسلوه العفو لكم عن ذنوبكم التي سلفت منكم بالتوبة من شرككم، يتب عليكم ويغفر لكم.

وقوله: ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٧﴾ يقول تعالى ذكره: وصديد أهل النار، وما يسيل منهم للمدعين لله شريكا العابدين الأوثان دونه الذين لا يؤتون الزكاة.

اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: معناه: الذين لا يعطون الله الطاعة التي تطهرهم، وتزكي أبدانهم، ولا يوحدونه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: الذين لا يقرّون بزكاة أموالهم التي فرضها الله فيها، ولا يعطونها أهلها.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ قال: لا يقرّون بها ولا يؤمنون بها. وكان يقال: إن الزكاة قنطرة الإسلام، فمن قطعها نجا، ومن تخلف عنها هلك؛ وقد كان أهل الردّة بعد نبيّ الله قالوا: أما الصلاة فنصلّي، وأما الزكاة فوالله لا تغصب أموالنا؛ قال: فقال أبو بكر: والله لا أفرق بين شيء جمع الله بينه؛ والله لو منعوني عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلناهم عليه.

والصواب من القول: في ذلك ما قاله الذين قالوا: معناه: لا يؤدّون زكاة أموالهم؛ وذلك أن ذلك هو الأشهر من معنى الزكاة، وأن في قوله: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾ دليلًا على أن ذلك كذلك، لأن الكفار الذين عنوا بهذه الآية كانوا لا يشهدون أن لا إله إلا الله، فلو كان قوله: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ مرادا به الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله لم يكن لقوله: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾ معنى؛ لأنه معلوم أن من لا يشهد أن لا إله إلا الله لا يؤمن بالآخرة، وفي إتباع الله قوله: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾ قوله: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ما ينبئ عن أن الزكاة في هذا الموضع معنيّ بها زكاة الأموال.

وقوله: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾ يقول: وهم بقيام الساعة، وبعث الله خلقه أحياء من قبورهم، من بعد بلائهم وفنائهم منكرون.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المكذبين المشركين: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا كما تعبدونه من الأصنام والأنداد والأرباب المتفرقين، إنما الله إله واحد، ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ أي: أخلصوا له

العبادة على منوال ما أمركم به على ألسنة الرسل، (وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ) أي: لسالف الذنوب، (وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦) أي: دمار لهم وهلاك عليهم.

* وأورد الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى القولين في تفسير قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ) ولكنه خالف الطبري في اختياره فقال بعد أن أورد قول من قال إن معناها الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله، قال:

وهذا كقوله تعالى: (قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠) [الشمس: ٩، ١٠]، وكقوله: (قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥) [الأعلى: ١٤، ١٥]، وقوله (فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨) [النازعات : ١٨] والمراد بالزكاة هاهنا: طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة، ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك. وزكاة المال إنما سميت زكاة لأنها تطهره من الحرام، وتكون سببا لزيادته وبركته وكثرة نفعه، وتوفيقا إلى استعماله في الطاعات.

وأورد قول من قال: الذين يمنعون زكاة أموالهم وتعقبه بقوله:

وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين، واختاره ابن جرير. وفيه نظر؛ لأن إيجاب الزكاة إنما كان في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة، على ما ذكره غير واحد وهذه الآية مكية، اللهم إلا أن يقال: لا يبعد أن يكون أصل الزكاة والصدقة كان مأمورا به في ابتداء البعثة، كقوله تعالى: (وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ) [الأنعام: ١٤١]، فأما الزكاة ذات النصب والمقادير فإنما بَيَّن أمرها بالمدينة، ويكون هذا جمعا بين القولين، كما أن أصل الصلاة كان واجبا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في ابتداء البعثة، فلما كان ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة ونصف، فرض الله على رسوله الصلوات الخمس، وفصل شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك،

(٣٦٣) أحمر
أسود

شيئا فشيئا، والله أعلم.

قال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

والقصر في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ﴾ إضافي أي لا أقول لكم إني ملك، وإنما أنا رجل من البشر .

وقوله : ﴿مِّثْلُكُمْ﴾ في الصفات البشرية ، ولكن الله فضلني بما أوحى إليَّ من توحيده .

كما قال تعالى عن الرسل في سورة إبراهيم : ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم : ١١] أي كما منَّ علينا بالوحي والرسالة .

وما ذكره الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة ذكره في آخر سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف : ١١٠] الآية .

❀ ❀ ❀

س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم إن الذين آمنوا بالقرآن وبرسول الله ﷺ وصدقوا به وآمنوا بكل ما ألزموا الإيمان به لهم أجرٌ غير مقطوع بل متواصل لا يتحول عنهم ولا يتحولون عنه، وإن تقدمت بهم الأعمار وعجزوا عن الأعمال لضعفهم فأجورهم تأتيهم لا تنقص كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾ أي: رددنا الإنسان إلى أرذل العمر فضعف عن العمل، لكن أهل الإيمان وإن

ضعفوا عن العمل فأجورهم ثابتة وإن حال بينهم وبين أعمالهم حائل.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: إن الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله به ورسوله، وانتهوا عما نهيناهم عنه، وذلك هو الصالحات من الأعمال ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨﴾ يقول: لمن فعل ذلك أجر غير منقوص عما وعدهم أن يأجرهم عليه.

وقال ابن كثير $:

ثم قال بعد ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قال مجاهد وغيره: لا مقطوع ولا مجبوب، كقوله: ﴿مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣﴾ [الكهف: ٣]، وكقوله تعالى: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝١٠٨﴾ [هود: ١٠٨] .

وقال السدي: غير ممنون عليهم. وقد رد عليه بعض الأئمة هذا التفسير، فإن المنة لله على أهل الجنة؛ قال الله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١٧]، وقال أهل الجنة: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ۝٢٧﴾ [الطور: ٢٧]، وقال رسول الله ﷺ: **«إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»**(١).

وقال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

وما تضمنته هذه الآية الكريمة ، من أن أجرهم غير ممنون ، نص الله تعالى عليه في آيات أخر من كتابه ، كقوله تعالى في آخر سورة الانشقاق: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٢٥﴾ [الانشقاق : ٢٥] . وقوله تعالى في سورة التين : ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾ [

---

(١) البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦).

(٣٦٥) أحمر
أسود

التين : ٦] وقوله تعالى في سورة هود: (﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾) [هود : ١٠٨] .

فقوله : غير مجذوذ أي غير مقطوع ، وبه تعلم أن غير مجذوذ وغير ممنون ، معناهما واحد .

وقوله تعالى في «ص»: (إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾) [ص : ٥٤] أي ماله من انتهاء ولا انقطاع . وقوله في النحل: (مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ).

[النحل : ٩٦]

❁ ❁ ❁

(٣٦٦) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا
ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا
أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ
لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ
سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ
وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً
مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم
بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ
مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا
يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ
عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾
وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ
الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾)
[فصلت: ٩-١٨]

س: اذكر معنى ما يلي:

(٣٦٧) أحمر
أسود

(لِتَكۡفُرُونَ - أَندَادٗاۚ - رَوَٰسِيَ - وَبَٰرَكَ فِيهَا - وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا - سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ - ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا - فَقَضَىٰهُنَّ - وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ - ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا - بِمَصَٰبِيحَ - وَحِفۡظٗاۚ - أَنذَرۡتُكُمۡ - صَٰعِقَةٗ - يَجۡحَدُونَ - رِيحٗا صَرۡصَرٗا - أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ -عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ - فَهَدَيۡنَٰهُمۡ -ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ)؟

ج:

الكلمة	معناها
(لِتَكۡفُرُونَ)	لتجحدون وحدانيته – لتعبدون معه غيره
(أَندَادٗاۚ)	أمثالًا – نظراء – أكفاء
(رَوَٰسِيَ)	جبالًا (سببًا في ترسيتها)
(وَبَٰرَكَ فِيهَا)	جعل الخير دائمًا فيها وثابتًا فيها
(وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا)	أودع فيها أرزاق العباد وما يحتاج إليه العباد
(سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ)	كاملات غير ناقصات
(لِّلسَّآئِلِينَ)	لمن سألوا عن زمن خلق السموات والأرض – ولمن سألوا عن الأقوات
(ٱئۡتِيَا)	أخرجا ما فيكما مما استودعكما الله إياه
(طَوۡعًا)	باختياركما
(كَرۡهٗا)	رغمًا عنكما
(فَقَضَىٰهُنَّ)	فخلقهن وفرغ من خلقهن
(وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ)	ألقى الأمر لكل سماء بالذي يريده فيها وبالذي يرده منها
(ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا)	السماء القريبة من الناس

(٣٦٨) أحمر
أسود

﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾	بنجوم وكواكب
﴿وَحِفۡظٗاۚ﴾	حفظناها حفظًا – جعلنا النجوم حفظًا للسماء من الشياطين
﴿أَنذَرۡتُكُمۡ﴾	خوَّفتكم
﴿صَٰعِقَةٗ﴾	الصاعقة كل ما أفسد الشيء وغيَّره عن هيئته سواء كان ذلك بالموت أو بالإحراق أو بغير ذلك وقيل: المراد هنا بليةٌ ونازلة ووقيعةٌ
﴿يَجۡحَدُونَ﴾	ينكرون – يكذبون
﴿رِيحٗا صَرۡصَرٗا﴾	ريحًا شديدة البرد – عالية الصوت شديدة الهبوب
﴿أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾	أيام مشائيم (جمع شؤم) متواصلات
﴿عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ﴾	العذاب الي يخزي ويهين ويُذل
﴿فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾	فبصرناهم ووضحنا لهم
﴿ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ﴾	العذاب المهين المذل المخزي

❁ ❁ ❁

س: أيهما خلق أول الأرض أم السماء؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن الأرض خلقت أولًا في يومين ثم خلقت السموات في يومين ثم دُحيت الأرض في يومين.

وقد ذكرت أقوال العلماء في ذلك وحاصل أقوالهم في كتابي هذا التسهيل (سورة البقرة آية ٢٩) عند تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ فليراجعه من شاء.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ

(٣٦٩) أحمر
أسود

فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾).

ج: المعنى، والله أعلم قل يا رسول الله لأهل الشرك الذين عبدوا مع الله ۵ إلهًا غيره، يا هؤلاء أئنكم لتجحدون وحدانية الله ۵ وتعبدون معه غيره، وهو الذي خلق الأرض في يومين ومع ذلك تجعلون له الندَّ والمثيل وتتجهون لمن جعلتموه ندًّا لله بعبادتكم، والله هو مالك الخلق كلهم مالك السموات والأرض وما فيها.

أتكفرون بالذي أرسى الأرض بالجبال الشامخات الرواسي حتى لا تميل بكم، وجعل خير الأرض دائم متواصل لكم، وجعلها مباركة قابلة للبذر والغراس والإنبات وقدَّر فيها أقوات العباد وأرزاقهم، وقدَّر فيها الأنهار والأشجار والأمطار وكل ما يصلحها لبني آدم (فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾).

أي: في أربعة أيام تامة للسائلين عن زمن خلق الأرض وما جُعل فيها.

وقيل: سواء للسائلين أي: على قدر حاجة السائلين.

قال الطبري $:

وقوله: (وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ) يقول: وتجعلون لمن خلق ذلك كذلك أندادًا، وهم الأكفاء من الرجال تطيعونهم في معاصي الله، وقد بيَّنا معنى الندّ بشواهده فيما مضى قبل.

وقوله: (ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾) يقول: الذي فعل هذا الفعل، وخلق الأرض في يومين، مالك جميع الجن والإنس، وسائر أجناس الخلق، وكل ما دونه مملوك له، فكيف يجوز أن يكون له ندّ؟! هل يكون المملوك

(٣٧٠) أحمر
أسود

العاجز الذي لا يقدر على شيء ندًّا لمالكه القادر عليه؟.

وقال في تأويل قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠﴾.

يقول تعالى ذكره: وجعل في الأرض التي خلق في يومين جبالا رواسي، وهي الثوابت في الأرض ﴿مِن فَوۡقِهَا﴾، يعني: من فوق الأرض على ظهرها.

وقوله: ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ يقول: وبارك في الأرض فجعلها دائمة الخير لأهلها.

﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾ اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: وقدر فيها أقوات أهلها بمعنى أرزاقهم ومعايشهم.

وقال آخرون: بل معناه: وقدر فيها ما يصلحها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وقدر فيها جبالها وأنهارها وأشجارها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وقدر فيها أقواتها من المطر.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وقدر في كل بلدة منها ما لم يجعله في الآخر منها لمعاش، بعضهم من بعض بالتجارة من بلدة إلى بلدة.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى أخبر أنه قدّر في الأرض أقوات أهلها، وذلك ما يقوتهم من الغذاء، ويصلحهم من المعاش، ولم يخصص جلّ ثناؤه بقوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾ أنه قَدّر فيها قوتا دون قوت، بل عم الخبر عن تقديره فيها جميع الأقوات، ومما يقوت أهلها ما لا يصلحهم غيره من الغذاء، وذلك لا يكون إلا بالمطر والتصرّف في البلاد لما خصّ به بعضا دون بعض، ومما أخرج من الجبال من الجواهر، ومن

البحر من المآكل والحليّ، ولا قول في ذلك أصح مما قال جلّ ثناؤه: قدّر في الأرض أقوات أهلها، لما وصفنا من العلة.

وقال ابن كثير $:

هذا إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا معه غيره، وهو الخالق لكل شيء، القاهر لكل شيء، المقدر لكل شيء، فقال: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا﴾ أي: نظراء وأمثالا تعبدونها معه ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٩﴾ أي: الخالق للأشياء هو رب العالمين كلهم.

وقال $:

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا﴾ أي: جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والغراس، ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾، وهو: ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس، يعني: يوم الثلاثاء والأربعاء، فهما مع اليومين السابقين أربعة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝١٠﴾ أي: لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلمه.

وقال مجاهد وعكرمة في قوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾، جعل في كل أرض ما لا يصلح في غيرها، ومنه: العصب باليمن، والسابري بسابور والطيالسة بالرّي.

وقال ابن عباس، وقتادة، والسدي في قوله تعالى: ﴿سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝١٠﴾ أي: لمن أراد السؤال عن ذلك.

وقال ابن زيد: معناه ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝١٠﴾ أي: على وفق مراد من له حاجة إلى رزق أو حاجة، فإن الله قدر له ما هو

محتاج إليه.

وهذا القول يشبه ما ذكروه في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠﴾.

ج: أما كلمة سواءً فللعلماء فيها أقوال:

أحدها: أنها وصف للأيام الأربعة والمعنى: وقدَّر الله في الأرض أقواتها في أربعة أيام تامات غير ناقصات ولا زائدات.

والثاني: أن سواء وصف للأقوات والمعنى: قدَّر فيها الأقوات مستوية مع الاحتياجات، وعلى قدر الاحتياجات ويكون قوله للسائلين أي: عن كيفية تقدير الأقوات.

قال الطبري $:

وقوله: ﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: تأويله: سواء لمن سأل عن مبلغ الأجل الذي خلق الله فيه الأرض، وجعل فيها الرواسي من فوقها والبركة، وقدّر فيها الأقوات بأهلها، وجَدَهُ كما أخبر الله أربعة أيام لا يزدن على ذلك ولا ينقصن منه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: سواء لمن سأل ربه شيئا مما به الحاجة إليه من الرزق، فإن الله قد قدّر له من الأقوات في الأرض، على قدر مسألة كل سائل منهم لو سأله لما نفذ من علمه فيهم قبل أن يخلقهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم أن الله لما خلق السموات والأرض قال لهما أخرجا ما فيكما مما أودعته لعبادي طائعتين أو ستخرجاه مجبرتين.

والـذي أودع فـي الارض منـه الثمـار والأشـجار والنباتـات والأنهـار وغير ذلك.

والذي أودع في السماء الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك.

وقال الطبري $: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾.

يعني تعالى ذكره: ثم استوى إلى السماء، ثم ارتفع إلى السماء.

وقد بيَّنا أقوال أهل العلم في ذلك فيما مضى قبل.

وقوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ يقول جلّ ثناؤه: فقال الله للسماء والأرض: جيئا بما خلقت فيكما، أما أنت يا سماء فأطلعي ما خلقت فيك من الشمس والقمر والنجوم، وأما أنت يا أرض فأخرجي ما خلقت فيك من الأشجار والثمار والنبات، وتشقّقِي عن الأنهار ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ١١﴾ جئنا بما أحدثت فينا من خلقك، مستجيبين لأمرك لا نعصي أمرك.

وقال ابن كثير $:

وقولـه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾، وهـو: بخـار المـاء المتصـاعد منـه حـين خلقـت السـموات، ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ أي: اسـتجيبا لأمري، وانفعلا لفعلي طائعتين أو مكرهتين.

❁ ❁ ❁

س: وضـح معنـى قولـه تعـالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ١٢﴾.

ج: المعنـى، والله أعلـم، فـأتم خلقهـن، وهـن سـبع سـموات فـي يـومين وألقى في كل سماء ما يريده منها وجعل السماء الدنيا مزينةً بنجوم مضيئة منيرة وكذا جعل هذه النجوم تحفظ السماء من الشياطين الذين يريدون أن

(٣٧٤) أحمر
أسود

يتسمعوا إلى الملإ الأعلى كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ﴾، وهذا كله تقدير الله ٥ العزيز الذي لا يمنع من شيء أراده، ﴿ٱلۡعَلِيمِ﴾ بخلقه وبكل شيء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ففرغ من خلقهنّ سبع سموات في يومين، وذلك يوم الخميس ويوم الجمعة(١).

وقوله: ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾ يقول: وألقى في كل سماء من السموات السبع ما أراد من الخلق.

وقوله: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ﴾ يقول تعالى ذكره: وزيّنا السماء الدنيا إليكم أيها الناس بالكواكب وهي المصابيح.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي وصفت لكم من خلقي السماء والأرض وما فيهما، وتزييني السماء الدنيا بزينة الكواكب، على ما بينت تقدير العزيز في نقمته من أعدائه، العليم بسرائر عباده وعلانيتهم، وتدبيرهم على ما فيه صلاحهم.

وقال الحافظ ابن كثير $:

﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾ أي: ورتب مقررًا في كل سماء ما تحتاج إليه من الملائكة، وما فيها من الأشياء التي لا يعلمها إلا هو، ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ وهن الكواكب المنيرة المشرقة على أهل الأرض، ﴿وَحِفۡظٗاۚ﴾ أي: حرسًا من الشياطين أن تستمع إلى الملإ الأعلى.

﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢﴾ أي: العزيز الذي قد عز كل شيء فغلبه

---

(١) كذا قال الخميس والجمعة، والأخبار بذلك لا تصح.

(٣٧٥) أحمر
أسود

وقهره، العليم بجميع حركات المخلوقات وسكناتهم.

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة حديث أبي هريرة ۏ الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن رسول الله قال: «خلق الله التربة يوم السبت....» [(١)] الحديث؟

ج: هذا الحديث لا يصح عن رسول الله وقال بعدم صحة نسبته إلى رسول الله عددٌ كبير من أهل العلم، وقد قدمت الحديث عليه في تفسير سورة البقرة (التسهيل) فراجعه إن شئت.

❁ ❁ ❁

س: كثيرًا ما يطلب أهل الكفر أن ينزل مع الرسول ملكٌ من الملائكة، وكّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨﴾ [الأنعام: ٨]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ ..﴾ إلى قولهم: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢﴾.
[الإسراء: ٩٠-٩٢]

وقوله تعالى: ﴿۞وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ﴾
[الفرقان: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧﴾ [الفرقان: ٧] إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

(١) مسلم (٢٧٨٩).

س: ما المراد بالرسل التي من بين أيديهم ومن خلفهم؟

ج: قيل في ذلك ما يلي:

الرسل التي من بين أيديهم هي الرسل التي تقدمتهم والتي من خلفهم هي التي أتتهم وهذا قول ابن جرير الطبري - $.

أي أنه عنى بقوله (وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ) ومن بعد الرسل الذي سبقوهم جاءتهم رسلٌ منهم هود غ، وقيل: الرسل التي من بين أيديهم هي الرسل التي تقدمتهم والرسل التي من خلفهم الرسل الذين جاءو من بعدهم وقيل: الرسل التي تقدمتهم والرسل التي أرسلت في القرى المجاورة لهم، وقيل غير ذلك.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ١٣ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ١٤).

ج: المعنى، والله أعلم، فإن أعرض هؤلاء المشركون عن اتباعك وعن القرآن المنزل عليك فقل حذرتكم وخوفتكم صاعقةً مثل تلك الصاعقة التي حلَّت بقبيلتي عادٍ وثمود لما جاءتهم الرسل، الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم والرسل الذين أتوهم والرسل الذين أرسلوا إلى القرى المجاورة لهم أرسلت إليهم الرسل تدعوهم إلى عبادة الله ٥ وحده لا شريك له فكذبوهم وقالوا لو شاء ربنا أن نعبده وحده لا شريك له لأنزل ملائكة من السماء تدعو إلى عبادته وحده لا شريك له وتؤيد المرسلين فيما يدعون إليه فما دام هذا لم يحدث فإنا جاحدون لما جئتم به أيها المرسلون.

(٣٧٧) أحمر
أسود

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: فإن أعرض هؤلاء المشركون عن هذه الحجة التي بيَّنتها لهم يا محمد، ونبهتهم عليها فلم يؤمنوا بها ولم يقروا أن فاعل ذلك هو الله الذي لا إله غيره، فقل لهم: أنذرتكم أيها الناس صاعقة تهلككم مثل صاعقة عاد وثمود.

وقد بيَّنا فيما مضى أن معنى الصاعقة: كلّ ما أفسد الشيء وغيره عن هيئته. وقيل في هذا الموضع عنى بها وقيعة من الله وعذاب.

وقوله: ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ يقول: فقل: أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود التي أهلكتهم، إذ جاءت عادا وثمود الرسل من بين أيديهم؛ فقوله: ﴿إِذْ﴾ من صلة صاعقة. وعنى بقوله: ﴿مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ الرسل التي أتت آباء الذين هلكوا بالصاعقة من هاتين الأمتين.

وعني بقوله: ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: من خلف الرسل الذين بعثوا إلى آبائهم رسلا إليهم، وذلك أن الله بعث إلى عاد هودا، فكذبوه من بعد رسل قد كانت تقدمته إلى آبائهم أيضا، فكذبوهم، فأهلكوا.

وقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ يقول تعالى ذكره: جاءتهم الرسل بأن لا تعبدوا إلا الله وحده لا شريك له.

قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ يقول جل ثناؤه: فقالوا لرسلهم إذ دعوهم إلى الإقرار بتوحيد الله: لو شاء ربنا أن نوحده، ولا نعبد من دونه شيئا غيره، لأنزل إلينا ملائكة من السماء رسلا بما تدعوننا أنتم إليه، ولم يرسلكم وأنتم بشر مثلنا، ولكنه رضي عبادتنا ما نعبد، فلذلك لم يرسل إلينا

بالنهي عن ذلك ملائكة.

وقوله: ﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ١٤﴾ يقول: قالوا لرسلهم: فإنا بالذي أرسلكم به ربكم إلينا جاحدون غير مصدّقين به.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بما جئتهم به من الحق: إن أعرضتم عما جئتكم به من عند الله فإني أنذركم حلول نقمة الله بكم، كما حلت بالأمم الماضين من المكذبين بالمرسلين ﴿صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ١٣﴾ أي: ومن شاكلهما ممن فعل كفعلهما.

﴿إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾، كقوله تعالى: ﴿۞وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ﴾ [الأحقاف : ٢١] أي: في القرى المجاورة لبلادهم، بعث الله إليهم الرسل يأمرون بعبادة الله وحده لا شريك له، ومبشرين ومنذرين ورأوا ما أحل الله بأعدائه من النقم، وما ألبس أولياءه من النعم، ومع هذا ما آمنوا ولا صدقوا، بل كذبوا وجحدوا، وقالوا: ﴿لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ أي: لو شاء أرسل الله رسلا لكانوا ملائكة من عنده، ﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ﴾ أي: أيها البشر ﴿كَٰفِرُونَ ١٤﴾ أي: لا نتبعكم وأنتم بشر مثلنا.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ﴾ يعني كفار قريش عما تدعوهم إليه يا محمد من الإيمان.

﴿فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ١٣﴾ أي: خوفتكم هلاكا مثل هلاك عاد وثمود.

﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ يعني من أرسل إليهم وإلى من قبلهم ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ موضع «أن» نصب بإسقاط الخافض أي بـ«ألا تعبدوا» و﴿قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ بدل الرسل ﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ من الإنذار والتبشير. قيل: هذا استهزاء منهم. وقيل: إقرار منهم بإرسالهم ثم بعده جحود وعناد.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم – فأما قبيلة عادٍ فكان من موقفهم لما أتتهم الرسل محذرةً ومخوفةً أنهم تعالوا على الحق ورفضوا قبوله وعاثوا في الأرض فسادًا وكبرًا ما أنزل الله به من سلطان وتمادوا في غرورهم قائلين من أشد منا قوة، وتغافلوا عن أن الله ۵ الذي خلقهم هو أشد منهم قوة، وجحدوا آيات الله وأنكروها وكذبوا بها، فماذا كان؟ لقد أرسل الله عليهم ريحًا شيديدة الهبوب ذات صوت شديد مفزع وتحمل بردًا قارسًا قائلًا في أيام متواليات مشائيم تحمل الشر كل الشر عليهم ليذيقهم الله بذلك العذاب المهين المُذل المخزي، ولعذاب الآخرة أكبر من ذلك.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿فَأَمَّا عَادٌ﴾ قوم هود ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ على ربهم وتجبروا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تكبرًا وعتوًّا بغير ما أذن الله لهم به ﴿وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ﴾ وأعطاهم ما أعطاهم من عظم الخلق، وشدة

البطش ﴿هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فيحذروا عقابه، ويتقوا سطوته لكفرهم به، وتكذيبهم رسله ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾. يقول: وكانوا بأدلتنا وحججنا عليهم يجحدون.

يقول تعالى ذكره: فأرسلنا على عاد ريحا صرصرا.

واختلف أهل التأويل في معنى الصرصر، فقال بعضهم: عني بذلك أنها ريح شديدة.

وقال آخرون: بل عنى بها أنها باردة.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مجاهد، وذلك أن قوله: ﴿صَرْصَرًا﴾ إنما هو صوت الريح إذا هبت بشدة، فسمع لها.

وقوله: ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل النحسات، فقال بعضهم: عني بها المتتابعات.

وقال آخرون: عني بذلك المشائيم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾ أيام والله كانت مشئومات على القوم.

وفي رواية: المشئومات النكدات.

قال الطبري $:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال عنى بها: أيام مشائيم ذات نحوس؛ لأن ذلك هو المعروف من معنى النحس في كلام العرب.

وقال $:

وقوله: ﴿لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يقول جل ثناؤه: ولعذابنا إياهم في الآخرة أخزى لهم وأشد إهانة وإذلالا. يقول: وهم يعني عادا لا

ينصرهم من الله يوم القيامة إذا عذبهم ناصر، فينقذهم منه، أو ينتصر لهم.

وقال ابن كثير $:

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: بغوا وعتوا وعصوا، ﴿وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ أي: منوا بشدة تركيبهم وقواهم، واعتقدوا أنهم يمتنعون به من بأس الله! ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ أي: أفما يتفكرون فيمن يبارزون بالعداوة؟ فإنه العظيم الذي خلق الأشياء وركب فيها قواها الحاملة لها، وإن بطشه شديد، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧﴾ [الذاريات: ٤٧]، فبارزوا الجبار بالعداوة، وجحدوا بآياته وعصوا رسوله، فلهذا قال: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ قال بعضهم: وهي الشديدة الهبوب. وقيل: الباردة. وقيل: هي التي لها صوت.

والحق أنها متصفة بجميع ذلك، فإنها كانت ريحا شديدة قوية؛ لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم، وكانت باردة شديدة البرد جدا، كقوله تعالى: ﴿بِرِيحٖ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٖ ۝٦﴾ [الحاقة:٦]، أي: باردة شديدة، وكانت ذات صوت مزعج، ومنه سمي النهر المشهور ببلاد المشرق «صرصر» لقوة صوت جريه.

وقوله: ﴿فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾ أي: متتابعات، ﴿سَبْعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا﴾ [الحاقة: ٧]، كقوله: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٖ مُّسْتَمِرّٖ ۝١٩﴾ [القمر: ١٩]، أي: ابتدئوا بهذا العذاب في يوم نحس عليهم، واستمر بهم هذا النحس سبع ليال وثمانية أيام حتى أبادهم عن آخرهم، واتصل بهم خزي الدنيا بعذاب الآخرة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ﴾ [أي] أشد خزيا لهم، ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ۝١٦﴾ أي: في الأخرى، كما لم ينصروا في الدنيا، وما

كان لهم من الله من واق يقيهم العذاب ويدرأ عنهم النكال.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ) على عباد الله هود ومن آمن معه (بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً) اغتروا بأجسامهم حين تهددهم بالعذاب، وقالوا: نحن نقدر على دفع العذاب عن أنفسنا بفضل قوتنا.

وذلك أنهم كانوا ذوي أجسام طوال وخلق عظيم.

وقد مضى في [الأعراف] عن ابن عباس: أن أطولهم كان مائة ذراع وأقصرهم كان ستين ذراعا.

فقال الله تعالى ردًّا عليهم: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً) وقدرة، وإنما يقدر العبد بإقدار الله، فالله أقدر إذا.

(وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾) أي: بمعجزاتنا يكفرون.

قوله تعالى: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) هذا تفسير الصاعقة التي أرسلها عليهم، أي ريحًا باردة شديدة البرد وشديدة الصوت والهبوب.

وقال القرطبي أيضًا:

(فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ) أي مشئومات، قاله مجاهد.

وقال القرطبي أيضًا:

قوله: (لِنُذِيقَهُمْ) أي لكي نذيقهم (عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أي العذاب بالريح العقيم.

(وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى) أي أعظم وأشد.

(وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٦﴾).

❀ ❀ ❀

(٣٨٣) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم – وأما قبيلة ثمود فبصرناهم وبينا لهم طريق الخير وطريق الشر فاختاروا طريق الشر على طريق الخير، وطريق الغواية على طريق الهداية فأخذتهم صاعقة العذاب المذل المخزي المهين بكسبهم السيئ، وشركهم بالله وإجرامهم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: فبينا لهم سبيل الحق وطريق الرشد.

وأورد عن قتادة بإسنادٍ حسن: بينا لهم سبيل الخير والشرّ.

وعن ابن زيد بإسناد صحيح: أعلمناهم الهدى والضلالة، ونهيناهم أن يتبعوا الضلالة، وأمرناهم أن يتبعوا الهدى.

وقوله: ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ يقول: فاختاروا العمى على البيان الذي بينت لهم، والهدى الذي عرفتهم، بأخذهم طريق الضلال على الهدى، يعني على البيان الذي بينه لهم، من توحيد الله.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد:

في قوله: ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ قال: استحبوا الضلالة على الهدى، وقرأ: و﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ **[الأنعام: ١٠٨]**... إلى آخر الآية، قال: فزين لثمود عملها القبيح، وقرأ: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ **[فاطر: ٨]**... إلى آخر الآية.

قال الطبري:

وقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ يقول: فأهلكتهم من

العذاب المذل المهين لهم مهلكة أذلتهم وأخزتهم، والهون: هو الهوان.

وقوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴿١٧﴾﴾ من الآثام بكفرهم بالله قبل ذلك، وخلافهم إياه، وتكذيبهم رسله.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾ قال ابن عباس، وأبو العالية، وسعيد بن جبير، وقتادة، والسدي، وابن زيد: بينا لهم.

وقال الثوري: دعوناهم.

﴿فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ أي: بصرناهم، وبينا لهم، ووضحنا لهم الحق على لسان نبيهم صالح ، فخالفوه وكذبوه، وعقروا ناقة الله التي جعلها آية وعلامة على صدق نبيهم، ﴿فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ﴾ أي: بعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلا وهوانا وعذابا ونكالا ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴿١٧﴾﴾ أي: من التكذيب والجحود.

﴿وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: من بين أظهرهم، لم يمسهم سوء، ولا نالهم من ذلك ضرر، بل نجاهم الله مع نبيهم صالح بإيمانهم، وتقواهم لله ٥.

قال السعدي $:

وأما ثمود وهم القبيلة المعروفة الذين سكنوا الحجر وحواليه، الذين أرسل الله إليهم صالحًا غ، يدعوهم إلى توحيد ربهم، وينهاهم عن الشرك وآتاهم الله الناقة، آية عظيمة، لها شرب ولهم شرب يوم معلوم، يشربون لبنها يومًا ويشربون من الماء يومًا، وليسوا ينفقون عليها، بل تأكل من أرض الله؛ ولهذا قال هنا: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾ أي: هداية بيان، وإنما نص عليهم؛ وإن كان جميع الأمم المهلكة، قد قامت عليهم الحجة، وحصل لهم

(٣٨٥) أحمر
أسود

البيان، لأن آية ثمود، آية باهرة، قد رآها صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنثاهم، وكانت آية مبصرة، فلهذا خصهم بزيادة البيان والهدى.

ولكنهم - من ظلمهم وشرهم - استحبوا العمى - الذي هو الكفر والضلال - على الهدى -الذي هو: العلم والإيمان- (فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾) لا ظلمًا من الله لهم.

(وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾) أي نجى الله صالحًا غ ومن اتبعه من المؤمنين المتقين للشرك، والمعاصي.

قال الشنقيطي $:

وما تضمنته هذه الآية الكريمة ، من أن الهدى يأتي في القرآن بمعناه العام ، الذي هو البيان ، والدلالة ، والإرشاد ، لا ينافي أن الهدى قد يطلق في القرآن في بعض المواضع ، على الهدى الخاص الذي هو التوفيق ، والاصطفاء ، كقوله تعالى : (أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ) [الأنعام : ٩٠].

فمن إطلاق القرآن الهدى على معناه العام قوله هنا : (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ) أي بينا لهم طريق الحق وأمرناهم بسلوكها ، وطرق الشر ونهيناهم عن سلوكها على لسان نبينا صالح ، عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام (فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ) أي اختاروا الكفر على الإيمان بعد إيضاح الحق لهم .

ومن إطلاقه على معناه العام قوله تعالى : (إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ) [الإنسان : ٣] بدليل قوله بعده (إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾) [الإنسان : ٣] ؛ لأنه لو كان هدى توفيق لما قال : (وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾).

ومن إطلاقه على معناه الخاص قوله تعالى : ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام : ٩٠]. وقوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧] . وقوله : ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ [الكهف : ١٧] .

وبمعرفة هذين الإطلاقين تتيسر إزالة إشكال قرآني : هو أنه تعالى : أثبت الهدى لنبينا ﷺ في آية ، وهي قوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورى : ٥٢] ونفاه عنه في آية أخرى وهي قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص : ٥٦] .

فيعلم مما ذكرنا: أن الهدى المثبت له ﷺ ، هو الهدى العام الذي هو البيان، والدلالة والإرشاد ، وقد فعل ذلك ﷺ فبيَّن المحجة البيضاء ، حتى تركها ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

والهدى المنفي عنه في آية: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص : ٥٦] هو الهدى الخاص الذي هو التفضل بالتوفيق ، لأن ذلك بيد الله وحده ، وليس بيده ﷺ ، كما قال تعالى : ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة : ٤١] الآية . وقوله تعالى : ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [النحل : ٣٧] والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة .

وكذلك قوله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة : ١٨٥] الآية ، لا منافاة فيه بين عموم الناس في هذه الآية . وخصوص المتقين في قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة : ٢] لأن الهدى العام للناس هو الهدى العام ، والهدى الخاص بالمتقين، هو الهدى الخاص كما لا يخفى .

وقد بينا هذا في غير هذا الموضع ، والعلم عند الله تعالى .

وقال الشنقيطي $:

قوله تعالى : (فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ) الآية .

الفاء في قوله : فأخذتهم سببية ، أي فاستحبوا العمى على الهدى ، وبسبب ذلك ، أخذتهم صاعقة العذاب الهون .

واعلم أن الله جل وعلا عبر عن الهلاك الذي أهلك به ثمود ، بعبارات مختلفة ، فذكره هنا باسم الصاعقة في قوله : (فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ) وقوله : (فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾) [فصلت : ١٣] .

وعبر عنه أيضًا بالصاعقة في سورة الذاريات في قوله تعالى : (وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾)[الذاريات: ٤٣، ٤٤] .

وعبر عنه بالصيحة في آيات من كتابه ، كقوله تعالى في سورة هود في إهلاكه ثمود : (وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾) [هود : ٦٧، ٦٨] وقوله تعالى في الحجر : (وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾) [الحجر : ٨٢، ٨٣] وقوله تعالى في القمر : (إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾) [القمر: ٣١]. وقوله تعالى في العنكبوت: (وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ) [العنكبوت: ٤٠] يعني به ثمودا المذكورين في قوله قبله: (وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ) [العنكبوت : ٣٨] الآية .

وعبر عنه بالرجفة ، في سورة الأعراف في قوله تعالى : (فَعَقَرُوا۟

(٣٨٨) أحمر
أسود

ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ) [الأعراف : ٧٧، ٧٨] الآية .

وعبر عنه بالتدمير في سورة النمل ، في قوله تعالى : (فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾) [النمل : ٥١] .

وعبر عنه بالطاغية في الحاقة في قوله تعالى : (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾) [الحاقة : ٥] .

وعبر عنه بالدمدمة في الشمس في قوله تعالى : (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾) [الشمس : ١٤] .

وعبر عنه بالعذاب ، في سورة الشعراء ، في قوله تعالى : (فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً) [الشعراء : ١٥٧، ١٥٨] الآية .

ومعنى هذه العبارات كلها راجع إلى شيء واحد ، وهو أن الله أرسل عليهم صيحة أهلكتهم ، والصيحة الصوت المزعج المهلك .

والصاعقة تطلق أيضًا على الصوت المزعج المهلك ، وعلى النار المحرقة، وعليهما معًا ، ولشدة عظم الصيحة وهولها من فوقهم ، رجفت بهم الأرض من تحتهم ، أي تحركت حركة قوية ، فاجتمع فيها أنها صيحة وصاعقة ورجفة، وكون ذلك تدميرًا واضح .

وقيل لها طاغية ، لأنها واقعة مجاوزة للحد في القوة وشدة الإهلاك .

والطغيان في لغة العرب : مجاوزة الحد .

ومنه قوله تعالى : (إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ) [الحاقة : ١١] الآية . أي جاوز الحدود التي يبلغها الماء عادة .

(٣٨٩) أحمر
أسود

واعلم أن التحقيق ، أن المراد بالطاغية في قوله تعالى : (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥) [الحاقة : ٥] أنها الصيحة التي أهلكهم الله بها ، كما يوضحه قوله بعده : (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦) [الحاقة : ٦] .

خلافًا لمن زعم أن الطاغية ، مصدر كالعاقبة ، والعافية ، وأن المعنى أنهم أهلكوا بطغيانهم ، أي بكفرهم ، وتكذيبهم نبيهم ، كقوله : (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١) [الشمس : ١١] .

وخلافًا لمن زعم أن الطاغية هي أشقاهم، الذي انبعث فعقر الناقة ، وأنهم أهلكوا بسبب فعله وهو عقره الناقة ، وكل هذا خلاف التحقيق .

والصواب إن شاء الله هو ما ذكرنا ، والسياق يدل عليه واختاره غير واحد .

وأما قوله تعالى : (فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ) [الشمس : ١٤] فإنه لا يخالف ما ذكرنا؛ لأن معنى دمدم عليهم ربهم بذنبهم ، أي أطلق عليهم العذاب وألبسهم إياه ، بسبب ذنبهم .

قال الزمخشري في معنى دمدم : وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة ، إذا ألبسها الشحم .

وأما إطلاق العذاب عليه في سورة الشعراء فواضح ، فاتضح رجوع معنى الآيات المذكورة إلى شيء واحد .

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝١٨).

ج: المعنى - والله أعلم – ولما حلَّ العذاب المخزي المهين بأهل الظلم أنجى الله أهل الإيمان الذين اتقوا الشرك، واتقوا العصيان وصدقوا

(٣٩٠) أحمر
أسود

المرسلين.

قال الطبري $:

وقوله: (وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ) يقول: ونجينا الذين آمنوا من العذاب - الذي أخذهم بكفرهم بالله - الذين وحدوا الله، وصدقوا رسله.

يقول: وكانوا يخافون الله أن يحل بهم من العقوبة على كفرهم لو كفروا ما حل بالذين هلكوا منهم، فآمنوا اتقاء الله وخوف وعيده، وصدقوا رسله، وخلعوا الآلهة والأنداد.

❀ ❀ ❀

س: كثيرًا ما يرد في الكتاب العزيز أن الله ٥ يُنجي أهل الإيمان ثم يحلُّ بأسه بالظالمين دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول تعالى لموسى غ: (فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٤﴾) [الدخان: ٢٣، ٢٤].

وقوله تعالى للوط غ: (فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٥﴾) [الحجر: ٦٥].

وقوله تعالى: (فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾) [الذاريات: ٣٥].

وقوله تعالى في هذه الآيات: (وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾).

وقوله تعالى لنوح غ: (فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾) [المؤمنون: ٢٧]. إلى غير ذلك.

❀ ❀ ❀

(٣٩١) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

(وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ
سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ
شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ
وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ
وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٢ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ
ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣ فَإِن يَصۡبِرُواْ
فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ ٢٤ ۞ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ
قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ
خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ٢٥ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا
تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا
شَدِيدٗا وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٧ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ
فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٢٨ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ
أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ
ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٢٩) [فصلت: ١٩-٢٩]

(٣٩٢) أحمر
أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(يُحۡشَرُ - يُوزَعُونَ - تَسۡتَتِرُونَ - أَرۡدَىٰكُمۡ - مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ - يَسۡتَعۡتِبُواْ - ٱلۡمُعۡتَبِينَ -وَقَيَّضۡنَا - قُرَنَآءَ - فَزَيَّنُواْ - مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ - وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ - قَدۡخَلَتۡ - وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ - دَارُ ٱلۡخُلۡدِۖ -يَجۡحَدُونَ).

ج:

الكلمة	معناها
(يُحۡشَرُ)	يجمع
(يُوزَعُونَ)	يرد أولهم على آخرهم فيكونون صفًّا لهم وزعة يزعونهم أي: يردون من أراد التقدم على الآخر، ويدفعون من تخلف – يُدفعون يُساقون
(تَسۡتَتِرُونَ)	تستخفون
(أَرۡدَىٰكُمۡ)	أهلككم
(مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ)	مقام لهم – مسكن لهم
(يَسۡتَعۡتِبُواْ)	يطلبوا أن تقبل منهم الأعذار
(ٱلۡمُعۡتَبِينَ)	الذين قُبلت أعذارهم وقوله: (فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ) أي: ليسوا ممن قبلت أعذارهم
(وَقَيَّضۡنَا)	هيأنا – بعثنا - أرسلنا
(قُرَنَآءَ)	نظراء – جلساء على شاكلتهم
(فَزَيَّنُواْ)	حسنوا
(مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ)	ما مضى من أمرهم وما هم فيه وما هو آت
(وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ)	تحقق فيهم ما كتبه الله عليهم

(٣٩٣) أحمر
أسود

﴿قَدۡ خَلَتۡ﴾	قد مضت
﴿وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾	شوشوا عليه عند قراءته – صفقوا وصفروا عند تلاوته تكلموا بالباطل عند تلاوته – كذبوه
﴿دَارُ ٱلۡخُلۡدِ﴾	دار المكث والإقامة وعدم الانتقال
﴿يَجۡحَدُونَ﴾	ينكرون - يكذِّبون

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – واذكر يا رسول الله، واذكر يا ابن آدم يومًا، وهو يوم القيامة يجمع فيه الأولون والآخرون، يُحشر فيه أهل الكفر والتكذيب أعداء الله ورسله المشركون بالله ۵ يجمعون أهل الكفر مع بعضهم البعض كلٌّ مع نظيره من أهل الإجرام فيصفون ولهم وزعةٌ من الملائكة يردون أولهم حتى يكون مع آخرهم، يكونون معًا ويُدفع بهم إلى النار كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ فإذا جاءوا النار وأنكروا شركهم بالله ۵ في الدنيا وطلبوا من يشهد، طلبوا شاهدًا عليهم من أنفسهم كما تقدم في الحديث، فحينئذٍ تتكلم أركانهم، تكلَّم سمعهم استمعت بي يوم كذا وكذا إلى كذا وكذا، وتكلمت أبصارهم (أعينهم تقول نظرت بي يوم كذا وكذا إلى كذا وكذا الجلود (بما فيها الفروج) تقول: مسست بي كذا وكذا يوم كذا وكذا.

فكل جارحة تشهد على صاحبها بما اجتناه بها وبما فعله بها.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

(٣٩٤) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: ويوم يجمع هؤلاء المشركون أعداء الله إلى النار، إلى نار جهنم، فهم يحبس أولهم على آخرهم.

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ يقول: حتى إذا ما جاؤوا النار شهد عليهم سمعهم بما كانوا يصغون به في الدنيا إليه، ويسمعون له، وأبصارهم بما كانوا يبصرون به وينظرون إليه في الدنيا ﴿وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠﴾.

وقد قيل: عني بالجلود في هذا الموضع: الفروج.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يقول تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٩﴾ أي: اذكر لهؤلاء المشركين يوم يحشرون إلى النار ﴿يُوزَعُونَ ١٩﴾، أي: تجمع الزبانية أولهم على آخرهم، كما قال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ٨٦﴾ [مريم: ٨٦]، أي: عطاشًا.

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾ أي: وقفوا عليها، ﴿شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠﴾ أي: بأعمالهم مما قدموه وأخروه، لا يُكْتَم منه حرف.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾ ﴿مَا﴾ زائدة ﴿شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠﴾ الجلود يعني بها الجلود أعيانها في قول أكثر المفسرين وقال السدي وعبيدالله بن أبي جعفر والفراء: أراد بالجلود الفروج، وأنشد بعض الأدباء لعامر بن جؤية:

المرء يسعى للسلامة والسلامة حسبه

(٣٩٥) أحمر
أسود

أو سـالم مـن قـد تثـ ـنى جلـده وابـيض رأسـه

وقال: جلده كناية عن فرجه.

وقال الشنقيطي $:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٩﴾ أي: يرد أولهم إلى آخرهم ، ويلحق آخرهم بأولهم ، حتى يجتمعوا جميعًا ، ثم يدفعون في النار ، وهو من قول العرب : وزعت الجيش ، إذا حبست أوله على آخره حتى يجتمع .

وأصل الوزع: الكف، تقول العرب وزعه ، يزعه وزعًا ، فهو وازع له ، إذا كفه عن الأمر ، ومنه قول نابغة ذبيان :

على حين عاتبت المشيب على الصبا فقلت ألمَّا أصح والشيب وازع

وقول الآخر :

ولن يزع النفس اللجوج عن الهوى من الناس إلا وافر العقل كامله

وبما ذكرنا تعلم أن أصل معنى يوزعون . أي يكف أولهم عن التقدم وآخرهم عن التأخر حتى يجتمعوا جميعًا .

وذلك يدل على أنهم يساقون سوقًا عنيفًا ، يجمع به أولهم مع آخرهم .

وقد بيَّن تعالى أنهم يساقون إلى النار في حال كونهم عطاشًا في قوله تعالى : ﴿وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ٨٦﴾ [مريم : ٨٦] ، ولعل الوزع المذكور في الآية يكون في الزمرة الواحدة من زمر أهل النار ، لأنهم يساقون إلى النار زمرًا زمرًا كما قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الزمر في الكلام على قوله تعالى : ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ﴾ [الزمر : ٧١] الآية .

(٣٩٦) أحمر
أسود

س: ما المراد بالجلود في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤]؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد عموم الجلود، فكل جلد ابن آدم يشهد عليه.

الثاني: أن المراد بالجلود الفروج، ولكن الله سبحانه وتعالى كنَّى عنها.

قال الطبري مرجحًا القول الأول:

وهذا القول الذي ذكرناه عمن ذكرنا عنه في معنى الجلود وإن كان معنى يحتمله التأويل، فليس بالأغلب على معنى الجلود ولا بالأشهر وغير جائز نقل معنى ذلك المعروف على الشيء الأقرب إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها.

قلت (مصطفى): ولا شك أن القول الأول أرجح وذلك لأنه إمضاءً كظاهر الناس ولأنه أعم من القول الثاني والقول الثاني داخلٌ فيه، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: اذكر بعض الوارد في شهادة الجوارح على العبد يوم القيامة؟

ج: قد قدمت شيئًا من ذلك في تفسير سورة النور عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤].

وفي سورة البلد عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾﴾ [البلد: ٧-٩].

وهنا قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

وفي سورة يس يقول تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ

(٣٩٧) أحمر
أسود

وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾) [يس: ٦٥].

وأخرج مسلم (١) في صحيحه من حديث أنس بن مالك ﭬ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ فَقَالَ: « **هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟**». قَالَ: قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «**مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِى مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّى لاَ أُجِيزُ عَلَى نَفْسِى إِلاَّ شَاهِدًا مِنِّى قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا – قَالَ: - فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ: انْطِقِى. قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ - قَالَ - ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلاَمِ - قَالَ - فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا. فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ** ».

وأخرج الطبري (٢) وغيره بسندٍ صحيح عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما لي أُمْسِكُ بِحُجَزِكُمْ مِنَ النَّارِ؟ ألا إن رَبِّي داعِيَّ وإنَّهُ سائِلِي هَلْ بَلَّغْتَ عِبادَهُ؟ وإنّي قائِلٌ: رَبّ قَدْ بَلَّغْتُهُمْ، فَيُبَلِّغْ شاهِدُكُمْ غائِبَكُمْ، ثُمَّ إنَّكُمْ مُدَّعُونَ مُفَدَّمَةً أفْوَاهُكُمْ بالفِدامِ، ثُمَّ إنَّ أوَّلَ ما يُبِينُ عَنْ أحَدِكَمْ لَفَخِذُهُ وكَفُّهُ**».

وفي رواية من طريق أبي قزعة عن حكيم عن أبيه:

عن النبيّ ﷺ أنه قال، وأشار بيده إلى الشأم، قال: «**هاهُنا إلى هاهُنا تحْشَرُونَ رُكْبانا وَمُشاةً على وُجُوهِكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ، على أفْوَاهِكُمُ الفِدامُ، تُوَفُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أنْتُمْ آخِرُها وأكْرَمُها على الله، وإن أوَّلَ ما يُعْرِبُ مِنْ أحَدِكُمْ فَخِذُهُ**».

---

(١) مسلم (٢٩٦٩).
(٢) الطبري (٣٠٤٩١) وبهز عن أبيه عن جده سلسلة حسنة ولكن بهزًا متابع فالسند يصح.

(٣٩٨) أحمر
أسود

❀ ❀ ❀

س: هل صح لهذه الآية الكريمة ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ **سبب نزول؟**

ج: نعم صح لا سبب نزول ففي صحيح مسلم من حديث ابن مسعود ﵁ قَالَ: اجْتَمَعَ عِنْدَ الْبَيْتِ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ أَوْ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ، قَلِيلٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ، كَثِيرٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتَرَوْنَ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ وَقَالَ الآخَرُ: يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا وَلاَ يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا وَقَالَ الآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا فَهُوَ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت: ٢٢] الآيَةَ(١).

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ ؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم – أن الجلود لما تكلمت وكذلك الجوارح والأركان، أصحاب الجلود، من أهل الكفر جلودهم لما شهدتم علينا، وأنتم تعلمون أننا سنعذب وأنتم فينا؟ ومعنا وستعذبون؛ فأجابت الجلود حينئذٍ على أصحابها قائلة: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء، ونعم فالله على كل شيء قدير، سبحانه وتعالى مكَّن الجلود من النطق والكلام كي تشهد على أصحابها.

ثم تواصل الجلود حديثها الذي يحمل تأنيبًا وتوبيخًا لأصحابها فتقول،

---

(١) مسلم (٢٧٧٥)، والبخاري (٤٨١٧).

(٣٩٩) أحمر
أسود

وقد خلقكم الله ٥ أول مرة وكنتم تعلمون ذلك، ولكن ما راقبتم ربكم ولا خشيتموه في سرٍّ ولا في علن وما كنتم تسترون وتستخفون من جوارحكم التي ستشهد عليكم، وكنتم تسترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم بل وظننتم أن الله يخفى عليه كثيرٌ من أمركم وعملكم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الذين يحشرون إلى النار من أعداء الله سبحانه لجلودهم إذ شهدت عليهم بما كانوا في الدنيا يعملون: لم شهدتم علينا بما كنا نعمل في الدنيا؟

فأجابتهم جلودهم: (أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ) فنطقنا؛ وذكر أن هذه الجوارح تشهد على أهلها عند استشهاد الله إياها عليهم إذا هم أنكروا الأفعال التي كانوا فعلوها في الدنيا بما يسخط الله، وبذلك جاء الخبر عن رسول الله □.

وقوله: (وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) يقول تعالى ذكره: والله خلقكم الخلق الأول ولم تكونوا شيئًا. (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾) يقول: وإليه مصيركم من بعد مماتكم. (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ) في الدنيا (أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ) يوم القيامة (سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ).

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ)، فقال بعضهم: معناه: وما كنتم تستخفون.

وقال آخرون: معناه: وما كنتم تتقون.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما كنتم تظنون.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ) يقول: وما كنتم

تظنون ﴿أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ﴾ حتى بلغ ﴿كَثِيرٗا مِّمَّا﴾ كنتم ﴿تَعۡمَلُونَ﴾، والله إن عليك يا ابن آدم لشهودا غير متهمة من بدنك، فراقبهم واتق الله في سر أمرك وعلانيتك، فإنه لا يخفي عليه خافية، الظلمة عنده ضوء، والسر عنده علانية، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظنّ فليفعل، ولا قوّة إلا بالله.

ثم قال الطبري $:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: وما كنتم تَستَخْفُون، فتتركوا ركوب محارم الله في الدنيا حذرا أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم اليوم.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب، لأن المعروف من معاني الاستتار الاستخفاء.

فإن قال قائل: وكيف يستخفي الإنسان عن نفسه مما يأتي؟ قيل: قد بيَّنا أن معنى ذلك إنما هو الأماني، وفي تركه إتيانه إخفاؤه عن نفسه.

وقوله: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا﴾ كنتم ﴿تَعۡمَلُونَ ٢٢﴾ يقول جلّ ثناؤه: ولكن حسبتم حين ركبتم في الدنيا من معاصي الله أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من أعمالكم الخبيثة، فلذلك لم تستتروا أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم وجلودكم، فتتركوا ركوب ما حرّم الله عليكم.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ﴾ أي: تقول لهم الأعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم: ما كنتم تتكتمون منا الذي كنتم تفعلونه بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي،

ولا تبالون منه في زعمكم؛ لأنكم كنتم لا تعتقدون أنه يعلم جميع أفعالكم؛ ولهذا قال: (وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾).

وقال القرطبي $:

(وَقَالُوا۟) يعنى الكفار (لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا) وإنما كنا نجادل عنكم (قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ) لما خاطبت وخوطبت اجريت مجرى من يعقل.

(وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) أي ركب الحياة فيكم بعد أن كنتم نطفا، فمن قدر عليه قدر على أن ينطق الجلود وغيرها من الاعضاء.

وقيل: (وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) ابتداء كلام من الله.

(وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾) وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضحك فقال: «**هل تدرون مم أضحك؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**من مخاطبة العبد ربه يقول: يا رب ألم تجزني من الظلم قال: يقول: بلى قال فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني قال يقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا وبالكرام الكاتبين شهودًا قال: فيختم على فيه فيقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله قال ثم يخلي بينه وبين الكلام قال فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل**» وفي حديث أبي هريرة ثم يقال: «**الآن نبعث شاهدنا عليك ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه** (ولحمه وعظامه) **انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي سخط الله عليه**» خرّجه أيضًا مسلم.

وقال القرطبي أيضًا:

(٤٠٢) أحمر
أسود

ومعنى ﴿تَسۡتَتِرُونَ﴾ تستخفون في قول أكثر العلماء، أي ما كنتم تستخفون من أنفسكم حذرا من شهادة الجوارح عليكم، لأن الإنسان لا يمكنه أن يخفي من نفسه عمله، فيكون الاستخفاء بمعنى ترك المعصية.

وقيل: الاستتار بمعنى الاتقاء، أي ما كنتم تتقون في الدنيا أن تشهد عليكم جوارحكم في الآخرة فتتركوا المعاصي خوفا من هذه الشهادة.

وقال معناه مجاهد.

وقال قتادة: ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ﴾ أي تظنون ﴿أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ﴾ بأن يقول سمعت الحق وما وعيت وسمعت ما لا يجوز من المعاصي ﴿وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ﴾ فتقول رأيت آيات الله وما اعتبرت ونظرت فيما لا يجوز ﴿وَلَا جُلُودُكُمۡ﴾ تقدم.

﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٢﴾ من أعمالكم فجادلتم على ذلك حتى شهدت عليكم جوارحكم بأعمالكم.

روى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ في قوله: ﴿أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ﴾ قال: «**إنكم تدعون يوم القيامة مفدمة أفواهكم بفدام فأول ما يبين عن الإنسان فخذه وكفه**».

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾.

ج: المعنى - والله أعلم – وهذا الظن السيئ الذي ظننتموه بالله ﻷ من كونه لا يعلم كثيرًا من علمكم هو الذي أضرَّ بكم وأهلككم فأصبحتم خاسرين بسبب هذا الظن السيئ.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: وهذا الذي كان منكم في الدنيا من ظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من قبائح أعمالكم ومساويها، هو ظنكم الذي ظننتم بربكم في الدنيا أرداكم، يعني أهلككم. يقال منه: أردى فلانا كذا وكذا: إذا أهلكه، وردي هو: إذا هلك، فهو يردى ردى؛ ومنه قول الأعشى:

أفِي الطّوافِ خِفْتِ عَليَّ الرَّدَى   وكَمْ مِنْ ردًى أهْلَهُ لَمْ يَرِمْ

يعني: وكم من هالك أهله لم يرم.

وأورد بإسناد حسن:

عن قتادة، قال: الظنّ ظنان؛ فظنّ منج، وظنّ مُرْدٍ قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦] قال: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾ [الحاقة: ٢٠]، وهذا الظنّ المنجي ظنا يقينا، وقال ها هنا: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ هذا ظنّ مُرْدٍ.

وقوله: وقال الكافرون: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ۝٣٢﴾ [الجاثية: ٣٢] وذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول ويروي ذلك عن ربه: «**عَبْدِي عِنْدَ ظَنِّه بِي، وأنا مَعَهُ إذَا دَعانِي**». وموضع قوله: ﴿وَذَٰلِكُمْ﴾ رفع بقوله ظنكم. وإذا كان ذلك كذلك، كان قوله: ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ في موضع نصب بمعنى: مرديا لكم. وقد يُحتمل أن يكون في موضع رفع بالاستئناف، بمعنى: مردٍ لكم، كما قال: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً﴾ [لقمان: ٢، ٣] في قراءة من قرأه بالرفع. فمعنى الكلام: هذا الظنّ الذي ظننتم بربكم من أنه لا يعلم كثيرا مما تعملون هو الذي أهلككم؛ لأنكم من أجل هذا الظنّ اجترأتم على

محارم الله فقدمتم عليها، وركبتم ما نهاكم الله عنه، فأهلككم ذلك وأرداكم.

(فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾) يقول: فأصبحتم اليوم من الهالكين، قد غبنتم ببيعكم منازلكم من الجنة بمنازل أهل الجنة من النار.

وقال ابن كثير $:

(وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ) أي: هذا الظن الفاسد -وهو اعتقادكم أن الله لا يعلم كثيرًا مما تعملون-هو الذي أتلفكم وأرداكم عند ربكم، (فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾) أي: في مواقف القيامة خسرتم أنفسكم وأهليكم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡۖ وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ ﴿٢٤﴾).

ج: لإيضاح المعنى أقول، وبالله التوفيق:

إن أهل النار من شدة ما هم فيه يبحثون عن أيِّ حلٍّ كي يخرجوا من النار فأحيانًا نقول: نصبر على ما نحن فيه لعلَّ الصبر يأتي بالفرج فيصبرون ولا فرج وأحيانًا يصطرخون فيها كي يُنقذهم مُنقذٌ ولكن لا مُنقذ، وهذا كما في قوله تعالى في شأنهم: إذ قالوا: (سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ﴿٢١﴾) [إبراهيم: ٢١].

فقوله تعالى: (فَإِن يَصۡبِرُواْ) على النار وعلى حرِّها فلن يخرجوا فالنار مقامهم الذي أعد لهم، هي مثواهم وإن يعتذروا ويطلبوا الرجوع إلى الدنيا والخروج من النار لفعل ما يريده الله منهم فلن يقبل منهم هذا

الاعتذار ولا تُقبل منهم تلك العتبى كالذي يقول بعد أن يرى العقاب: اتركني ولن أفعل! سامحني ولن أعود، لا تضربني قد استقمت لن أفعل مرةً ثانية شيئًا يغضبك، ويقدم كل أنواع الاعتذارات ولا يقبل منه شيء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: فإن يصبر هؤلاء الذين يحشرون إلى النار على النار، فالنار مسكن لهم ومنزل. ﴿وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ﴾ يقول: وإن يسألوا العُتبى، وهي الرجعة لهم إلى الذي يحبون بتخفيف العذاب عنهم. ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ ٢٤﴾ يقول: فليسوا بالقوم الذين يرجع بهم إلى الجنة، فيخفف عنهم ما هم فيه من العذاب، وذلك كقوله جلّ ثناؤه مخبرا عنهم: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا﴾... إلى قوله: ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ [المؤمنون: ١٠٦-١٠٨] وكقولهم لخزنة جهنم: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٤٩﴾ [غافر: ٤٩] إلى قوله: ﴿وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ٥٠﴾ [غافر: ٤٩-٥٠].

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ ٢٤﴾ أي: سواء عليهم أصبروا أم لم يصبروا هم في النار، لا محيد لهم عنها، ولا خروج لهم منها. وإن طلبوا أن يستعتبوا ويبدوا أعذارًا فما لهم أعذار، ولا تُقَال لهم عثرات.

قال ابن جرير: ومعنى قوله: ﴿وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ﴾ أي: يسألوا الرجعة إلى الدنيا، فلا جواب لهم -قال: وهذا كقوله تعالى إخبارًا عنهم: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ١٠٦ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ [المؤمنون: ١٠٦ -١٠٨].

قال القرطبي $:

قوله تعالى: (فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ) أي: فإن يصبروا في الدنيا على أعمال أهل النار فالنار مثوى لهم.

نظيره: (فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾) [البقرة: ١٧٥] على ما تقدم.

(وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ) في الدنيا وهم مقيمون على كفرهم (فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ ﴿٢٤﴾).

وقيل: المعنى (فَإِن يَصۡبِرُواْ) في النار أو يجزعوا (فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ) أي: لا محيص لهم عنها، ودل على الجزع قوله: (وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ) لأن المستعتب جزع والمعتب المقبول عتابه، قال النابغة:

فإن أك مظلومًا فعبد ظلمته ... وإن تك ذا عتبى فمثلك يعتب

أي: مثلك من قبل الصلح والمراجعة إذا سئل.

قال الخليل: العتاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموجدة.

تقول: عاتبته معاتبة، وبينهم أعتوبة يتعاتبون بها.

يقال: إذا تعاتبوا أصلح ما بينهم العتاب.

وأعتبني فلان: إذا عاد إلى مسرتي راجعًا عن الإساءة، والاسم منه العتبى، وهو رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب.

واستعتب وأعتب بمعنى، واستعتب أيضًا طلب أن يعتب، تقول: استعتبته فأعتبني أي: استرضيته فأرضاني.

فمعنى (وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ): أي: طلبوا الرضا لم ينفعهم ذلك بل لا بد لهم من النار.

وفي التفاسير: وإن يستقيلوا ربهم فما هم من المقالين.

(٤٠٧) أحمر
أسود

وقرأ عبيد بن عمير وأبو العالية «وإن يستعتبوا» بفتح التاء الثانية وضم الياء على الفعل المجهول «فما هم من المعتبين» بكسر التاء أي: إن أقالهم الله وردهم إلى الدنيا لم يعملوا بطاعته لما سبق لهم في علم الله من الشقاء، قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] ذكره الهروي.

وقال ثعلب: يقال: أعتب إذا غضب وأعتب إذا رضي.

❁ ❁ ❁

س:وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ٢٥﴾؟

ج: المعنى –والله أعلم- وهيأنا لهؤلاء الكفار المكذبين شياطين نظراءهم في الضلال بل أشد منهم ضلالًا وأرسلنا هؤلاء الشياطين عليهم تلازمهم وتدفع إلى المعاصي والكفر وتحملهم على فعل الكبائر، فحسنت الشياطين لهم أعمالهم، أعمال الشر التي عملوها والتي هم فيها فلم يردوا أنهم أخطؤوا إذا أشركوا ولم يروا أنهم أخطؤوا إذ زنوا وإذ سرقوا وإذ أجرموا فلم يقدموا استغفارًا ولا توبة وكذا حسنُّوا لهم ما هم فيه فمضوا فيه ولم يجدوا غضاضةً في ذلك فوجب عليهم من العذاب ما وجب على الأمم الكافرة التي تقدمتهم من الإنس والجن، فكانوا وهم في عداد الخاسرين الهالكين الذي ضيعوا أنفسهم بإسرافهم عليها بالشرك والكبائر والمعاصي.

قال الطبري $:

يعنى تعالى ذكره بقوله: (۞ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ) وبعثنا لهم نُظراء من الشياطين، فجعلناهم لهم قرناء قرنّاهم بهم يزيّنون لهم قبائح أعمالهم، فزينوا لهم ذلك.

وقوله: (فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ) يقول: فزين لهؤلاء الكفار قرناؤُهم من الشياطين ما بين أيديهم من أمر الدنيا. فحسنوا ذلك لهم وحبَّبوه إليهم حتى آثروه على أمر الآخرة (وَمَا خَلۡفَهُمۡ) يقول: وحسَّنوا لهم أيضًا ما بعد مماتهم بأن دعوهم إلى التكذيب بالمعاد، وأن من هلك منهم، فلن يُبعث، وأن لا ثواب ولا عقاب حتى صدّقوهم على ذلك، وسهل عليهم فعل كلّ ما يشتهونه، وركوب كلّ ما يلتذونه من الفواحش باستحسانهم ذلك لأنفسهم.

وقوله: (وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ) يقول تعالى ذكره: ووجب لهم العذاب بركوبهم ما ركبوا مما زين لهم قرناؤهم وهم من الشياطين.

(فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ)، يقول تعالى ذكره: وحق على هؤلاء الذين قيضنا لهم قُرَناء من الشياطين، فزيَّنوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم العذاب في أمم قد مضت قبلهم من ضربائهم، حق عليهم من عذابنا مثل الذي حَقّ على هؤلاء بعضهم من الجن وبعضهم من الإنس.

(إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ٢٥) يقول: إن تلك الأمم الذين حق عليهم عذابنا من الجنّ والإنس، كانوا مغبونين ببيعهم رضا الله ورحمته بسخطه وعذابه.

وقال الحافظ ابن كثير $:

يذكر تعالى أنه هو الذي أضل المشركين، وأن ذلك بمشيئته وكونه وقدرته، وهو الحكيم في أفعاله، بما قَيَّض لهم من القرناء من شياطين

الإنس والجن: (فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) أي: حَسَّنوا لهم أعمالهم في الماضي، وبالنسبة إلى المستقبل فلم يروا أنفسهم إلا محسنين، كما قال تعالى: (وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾) [الزخرف: ٣٦، ٣٧].

وقوله تعالى: (وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) أي: كلمة العذاب كما حَقَّ على أمم قد خلت من قبلهم، ممن فعل كفعلهم، من الجن والإنس، (إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾) أي: استوَوَا هم وإياهم في الخسار والدمار.

وقال الشنقيطي $:

قوله تعالى : (﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ).

لعلماء التفسير في تفسير قوله: (﴿ وَقَيَّضْنَا) عبارات يرجع بعضها في المعنى إلى بعض .

كقول بعضهم : (﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ) أي: جئناهم بهم : وأتحناهم لهم .

وكقول بعضهم : (﴿ وَقَيَّضْنَا) أي: هيأنا .

وقول بعضهم : (﴿ وَقَيَّضْنَا) أي: سلطنا .

وقول بعضهم : أي: بعثنا ووكلنا .

وقول بعضهم : (﴿ وَقَيَّضْنَا) أي: سببنا .

وقول بعضهم : قدرنا ونحو ذلك من العبارات ، فإن جميع تلك العبارات راجع إلى شيء واحد ، وهو أن الله تبارك وتعالى هيأ للكافرين قرناء من الشياطين يضلونهم عن الهدى ويزينون لهم الكفر والمعاصي وقدرهم عليهم .

والقرناء : جمع قرين وهم قرناؤهم من الشياطين على التحقيق .

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فالدنيا زخرفوها بأعينهم، ودعوهم إلى لذاتها وشهواتها المحرمة حتى افتتنوا، فأقدموا على معاصي اللّه، وسلكوا ما شاءوا من محاربة اللّه ورسوله والآخرة بَعّدُوها عليهم وأنسوهم ذكرها، وربما أوقعوا عليهم الشُّبه، بعدم وقوعها، فترحَّل خوفها من قلوبهم، فقادوهم إلى الكفر، والبدع، والمعاصي.

وهذا التسليط والتقييض من اللّه للمكذبين الشياطين، بسبب إعراضهم عن ذكر اللّه وآياته، وجحودهم الحق كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ **[الزخرف: ٣٦، ٣٧]**.

﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي: وجب عليهم، ونزل القضاء والقدر بعذابهم ﴿فِي﴾ جملة ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ لأديانهم وآخرتهم، ومن خسر، فلا بد أن يذل ويشقى ويعذب.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾؟

ج: هذه وصايا الكفار لبعضهم إذا تُلي القرآن أو إذا عُرض على أحدٍ كي يؤمن به يوصي الكفار بعضهم بعضًا أن يشوشوا على هذا القرآن عند

تلاوته بالحديث أثناء تلاوته – بالغناء أثناء تلاوته – بالتصفير والتصفيق أثناء تلاوته – بتكذيبه عند تلاوته، كل ذلك لعلهم يصرفوا الناس عن اتباع رسول الله ﷺ.

فتوعدهم الله ﷻ بقوله: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ على أسوأ أعمالهم التي عملوها في الدنيا أسوأ الجزاء، وأسوأ تلك الأعمال الشرك بالله ـ أعاذنا الله منه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله ورسوله من مشركي قريش: ﴿لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ يقول: قالوا للذين يطيعونهم من أوليائهم من المشركين: لا تسمعوا لقارئ هذا القرآن إذا قرأه، ولا تصغوا له، ولا تتبعوا ما فيه فتعملوا به.

وقوله: ﴿وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ يقول: الغطوا بالباطل من القول إذا سمعتم قارئه يقرؤه كَيْما لا تسمعوه، ولا تفهموا ما فيه.

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ يقول: لعلكم بفعلكم ذلك تصدون من أراد استماعه عن استماعه، فلا يسمعه، وإذا لم يسمعه ولم يفهمه، لم يتبعه، فتغلبون بذلك من فعلكم محمدًا.

قال الله جل ثناؤه: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله من مشركي قريش الذين قالوا هذا القول عذابا شديدا في الآخرة ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ يقول: ولنثيبنهم على فعلهم ذلك وغيره من أفعالهم بأقبح جزاء أعمالهم التي عملوها في الدنيا.

وقال ابن كثير $:

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ أي: تواصوا فيما بينهم ألا يطيعوا للقرآن، ولا ينقادوا لأوامره، ﴿وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ أي: إذا تلي لا تستمعوا له.

وقال $:

﴿لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾ هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار، ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن. وقد أمر الله -سبحانه- عباده المؤمنين بخلاف ذلك فقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤﴾.

[الأعراف: ٢٠٤]

ثم قال تعالى: منتصرا للقرآن، ومنتقما ممن عاداه من أهل الكفران: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي: في مقابلة ما اعتمدوه في القرآن وعند سماعه، ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أي: بشَرِّ أعمالهم وسيِّئ فعالهم.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ قد تقدم أن الذوق يكون محسوسًا، ومعنى العذاب الشديد: ما يتوالى فلا ينقطع.

وقيل: هو العذاب في جميع أجزائهم.

﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٧﴾ أي: ولنجزينهم في الآخرة جزاء قبح أعمالهم التي عملوها في الدنيا.

وأسوأ الأعمال الشرك.

قال السعدي $:

﴿وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ أي: تكلموا بالكلام الذي لا فائدة فيه، بل فيه المضرة، ولا

تمكنوا -مع قدرتكم- أحدًا يملك عليكم الكلام به، وتلاوة ألفاظه ومعانيه، هذا لسان حالهم، ولسان مقالهم، في الإعراض عن هذا القرآن، ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ إن فعلتم ذلك ﴿تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ وهذه شهادة من الأعداء، وأوضح الحق، ما شهدت به الأعداء، فإنهم لم يحكموا بغلبتهم لمن جاء بالحق إلا في حال الإعراض عنه والتواصي بذلك، ومفهوم كلامهم، أنهم إن لم يلغوا فيه، بل استمعوا إليه، وألقوا أذهانهم، أنهم لا يغلبون، فإن الحق، غالب غير مغلوب، يعرف هذا، أصحاب الحق وأعداؤه.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٢٨﴾﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم.

ذلك الذي سنجازي به الكفار، ألا وهو جزاؤهم بأسوأ الذي كانوا يعملون، جزاؤهم النار التي لهم فيها دار المكث والإقامة لا يتحولون عنها ولا ينتقلون منها جزاءً يستحقونه بكفرهم بآيات الله وإنكارهم لها وتكذيبهم لرسولنا ﷺ.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: هذا الجزاء الذي يجزى به هؤلاء الذين كفروا من مشركي قريش جزاء أعداء الله؛ ثم ابتدأ جلّ ثناؤه الخبر عن صفة ذلك الجزاء، وما هو فقال: هو النار، فالنار بيان عن الجزاء، وترجمة عنه، وهي مرفوعة بالردّ عليه؛ ثم قال: ﴿لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ﴾ يعني لهؤلاء المشركين بالله في النار دار الخلد يعني دار المكث واللبث، إلى غير نهاية ولا أمد؛ والدار التي أخبر جلّ ثناؤه أنها لهم في النار هي النار، وحسن ذلك

(٤١٤) أحمر
أسود

لاختلاف اللفظين، كما يقال: لك من بلدتك دار صالحة، ومن الكوفة دار كريمة، والدار: هي الكوفة والبلدة، فيحسن ذلك لاختلاف الألفاظ، وقد ذكر لنا أنها في قراءة ابن مسعود: **(ذَلِكَ جَزَاءُ أعْدَاءِ اللهِ النَّارُ دَارُ الخُلْدِ)** ففي ذلك تصحيح ما قلنا من التأويل في ذلك، وذلك أنه ترجم بالدار عن النار.

وقوله: (جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٢٨) يقول: فعلنا هذا الذي فعلنا بهؤلاء من مجازاتنا إياهم النار على فعلهم جزاء منا بجحودهم في الدنيا بآياتنا التي احتججنا بها عليهم.

س: من المعنيَّان بقول أهل الكفر: (رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ...)؟

ج: قال كثير من العلماء: إن المعنيين هما إبليس وابن آدم الأول الذي قتل أخاه وسنَّ بذلك سنة الإفساد في الأرض.

والظاهر، والله أعلم أن المراد: إبليس وذريته وابن آدم الأول وعموم غواة بني آدم الذين أغووهم وأضلوهم وصرفوهم عن الحق إلى الباطل وعن الخير إلى الشر، وعن المعروف إلى المنكر.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٢٩).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن أهل الكفر يسالون ربهم يوم القيامة أن يريهم من تسبب في إغوائهم وإضلالهم كي يجعلوهم تحت الأقدام لما تسببوا لهم فيه من الخزي العظيم والعذاب الدائم الذي لا ينقطع.

قال الطبري $:

يقول تعالى: وقال الذين كفروا بالله ورسوله يوم القيامة بعد ما أدخلوا جهنم: يا ربنا أرنا اللذين أضلانا من خلقك من جنهم وإنسهم. وقيل: إن الذي هو من الجنّ إبليس، والذي هو من الإنس ابن آدم الذي قتل أخاه.

وقال:

وقوله: ﴿نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٢٩﴾ يقول: نجعل هذين اللذين أضلانا تحت أقدامنا، لأن أبواب جهنم بعضها أسفل من بعض، وكل ما سفل منها فهو أشد على أهله، وعذاب أهله أغلظ، ولذلك سأل هؤلاء الكفار ربهم أن يريهم اللذين أضلاهم ليجعلوهما أسفل منهم ليكونا في أشد العذاب في الدرك الأسفل من النار.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا﴾أي: أسفل منا في العذاب ليكونا أشد عذابا منا؛ ولهذا قالوا: ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٢٩﴾ أي: في الدرك الأسفل من النار، كما تقدم في «الأعراف» من سؤال الأتباع من الله أن يعذب قادتهم أضعاف عذابهم، قال: ﴿لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨﴾ [الأعراف: ٣٨] أي: إنه تعالى قد أعطى كلا منهم ما يستحقه من العذاب والنكال، بحسب عمله وإفساده، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ٨٨﴾ [النحل: ٨٨].

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾
نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ
أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾ وَمَنۡ
أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ
﴿٣٣﴾ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي
بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا
يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ
بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾

[فصلت: ٣٠-٣٦]

(٤١٧) أحمر
أسود

س: - اذكر معنى ما يلي:

(تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ - وَأَبۡشِرُواْ - تُوعَدُونَ - أَوۡلِيَآؤُكُمۡ - مَا تَدَّعُونَ - نُزُلٗا - ٱلۡحَسَنَةُ - ٱلسَّيِّئَةُۚ - ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ - وَلِيٌّ حَمِيمٞ - وَمَا يُلَقَّىٰهَآ - يَنزَغَنَّكَ - نَزۡغٞ - فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ).

ج:

الكلمة	معناها
(تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ)	تهبط عليهم الملائكة عند الاحتضار ونزول الموت
(وَأَبۡشِرُواْ)	افرحوا- وليدخل عليكم السرور الذي يظهر أثره على بشرتكم ووجوهكم
(تُوعَدُونَ)	يعدكم الله بها في الدنيا
(أَوۡلِيَآؤُكُمۡ)	نتولاكم بإذن الله – نحفظكم بإذن الله- قرناؤكم لا نفارقكم حتى تدخلون الجنة
(مَا تَدَّعُونَ)	ما تطلبون وما تسألون وما تريدون
(نُزُلٗا)	إكرامًا – حسن ضيافة
(ٱلۡحَسَنَةُ)	التوحيد – لا إله إلا الله – الطاعة – العفو والصفح
(ٱلسَّيِّئَةُۚ)	الشرك – المعصية – الجهل والظلم – الشتم والعيب
(ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ)	قابل بالتي أفضل، بالطريقة الحسنة واللفظ الحسن والفعل الحسن
(وَلِيٌّ حَمِيمٞ)	صديق قريب – قريب شديد القرابة- محب لك غاية المحبة
(وَمَا يُلَقَّىٰهَآ)	وما يحظى بها وما ينالها

(٤١٨) أحمر
أسود

(يَنزَغَنَّكَ)	يصرفنك- يغضبنك –يوسوس إليك صارف عن الحق – وسوسة -غضب
(فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ)	اطلب من الله أن يعيذك ويجيرك فاستنجد بالله

❁ ❁ ❁

س: اذكر حديثًا في الحث على قول (ربنا الله) والاستقامة على ذلك؟

ج: أخرج مسلم في صحيحه من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يا رسول الله! قُلْ لي في الإسْلامِ قولًا لا أسْأَلُ عنهُ أحدًا بَعدكَ (وفي حديث أبي أسامة: غَيركَ) قال: «**قُلْ آمَنْتُ باللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ**»(١).

❁ ❁ ❁

س:اذكر حديثًا في تنزل الملائكة على المؤمن عند الاحتضار؟

ج: ذلك وارد في حديث الاحتضار من حديث البراء بن عازب(٢) ؓ قال: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ وَكَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «**اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا -**». ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ(٣) مِنْ**

---

(١) مسلم حديث (٣٨).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/٢٨٧، ٢٩٥، ٢٩٦)، وأبو داود (٤٧٥٣)، والطيالسي (٧٥٣)، والحاكم (١/٣٧-٤٠).

(٣) الحنوط: طيب يخلط للميت خاصة انظر «اللسان».

حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ غ[(١)] حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن اللَّهِ وَرِضْوَانٍ». قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ». قَالَ: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ» - يَعْنِي: بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ - «إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرَّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ. بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ ﻷ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى». قَالَ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ. فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ. قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ البصر. قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ! هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ! فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؟ فَيَقُولُ: أَنَا

(١) لم نقف على دليل صحيح يفيد أن ملك الموت اسمه عزرائيل.

عَمَلُكَ الصَّالِحُ. فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي». قَالَ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ!!» قَالَ: «فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ! فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟! فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ!! بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ». ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: الآية ٤٠]، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى! فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝٣١﴾ [الحج: الآية ٣١]، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي. فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُه، ويأتيه رجلٌ قَبيحُ الوَجْهِ قَبيحُ الثِّيَاب مُنْتَنُ الريح، فَيَقُول: أَبْشِر بِالَّذِي يَسُوؤُكَ! هَذَا يَوْمُكَ

الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ! فيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ! فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ!! فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ».

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾

ج: المعنى – والله أعلم – إن الذين أسلموا لله ۵ وأعلنوا عن توحيدهم له وعبادتهم إياه وحده لا شريك له وشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ثم استقاموا على ذلك فلم يشركوا بالله شيئًا ولم يتوجهوا بعبادتهم لأحدٍ سوى الله ۵ ولم يخلطوا توحيدهم بشركٍ واستقاموا على طاعة الله ۵ وعلى أداء فرائضه، تتنزل عليهم الملائكة عند الاحتضار، وخروج الأرواح من الأجساد وعند نزول الموت تطمئنهم وتبشرهم، فهم في هذا المقام أحوج ما يكونون إلى من يطمئنهم فإنهم عند الاحتضار تعتريهم أمورٌ، إذا نظروا إلى الدنيا حزنوا على من فارقوا من الأزواج والأولاد والبنات، حزنوا على ما خلفوه ورائهم فماذا سيصنع الأنبياء؛ وإلى ماذا سيؤول أمر البنات؟ وأزواجي هل سيتزوجن؟ أم أنهن لي وفيات من الأوفياء؟! أموالي من سيأخذها؟ كيف ستقسم؟ بيوتي من سيسكنها؟ إلى غير ذلك من التساؤلات والهموم.

وإذا نظر إلى ما هو عله مقبل وآتٍ، فيا ترى ماذا سيصنع في القبر؟ بما سيجيب الملكين – كيف يأتيه العمل؟ في صورة رجل أبيض الوجه والثياب طيب الرائحة أم صورة من هو أسود الوجه والثياب منتن الريح؟

ماذا سيفعل إذا قام من قبره للحساب؟

هل سيتلقى الكتاب باليمين أم بالشمال؟!

ماذا سيفعل عند المرور على الصراط؟!

ميزان حسانته سيثقل؟ أم ميزان السيئات؟

هل سيطرد عن حوض نبيه؟ أم أنه سيشرب منه ويرتوي؟

ماذا سيصنع عند المرور على الصراط؟ هل سيسقط في النار أم يسلم وينجو؟!!

وماذا عند القنطرة، كيف بمظالم العباد؟

وإلى ماذا المصير؟ إلى جنة أم على نار؟

نسأل الله الفردوس.

أمورٌ كلها تعتري المحتضر عند الاحتضار ونزول الموت، فحينئذٍ تتنزل الملائكة مطمئنة مبشرة قائلة: (لا تخافوا) مما هو آتٍ (ولا تحزنوا على ما قد فات) وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون بها في الدنيا يا أهل الاستقامة، يا أهل الطاعة، فقد كان ربكم يعدكم في كتابه المنزل وعلى لسانه رسوله ﷺ بالجنات إن أنتم أسلمتم وأطعتم فها هو الوعد يتحقق فربكم لا يخلف الميعاد، فأبشروا وافرحوا بالجنة التي وعدكم الله بها.

وكما أننا كنا لكم أولياء في الدنيا نصاحبكم ونحفظكم بإذن الله، وكنا نكتب لكم صالح الأعمال ونستغفر لكم في الدنيا، فنحن في الآخرة أيضًا بإذن الله لكم أولياء ندعو لكم ربكم ۵، نشهد لكم عنده بما قدمتموه من صالح الأعمال.

لكم يا أهل الاستقامة على التوحيد ويا أهل الطاعة في هذه الجنات ما تشتهيه أنفسكم، وكل ما تسألونه يأتيكم، إكرامًا من الله ۵ وحسن ضيافة

منه سبحانه وتعالى. قد غفر لكم ذنوبكم وسترها عليكم فلم يؤاخذكم بها فإنه غفور رحيم.

قال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ أي: تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا أولياءكم، أي: قرناءكم في الحياة الدنيا، نسددكم ونوفقكم، ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ﴾ أي: في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهيه النفوس، وتقر به العيون، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ أي: مهما طلبتم وجدتم، وحضر بين أيديكم، كما اخترتم، ﴿ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ أي: ضيافة وعطاء وإنعامًا من غفور لذنوبكم، رحيم بكم رؤوف، حيث غفر، وستر، ورحم، ولطف.

وقال الطبري $:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل ملائكته التي تتنزل على هؤلاء المؤمنين الذين استقاموا على طاعته عند موتهم: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ ﴾ أيها القوم ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ كنا نتولاكم فيها؛ وذكر أنهم الحفظة الذين كانوا يكتبون أعمالهم.

وقوله: ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ يقول: وفي الآخرة أيضًا نحن أولياؤكم، كما كنا لكم في الدنيا أولياء، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ﴾ يقول: ولكم في الآخرة عند الله ما تشتهي أنفسكم من اللّذات والشهوات.

وقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ يقول: ولكم في الآخرة ما تدّعون.

وقوله: ﴿ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ يقول: أعطاكم ذلك ربكم نزلًا لكم من ربّ غفور لذنوبكم، رحيم بكم أن يعاقبكم بعد توبتكم؛ ونصب نزلًا على المصدر من معنى قوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ لأن في ذلك تأويل أنزلكم ربكم بما يشتهون من النعيم نزلًا.

قال السعدي $:

يخبر تعالى عن أوليائه، وفي ضمن ذلك تنشيطهم، والحثُّ على الاقتداء بهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ﴾ أي: اعترفوا ونطقوا ورضوا بربوبية الله تعالى، واستسلموا لأمره، ثم استقاموا على الصراط المستقيم، علمًا وعملًا فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾الكرام، أي: يتكرر نزولهم عليهم، مبشرين لهم عند الاحتضار. ﴿أَلَّا تَخَافُواْ ﴾ على ما يستقبل من أمركم، ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ على ما مضى، فنفوا عنهم المكروه الماضي والمستقبل، ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ فإنها قد وجبت لكم وثبتت، وكان وعد الله مفعولًا ويقولون لهم أيضًا - مثبتين لهم، ومبشرين -: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ يحثونهم في الدنيا على الخير، ويزينونه لهم، ويرهبونهم عن الشر، ويقبحونه في قلوبهم، ويدعون الله لهم، ويثبتونهم عند المصائب والمخاوف، وخصوصًا عند الموت وشدته، والقبر وظلمته، وفي القيامة وأهوالها، وعلى الصراط، وفي الجنة يهنئونهم بكرامة ربهم، ويدخلون عليهم من كل باب ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد: ٢٤] ويقولون لهم أيضًا: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا ﴾ أي: في الجنة ﴿مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ ﴾ قد أُعدَّ وهيئ. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ أي: تطلبون من كل ما تتعلق به

إرادتكم وتطلبونه من أنواع اللذات والمشتهيات، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۝٣٢﴾ أي: هذا الثواب الجزيل، والنعيم المقيم، نزلٌ وضيافة ﴿مِّنْ غَفُورٍ﴾ غفر لكم السيئات، ﴿رَّحِيمٍ ۝٣٢﴾ حيث وفقكم لفعل الحسنات، ثم قبلها منكم. فبمغفرته أزال عنكم المحذور، وبرحمته، أنالكم المطلوب.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في فضل الدعوة إلى الله.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ **[يوسف: ١٠٨]**.

فالدعاة إلى الله أتباع الرسل.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝٧٩﴾ **[آل عمران: ٧٩]**.

وقوله ﷺ: **«مَنْ دَعَا إلى هُدًى كَانَ لهُ منَ الأجْرِ مثل أُجورِ مَن اتَّبعه مِنْ غَيرِ أَنْ يَنقص مِنْ أُجُورهم شَيئًا»**.

وقوله ﷺ: **«مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّة حَسَنَة فَلهُ أَجرها وَأجر مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يومِ القِيَامَةِ»**.

وقوله ﷺ: **«لئِنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»**.

(٤٢٦) أحمر
أسود

ففي الصحيحين[(١)] من حديث سَهْل بْن سَعْدٍ ﭬ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «**لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**». قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا؟ فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ: «**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟**». فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. قَالَ: «**فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ**». فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا، فَقَالَ: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**».

قال ابن القيم $ في «التفسير القيم»:

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨] وسواء كان المعنى أنا ومن اتبعني يدعو إلى الله على بصيرة أو كان الوقف عند قوله: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ثم يبتدئ ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ فالقولان متلازمان فإنه أمره سبحانه أن يخبر أن سبيله الدعوة إلى الله. فمن دعا إلى الله تعالى، فهو على سبيل رسوله ، وهو على بصيرة، وهو من أتباعه، ومن دعا إلى غير ذلك فليس على سبيله، ولا هو على

(١) البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦) واللفظ له.

بصيرة، ولا هو من أتباعه.

فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم وهم خلفاء الرسل في أممهم. والناس تبع لهم والله سبحانه قد أمر رسوله أن يبلغ ما أنزل إليه وضمن له حفظه، وعصمته من الناس، وهكذا المبلغون عنه من أمته لهم من حفظ الله وعصمته اياهم بحسب قيامهم بدينه، وتبليغهم لهم، وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه ولو آية ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثًا.

وتبليغ سُنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛ لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا الله تعالى منهم بمنِّه وكرمه.

وهم كما قال فيهم عمر بن الخطاب ﭬ في خُطبته التي ذكرها ابن وضاح في كتاب «الحوادث والبدع» له قال:

«الحمد لله الذي امتنَّ على العباد بأن جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويبصرون بكتاب الله أهل العمى، كم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وضالٍّ تائهٍ قد هدوه، بذلوا دماءهم وأموالهم دون هلكة العباد، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم، يغلبونهم في سالف الدهر، وإلى يومنا هذا فما نسيهم ربك ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝٦٤﴾ [مريم: ٦٤] وجعل قصصهم هدًى وأخبر عن حسن مقالتهم فلا تقصر عنهم فإنهم في منزلة رفيعة وإن أصابتهم الوضيعة.

وقال عبد الله بن مسعود ﭬ: «إن لله عند كل بدعة كيد بها الإسلام وليًّا من أوليائه يذبُّ عنها، وينطق بعلاماتها فاغتنموا حضور تلك المواطن

وتوكلوا على الله».

ويكفي في هذا قول النبي ﷺ لعلي ؓ ولمعاذ أيضًا: «**لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم**».

وقوله ﷺ: «**من أحيا شيئًا من سُنتي كنت أنا وهو في الجنة كهاتين، وضم بين أصبعيه**».

وقوله ﷺ: «**من دعا إلى هدًى فاتبع عليه كان له مثل أجر من تبعه إلى يوم القيامة**».

فمتى يدرك العامل هذا الفضل العظيم. والحظ الجسيم بشيء من علمه. وإنما ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالحسنة والسيئة؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن الحسنة شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإخلاص العمل لله والسيئة: الشرك بالله.

الثاني: الحسنة هي الطاعة، السيئة هي المعصية.

الثالث: الحسنة هي الإقبال على القرآن والاستماع له والإنصات والعمل به، والسيئة: الإعراض عن القرآن واللغو عن قراءته.

الرابع: الحسنة العفو عن الناس، السيئة: الاعتداء على الناس.

الخامس: الحسنة الرفق، والسيئة الفحش، وهناك أقوال أخر.

وكل ما ذكر صحيح، والقول بالعموم أولى، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى الآية الكريمة: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ

صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾).

ج: المعنى - والله أعلم – ليس هناك شخص أحسن قولًا ولا أسدّ رأيًا ولا أسلم منهجًا ولا أهدى سبيلًا من شخص أعلن عن هديته وأعرب عن شخصيته ولم تأخذه في الله لومة لائم فشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ودعا إلى ذلك، ودعا إلى التمسك بتعاليم هذا الدين وشفع ذلك بالعمل الصالح فصدَّق قولُه عمله وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ومن أحسن أيها الناس قولًا ممن قال ربنا الله ثم استقام على الإيمان به، والانتهاء إلى أمره ونهيه، ودعا عباد الله إلى ما قال وعمل به من ذلك.

وأورد بإسنادٍ حسن:

عن قتادة، قوله: (وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ...) الآية، قال: هذا عبد صدّق قولَه عملُه، ومولَجه مخرجُه، وسرَّه علانيته، وشاهده مغيبه، وإن المنافق عبد خالف قوله عمله، ومولجه مخرجه، وسرّه علانيته، وشاهده مغيبه.

وقال الطبري $:

وقوله: (وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾) يقول: وقال: إنني ممن خضع لله بالطاعة، وذل له بالعبودية، وخشع له بالإيمان بوحدانيته.

وقال ابن كثير - $:

يقول تعالى: (وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ) أي: دعا عباد الله إليه، (وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾) أي: وهو في نفسه مهتدٍ بما يقوله،

فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومُتَعَدٍّ، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير ويترك الشر، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى. وهذه عامة في كل من دعا إلى خير، وهو في نفسه مهتدٍ، ورسول الله ﷺ أولى الناس بذلك، كما قال محمد بن سيرين، والسُّدي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وقيل: المراد بها المؤذنون الصلحاء، كما ثبت في صحيح مسلم: **«المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة»**(١).

وأورد ابن كثير أحاديث في فضل المؤذن والأذان ثم قال:

والصحيح أن الآية عامة في المؤذنين وفي غيرهم، فأما حال نزول هذه الآية فإنه لم يكن الأذان مشروعًا بالكلية؛ لأنها مكية، والأذان إنما شرع بالمدينة بعد الهجرة، حين أريه عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري في منامه، فقصه على رسول الله ﷺ، فأمره أن يلقيه على بلال فإنه أندى صوتًا، كما هو مقرر في موضعه، فالصحيح إذًا أنها عامة.

❀ ❀ ❀

س: اذكر بعض الوارد في فضل المؤذن؟

ج: المؤذن المستقيم العامل بأمر الله داخل ضمنًا في الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ ثم هاهي طائفة من الأحاديث عن رسول الله ﷺ في فضل المؤذن.

أخرجه مسلم في صحيحه بسنده إلى طلحة بن يحيى عن عمه قال: كُنتُ عندَ مُعَاوِيةَ بْنِ أبي سُفيان. فجَاءَه المؤذن يَدعُوهُ إلى الصَّلاةِ، فقال معاويةُ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**المُؤذِّنُونَ أَطولُ النَّاسِ أَعنَاقًا يومَ**

(١) مسلم (حديث ٣٨٧).

القِيامَةِ»(١).

وأخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري ﵁ وأخبر أنه سمعه من النبي ﷺ قال: «**لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة**»(٢).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط**»(٣).

وأخرج ابن حبان بسندٍ صحيح عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تعجب ربنا من راعي غنم في رأس الشظية للجبل يؤذن بالصلاة ويصلي فيقول الله جل وعلا: انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة، يخاف مني غفرت لعبدي وأدخلته الجنة**»(٤).

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – ولا تستوي الفعلة الحسنة والكلمة الحسنة والنية الحسنة، مع الفعلة السيئة والكلمة السيئة، والنية السيئة.

* فلا يستوي الإيمان مع الكفر.
* ولا يستوي التوحيد مع الشرك.
* ولا يستوي الاستماع إلى القرآن والإنصات له والإقبال عليه، مع

(١) مسلم (حديث ٣٨٧).
(٢) البخاري مع الفتح (٢/٨٧).
(٣) البخاري (٢/٨٤) ومسلم (ص ٢٩١).
(٤) ابن حبان في موارد الظمآن (٢٦٠).

(٤٣٢) أحمر
أسود

اللغو فيه والإعراض عنه.

* ولا تستوي الفظاظة والغلظة وفحش القول مع طيب القول وليّنه والرفق .

* ولا يستوي العفو مع المؤاخذة.

* ولا تستوي كلمة التوحيد مع كلمة الشرك.

* ولا يستوي القول الطيب مع بذيء القول ومنكره وهذا لا يستوي ما يقرب من الله وجنته ومرضاته مع ما يباعد من الله ๕ ويُسخطه ويتسبب في دخول ناره.

فمن ثمَّ أيها المؤمن قابل الإساءة بإحسان وقابل المظلمة بعفوٍ وغفران، وقابل الكلمة السيئة بكلمة طيبة، فبهذا – بإذن الله – يتحول العدو المريد شديد العداوة إلى صديق قريب شديد الصداقة وشديد المحبة.

ولكن ما يحظى بهذه المنزلة العالية السامية الرفيعة وما يحظى بجزائها الذي هو الجنة إلا الذين صبروا على أذى من آذاهم وما يلقاها إلَّا من كتب الله له الحظُّ العظيم الذي هو الجنة، والحسنة في الدنيا كذلك والله أعلم، وبنحو هذا قال أهل التأويل.

قال الطبري $:

وقوله تعالى: (وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ).

يقول تعالى ذكره: ولا تستوي حسنة الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، فأحسنوا في قولهم، وإجابتهم وربهم إلى ما دعاهم إليه من طاعته، ودعوا عباد الله إلى مثل الذي أجابوا ربهم إليه، وسيئة الذين قالوا:(لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦) فكذلك لا تستوي عند الله أحوالهم ومنازلهم،

ولكنها تختلف كما وصف جلّ ثناؤه أنه خالف بينهما، وقال جلّ ثناؤه: (وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ) فكرر (لا) والمعنى: لا تستوي الحسنة ولا السيئة؛ لأن كلّ ما كان غير مساوٍ شيئًا، فالشيء الذي هو له غير مساوٍ غير مساويه، كما أن كل ما كان مساويًا لشيء فالآخر الذي هو له مساو، مساو له، فيقال: فلان مساو فلانا، وفلان له مساو، فكذلك فلان ليس مساويًا لفلان، ولا فلان مساويًا له، فلذلك كرّرت (لا) مع السيئة، ولو لم تكن مكرّرة معها كان الكلام صحيحًا.

وإنما عنى بقوله: (وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ) ولا يستوي الإيمان بالله والعمل بطاعته والشرك به والعمل بمعصيته.

وقوله: (ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ: ادفع يا محمد بحلمك جهل من جهل عليك، وبعفوك عمن أساء إليك إساءة المسيء، وبصبرك عليهم مكروه ما تجد منهم، ويلقاك من قِبلهم.

وقوله: (فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾) يقول تعالى ذكره: افعل هذا الذي أمرتك به يا محمد من دفع سيئة المسيء إليك بإحسانك الذي أمرتك به إليه، فيصير المسيء إليك الذي بينك وبينه عداوة، كأنه من ملاطفته إياك. وبرّه لك، وليّ لك من بني أعمامك، قريب النسب بك، والحميم: هو القريب.

وقوله: (وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾) يقول: وما يلقى هذه إلا ذو نصيب وجدّ له سابق في المبرات عظيم.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ) أي: فرق عظيم بين هذه وهذه،

﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ أي: من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه، كما قال عمر ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه.

وقوله: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ۝٣٤﴾ وهو الصديق، أي: إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبتك، والحنو عليك، حتى يصير كأنه ولي لك حميم أي: قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك.

ثم قال: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ أي: وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على ذلك، فإنه يشق على النفوس، ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ۝٣٥﴾ أي: ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة.

قال السعدي $:

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ﴾ أي: لا يستوي فعل الحسنات والطاعات لأجل رضا الله تعالى، ولا فعل السيئات والمعاصي التي تسخطه ولا ترضيه، ولا يستوي الإحسان إلى الخلق، ولا الإساءة إليهم، لا في ذاتها، ولا في وصفها، ولا في جزائها ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ۝٦٠﴾ [الرحمن: ٦٠].

ثم أمر بإحسان خاصٍّ، له موقع كبير، وهو الإحسان إلى من أساء إليك، فقال: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ أي: فإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصًا من له حق كبير عليك، كالأقارب، والأصحاب، ونحوهم، إساءة بالقول أو بالفعل، فقابله بالإحسان إليه، فإن قطعك فَصلْهُ، وإن ظلمك، فاعف عنه، وإن تكلم فيك، غائبًا أو حاضرًا، فلا تقابله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين. وإن هجرك، وترك خطابك، فَطيِّبْ له الكلام، وابذل

له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة.

(فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾) أي: كأنه قريب شفيق.

(وَمَا يُلَقَّىٰهَآ) أي: وما يوفق لهذه الخصلة الحميدة (إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟) نفوسهم على ما تكره، وأجبروها على ما يحبه الله، فإن النفوس مجبولة على مقابلة المسيء بإساءته وعدم العفو عنه، فكيف بالإحسان؟!

فإذا صبَّر الإنسان نفسه، وامتثل أمر ربه، وعرف جزيل الثواب، وعلم أن مقابلته للمسيء بجنس عمله، لا يفيده شيئًا، ولا يزيد العداوة إلا شدة، وأن إحسانه إليه، ليس بواضع قدره، بل من تواضع لله رفعه، هان عليه الأمر، وفعل ذلك، متلذذًا مستحليًا له.

(وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾) لكونها من خصال خواص الخلق، التي ينال بها العبد الرفعة في الدنيا والآخرة، التي هي من أكبر خصال مكارم الأخلاق.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾)؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم- وإما يقذفن الشيطان في نفسك وسوسة للانتقام وعدم المؤاخذة فاطلب من الله أن يعيذك من وساوس الشياطين ومما يلقونه في نفسك من السوء والمكروه فلن يعيذك من الشيطان إلا الله هو السميع لك ولأقوالك والسميع لكل شيء، العليم بك وبأحوالك والعليم بكل شيء.

والآية عامة أيضًا فإذا قذف الشيطان في نفسك أي أمرٍ يغضب الله

فتعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

قال الطبري $:

وقوله: (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ...) الآية، يقول تعالى ذكره: وإما يلقين الشيطان يا محمد في نفسك وسوسة من حديث النفس إرادة حملك على مجازاة المسيء بالإساءة، ودعائك إلى مساءته، فاستجر بالله واعتصم من خطواته، إن الله هو السميع لاستعاذتك منه واستجارتك به من نزغاته، ولغير ذلك من كلامك وكلام غيرك، العليم بما ألقى في نفسك من نزغاته، وحدثتك به نفسك ومما يذهب ذلك من قبلك، وغير ذلك من أمورك وأمور خلقه.

وقال ابن كثير $:

وقوله: (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ) أي: إن شيطان الإنسي ربما ينخدع بالإحسان إليه، فأما شيطان الجن فإنه لا حيلة فيه إذا وسوس إلا الاستعاذة بخالقه الذي سلطه عليك، فإذا استعذت بالله ولجأت إليه، كفه عنك ورد كيده.

❀ ❀ ❀

س: في الآيات الكريمات إرشاد إلى كيفية التعامل مع العدو الإنسي والعدو الشيطاني، وتكرر ما في معناها في آيات أُخر، وضح المعنى مع ذكر الآيات الواردة المشابهة في معناها؟

ج: نعم أرشدنا الله ٥ إلى كيفية التعامل مع العدو الإنسي والعدو الجني على السواء في هذه الآيات وفي آيات مشاهبة لها من سور أخر.

وإيضاح ذلك أن الله ٥ حثنا على العفو والصفح ومقابلة السيئة

بالحسنة إذا ما اعتُدي علينا من عدوٍّ إنسي، وذلك بقوله تعالى: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ).

أما العدو الجني فلا خلاص منه ولا سلامة إلا بالتعوذ بالله منه، فالعدو الجني لا يقبل هدية تهديها إليه إلا الكفر والعصيان، أما العدو الإنسي فقد يُتألف بشيء من عوارض الدنيا الزائلة الفانية ومن ثَمَّ قال تعالى: (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ...).

أما الآيات المشابهة لذلك فمنها:

قوله تعالى في سورة الأعراف: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾) [الأعراف: ١٩٩].

فهذه طريقة التعامل مع الإنسي.

أما الجني ففي نفس السورة: (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾) [الأعراف: ٢٠٠].

وفي سورة المؤمنون: (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾) [المؤمنون: ٩٦]، وهذا مع العدو الإنسي، وأما الجني (وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾) [المؤمنون: ٩٧،٩٨] فلا سبيل إلا إلى الاستعاذة بالله منه. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(٤٣٨) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟
لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ
يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ
تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ
أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ
ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

[فصلت: ٣٧-٤٠]

(٤٣٩) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي: (يُسَبِّحُونَ لَهُۥ - لَا يَسْـَٔمُونَ - خَٰشِعَةً - ٱهْتَزَّتْ - وَرَبَتْ - يُلْحِدُونَ).

ج:

الكلمة	معناها
(يُسَبِّحُونَ لَهُۥ)	يصلون له – يسبحون بقول سبحان الله وبحمده
(لَا يَسْـَٔمُونَ)	لا يملون – لا يتعبون
(خَٰشِعَةً)	هامدة لا نبات فيها – ميتة يابسة
(ٱهْتَزَّتْ)	تحركت بالنبات
(وَرَبَتْ)	انتفخت – ارتفعت قبل أن تنبت
(يُلْحِدُونَ)	يميلون عن الحق إلى الباطل فيكذبون بالآيات ويصفونها بأنها سحر وكهانة – يعاندون- يكفرون - يشركون

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ
لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا
يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾)؟

ج: المعنى -والله أعلم- ومن آياته الدالة على وحدانيته وأنه لا شريك له والدالة على قدرته وعظمته وعظمة سلطانه الليل والنهار وتعاقبهما وما فيهما من شمس وقمر يجريان لأجل مسمى فلا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار، وكلٌّ في فلك يسبحون، فلا تسجدوا للشمس ولا للقمر فإنهما مسخران بتسخير الله لهما ولكن اسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم حقًّا تتوجهون إليها بعبادتكم وتوحدونه، فإن امتنعوا عن

(٤٤٠) أحمر
أسود

السجود لله ٥ واستكبروا عن ذلك فاعلم أن هناك من هم خيرٌ منهم وأفضل يصلون له ليلًا ونهارًا ولا يملون من ذلك ولا يتعبون.

قال الطبري $:

لا بأنهما يقدران بأنفسهما على سير وجري دون إجراء الله إياهما وتسييرهما، أو يستطيعان لكم نفعًا أو ضرًّا، وإنما الله مسخرهما لكم لمنافعكم ومصالحكم، فله فاسجدوا، وإياه فاعبدوا دونهما، فإنه إن شاء طمس ضوءهما، فترككم حيارى في ظلمة لا تهتدون سبيلًا ولا تبصرون شيئًا. وقيل: ﴿وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ فجمع بالهاء والنون، لأن المراد من الكلام: واسجدوا لله الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر، وذلك جمع، وأنث كنايتهن، وإن كان من شأن العرب إذا جمعوا الذكر إلى الأنثى أن يخرجوا كنايتهما بلفظ كناية المذكر فيقولون: أخواك وأختاك كلموني، ولا يقولون: كلمنني، لأن من شأنهم أن يؤنثوا أخبار الذكور من غير بني آدم في الجمع، فيقولون: رأيت مع عمرو أثوابًا فأخذتهن منه. وأعجبني خواتيم لزيد فقبضهن منه.

وقوله: ﴿إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ۝٣٧﴾ يقول: إن كنتم تعبدون الله، وتذلون له بالطاعة؛ وإن من طاعته أن تخلصوا له العبادة، ولا تشركوا في طاعتكم إياه وعبادتكموه شيئًا سواه، فإن العبادة لا تصلح لغيره ولا تنبغي لشيء سواه.

يقول تعالى ذكره: ومن حجج الله تعالى على خلقه ودلالته على وحدانيته، وعظيم سلطانه، اختلاف الليل والنهار، ومعاقبة كلّ واحد منهما صاحبه، والشمس والقمر، لا الشمس تدرك القمر ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي

(٤٤١) أحمر
أسود

فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾) [يس: ٤٠] لا تسجدوا أيها الناس للشمس ولا للقمر، فإنهما وإن جريا في الفلك بمنافعكم، فإنما يجريان به لكم بإجراء الله إياهما لكم طائعين له في جريهما ومسيرهما.

يقول تعالى ذكره: فإن استكبر يا محمد هؤلاء الذين أنت بين أظهرهم من مشركي قريش، وتعظموا عن أن يسجدوا لله الذي خلقهم وخلق الشمس والقمر، فإن الملائكة الذين عند ربك لا يستكبرون عن ذلك، ولا يتعظمون عنه، بل يسبحون له، ويصلون ليلًا ونهارًا، (وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ۩ ﴿٣٨﴾) يقول وهم لا يفترون عن عبادتهم، ولا يملون الصلاة له.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى منبهًا خلقه على قدرته العظيمة، وأنه الذي لا نظير له وأنه على ما يشاء قادر: (وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ) أي: أنه خلق الليل بظلامه، والنهار بضيائه، وهما متعاقبان لا يقران، والشمس ونورها وإشراقها، والقمر وضياؤه وتقدير منازله في فلكه، واختلاف سيره في سمائه، ليُعرف باختلاف سيره وسير الشمس مقادير الليل والنهار، والجمع والشهور والأعوام، ويتبين بذلك حلول الحقوق، وأوقات العبادات والمعاملات.

ثم لما كان الشمس والقمر أحسن الأجرام المشاهدة في العالم العلوي والسفلي، نبه تعالى على أنهما مخلوقان عبدان من عبيده، تحت قهره وتسخيره، فقال: (لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿٣٧﴾) أي: ولا تشركوا به فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره، فإنه لا يغفر أن يشرك به؛ ولهذا قال: (فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ)

(٤٤٢) أحمر
أسود

أي: عن إفراد العبادة له وأبوا إلا أن يشركوا معه غيره، (فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ) يعني: الملائكة، (يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ ٣٨)، كقوله: (فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩) [الأنعام: ٨٩].

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ) علاماته الدالة على وحدانيته وقدرته (ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ) وقد مضى في غير موضع.

ثم نهى عن السجود لهما، لأنهما وان كانا خلقين فليس ذلك لفضيلة لهما في أنفسهما فيستحقان بها العبادة مع الله.

لان خالقهما هو الله لو شاء لأعدمهما أو طمس نورهما.

(وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ) وصورهن وسخرهن، فالكناية ترجع إلى الشمس والقمر والليل والنهار.

وقيل: للشمس والقمر خاصة، لأن الاثنين جمع.

وقيل: الضمير عائد على معنى الآيات (إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧) وإنما أنث على جمع التكثير ولم يجر على طريق التغليب للمذكر والمؤنث لأنه فيما لا يعقل.

(فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ) يعني الكفار عن السجود لله (فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ) من الملائكة (يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ ٣٨) أي: لا يملون عبادته.

قال زهير:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش … وثمانين حولًا لا أبا لك يسأم

❀ ❀ ❀

س: هل عند تلاوة هذه الآية الكريمة (...وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ)

سجود؟ وما موطن هذا السجود في حالة كونه موجودًا؟

ج: نعم فيها سجود، وإن كان الخبر به لا يثبت عن النبي ، لكن نقل غير واحدٍ الإجماع على السجود عند هذه الآية، ونفى القرطبي الخلاف في ذلك أما موضع السجود فللعلماء فيه قولان:

أحدهما: أنه عقب قوله: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

والآخر: عقب قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾.

والأمر في ذلك قريب.

قال القرطبي $:

مسألة: هذه الآية آية سجدة بلا خلاف، واختلفوا في موضع السجود منها. فقال مالك: موضعه ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾، لأنه متصل بالأمر. وكان علي وابن مسعود وغيرهم يسجدون عند قوله: ﴿تَعْبُدُونَ ﴾. وقال ابن وهب والشافعي: موضعه ﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾ لأنه تمام الكلام وغاية العبادة وبه قال أبو حنيفة. وكان ابن عباس يسجد عند قوله: ﴿يَسْـَٔمُونَ﴾. وقال ابن عمر: اسجدوا بالآخرة منهما. وكذلك يروى عن مسروق وأبي عبد الرحمن السلمي وإبراهيم النخعي وأبي صالح ويحيى بن وثاب وطلحة وزبيد اليامين والحسن وابن سيرين. وكان أبو وائل وقتادة وبكر بن عبد الله يسجدون عند قوله: ﴿يَسْـَٔمُونَ﴾. قال ابن العربي: والأمر قريب.

❀ ❀ ❀

(٤٤٤) أحمر
أسود

س: من الذين عناهم الله بقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾؟

ج: هم الملائكة، وذلك لقوله تعالى هاهنا: ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ۩ ٣٨﴾.

وفي الآية الأخرى: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠]، وقد قالت الملائكة عن نفسها: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ١٦٦﴾ [الصافات: ١٦٥-١٦٦].

قال الشنقيطي $ في «أضواء البيان»:

وقد دلت هذه الآية الكريمة من سورة فصلت على أمرين:

أحدهما: أن الله جل وعلا إن كفر به بعض خلقه ، فإن بعضًا آخر من خلقه يؤمنون به ، ويطيعونه كما ينبغي ، ويلازمون طاعته دائمًا بالليل والنهار .

والثاني منهما : أن الملائكة يسبحون الله ويطيعونه دائمًا لا يفترون عن ذلك .

وهذان الأمران اللذان دلت عليهما هذه الآية الكريمة ، قد جاء كل منهما موضحًا في غير هذا الموضع .

أما الأول منهما : فقد ذكره جل وعلا في قوله : ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩﴾ [الأنعام : ٨٩] .

وأما الثاني منهما : فقد أوضحه تعالى في آيات من كتابه كقوله تعالى في الأنبياء : ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ [الأنبياء : ١٩، ٢٠]

وقوله تعالى في آخر الأعراف: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ

(٤٤٥) أحمر
أسود

﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ٢٠٦﴾ [الأعراف : ٢٠٦] إلى غير ذلك من الآيات .
وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ ٣٨﴾ أي: لا يملون .

والسآمة: الملل ومنه قول زهير:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ... ثمانين حولا لا أبا لك يسأم

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾؟

ج: المعنى، ومن حجج الله ٥ الدالة على أنه قادر على كل شيء، وقادر على إحياء الأنفس بعد موتها ما يحدثه ربنا في الأرض فإنك ترى الأرض هامدة لا نبات فيها فإذا أنزل الله عليها الماء وتشربته ارتفعت واهتزت بالنبات على ظهرها، إن الذي فعل ذلك بها لمحيي الموتى من قبورهم كما أحيا الأرض بالنبات بعد نزول الغيث إنه على كل شيء قدير.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ومن حجج الله أيضًا وأدلته على قدرته على نشر الموتى من بعد بلاها، وإعادتها لهيئتها كما كانت من بعد فنائها أنك يا محمد ترى الأرض دارسة غبراء، لا نبات بها ولا زرع.

﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا أنزلنا من السماء غيثا على هذه الأرض الخاشعة اهتزت بالنبات. يقول: تحرّكت به.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذي أحيا هذه الأرض الدارسة فأخرج منها النبات، وجعلها تهتزّ بالزرع من بعد يبسها ودثورها بالمطر الذي أنزل عليها لقادر أن يحيي أموات بني آدم من بعد مماتهم بالماء الذي ينزل من السماء لإحيائهم.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾ يقول تعالى ذكره: إن ربك يا محمد على إحياء خلقه بعد مماتهم وعلى كل ما يشاء ذو قدرة لا يعجزه شيء أراده، ولا يتعذّر عليه فعل شيء شاءه.

وقال الحافظ ابن كثير $:

وقوله: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ أي: على قدرته على إعادة الموتى ﴿أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ﴾ أي: هامدة لا نبات فيها، بل هي ميتة ﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ﴾ أي: أخرجت من جميل ألوان الزروع والثمار، ﴿إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾.

وقال القرطبي $:

﴿وَرَبَتۡۚ﴾ أي: انتفخت وعلت قبل أن تنبت، قال مجاهد: أي تصعدت عن النبات بعد موتها. وعلى هذا التقدير يكون في الكلام تقديم وتأخير وتقديره: ربت واهتزت. والاهتزاز والربو قد يكونان قبل الخروج من الأرض، وقد يكونان بعد خروج النبات إلى وجه الأرض، فربوها ارتفاعها. ويقال للموضع المرتفع: ربوة ورابية، فالنبات يتحرك للبروز ثم يزداد في جسمه بالكبر طولا وعرضا. وقرأ أبو جعفر وخالد «وربأت» ومعناه: عظمت، من الربيئة. وقيل: «اهتزت» أي استبشرت بالمطر «وربت» أي انتفخت بالنبات. والأرض إذا انشقت بالنبات: وصفت بالضحك، فيجوز وصفها بالاستبشار أيضًا. ويجوز أن يقال الربو والاهتزاز واحد، وهي حالة خروج النبات.

❀ ❀ ❀

س: كثيرًا ما يستدل على البعث بإحياء الأرض بعد موتها دلِّل على ذلك؟

(٤٤٧) أحمر
أسود

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: ٥-٧].

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾. [ق: ٩-١١]

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾.

ج: المعنى -والله أعلم- إن الذين يميلون عن الحق إلى الباطل في شأن القرآن الكريم فيصفونه بغير الحق، يقولون عنه شعر وسحر وكهانة، وافتراء وأساطير الأولين وكذب، وكذا يلبسونه معنى غير معناه، هؤلاء أمرهم لا يخفى على الله بل الله عليم بصنيعهم وعليم بمكرهم وإلحادهم، ولا يستوي هؤلاء المكذبون بالقرآن الملحدون فيه مع من آمن بالله وصدق بكتابه وبوعده ووعيده، أفهذا المكذب الذي مصيره أنه يلقى في النار خيرٌ أم من يأتي يوم القيامة آمنًا من عذاب الله ﻷ لكونه صدق المرسلين.

ثم تختم الآية بالتهديد في قوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ فأمركم لا يخفى على الله فربي بصيرٌ بما تعملون.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يعني جلّ ثناؤه بقوله: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا) إن الذين يميلون عن الحق في حججنا وأدلتنا، ويعدلون عنها تكذيبا بها وجحودا لها.

وقال $:

اختلف أهل التأويل في المراد به من معنى الإلحاد في هذا الموضع، فقال بعضهم: أريد به معارضة المشركين القرآن باللغط والصفير استهزاء به.

وقال $:

وقال بعضهم: أريد به الخبر عن كذبهم في آيات الله.

وقال آخرون: أريد به يعاندون.

وقال آخرون: أريد به الكفر والشرك.

وقال آخرون: أريد به الخبر عن تبديلهم معاني كتاب الله.

وقوله: (لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ) يقول تعالى ذكره: نحن بهم عالمون لا يخفون علينا، ونحن لهم بالمرصاد إذا وردوا علينا، وذلك تهديد من الله جلّ ثناؤه لهم بقوله: سيعلمون عند ورودهم علينا ماذا يلقون من أليم عذابنا. ثم أخبر جلّ ثناؤه عما هو فاعل بهم عند ورودهم عليه، فقال: (أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ). يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين يلحدون في آياتنا: اليوم في الدنيا يوم القيامة عذاب النار، ثم قال الله: أفهذا الذي يلقى في النار خير، أم الذي يأتي يوم القيامة آمنا من عذاب الله لإيمانه بالله ۴؟ هذا الكافر، إنه إن آمن بآيات الله، واتبع أمر الله ونهيه، أمنه يوم القيامة مما

حذره منه من عقابه إن ورد عليه يومئذ به كافرًا.

وقوله: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ وهذا أيضًا وعيد لهم من الله خرج مخرج الأمر، وكذلك كان مجاهد يقول.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤٠﴾ يقول جلّ ثناؤه: إن الله أيها الناس بأعمالكم التي تعملونها ذو خبرة وعلم لا يخفى عليه منها، ولا من غيرها شيء.

وقال ابن كثير $:

قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾، قال ابن عباس: الإلحاد: وضع الكلام على غير مواضعه. وقال قتادة وغيره: هو الكفر والعناد.

وقوله: ﴿لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ ﴾ أي: فيه تهديد شديد، ووعيد أكيد، أي: إنه تعالى عالم بمن يلحد في آياته وأسمائه وصفاته، وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنكال؛ ولهذا قال: ﴿أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ﴾؟ أي: أيستوي هذا وهذا؟ لا يستويان.

ثم قال -٥-تهديدًا للكفرة: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ قال مجاهد، والضحاك، وعطاء الخراساني: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾: وعيد، أي: من خير أو شر، إنه عليم بكم وبصير بأعمالكم؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤٠﴾.

قال السعدي $:

الإلحاد في آيات الله: الميل بها عن الصواب، بأي وجه كان: إما بإنكارها وجحودها، وتكذيب من جاء بها. وإما بتحريفها عن معناها الحقيقي، وإثبات معانٍ لها، ما أرادها الله منها.

(٤٥٠) أحمر
أسود

❀ ❀ ❀

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ
مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ
قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ
قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ
ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ
عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى
ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۗ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ
وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿٤٥﴾ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ
فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ۞إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ
مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ
يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ
عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٤٨﴾ ﴾

[فصلت: ٤١-٤٨]

(٤٥٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(ٱلذِّكۡرِ - عَزِيزٌ - ٱلۡبَٰطِلُ - حَكِيمٍ - حَمِيدٍ - أَعۡجَمِيًّا - فُصِّلَتۡ - وَقۡرٌ - ٱلۡكِتَٰبَ - مُرِيبٍ - أَكۡمَامِهَا - ءَاذَنَّٰكَ - وَضَلَّ عَنۡهُم - وَظَنُّواْ - مَّحِيصٍ).

ج:

الكلمة	معناها
(ٱلذِّكۡرِ)	القرآن
(عَزِيزٌ)	كريم على الله – عزيز على الله – يغلب من أراد أن يأتي بمثله – منيع الجناب
(ٱلۡبَٰطِلُ)	الشيطان – الافتراء
(حَكِيمٍ)	ذو حكمة في الأمور كلها
(حَمِيدٍ)	محمود على نعمه وفضله
(أَعۡجَمِيًّا)	غير عربي
(فُصِّلَتۡ)	بُيِّنت ووضِّحت
(وَقۡرٌ)	صَممٌ – ثقلٌ
(ٱلۡكِتَٰبَ)	التوراة
(مُرِيبٍ)	مُحيِّر
(أَكۡمَامِهَا)	أوعيتها
(ءَاذَنَّٰكَ)	أعلمناك – أخبرناك – أسمعناك
(وَضَلَّ عَنۡهُم)	غاب عنهم- ذهب عنهم
(وَظَنُّواْ)	تيقنوا
(مَّحِيصٍ)	مهرب – مصرف – فرار – مفر

س: وضح المعنى الإجمال لقوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡ

(٤٥٣) أحمر
أسود

وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾).

ج: المعنى -والله أعلم- إن الذين جحدوا الكتاب المنزل من عند الله وهو القرآن، وكفروا به، فهو وإن جحدوه كتاب عزيز عند الله كريم على الله، غالبٌ لمن أراد أن يأتي بمثله فلا يستطيع أحدٌ من البشر أن يأتي بمثله ولا يستطيع أحد من البشر أن يدخل فيه ما ليس منه ولا أن يحذف ما هو ثابت فيه.

فقوله: (لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ) قيل في معناه: ولا يستطيع الشيطان أن يدخل فيه شيئًا أو أن ينقص منه شيئًا؛ إذ هو تنزيل من عند الله ۵ ذو الحكمة فيما يصنع وفي كل شيء.

المحمود على نعمائه وفضائله على عباده.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: إن الذين جحدوا هذا القرآن وكذّبوا به لما جاءهم، وعنى بالذكر القرآن.

وقوله: (وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾) يقول تعالى ذكره: وإن هذا الذكر لكتاب عزيز بإعزاز الله إياه، وحفظه من كل من أراد له تبديلًا أو تحريفًا، أو تغييرًا، من إنسي وجني وشيطان مارد.

وقوله: (لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ) اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم: معناه: لا يأتيه النكير من بين يديه ولا من خلفه.

وقال آخرون: معنى ذلك: لا يستطيع الشيطان أن ينقص منه حقًّا، ولا

يزيد فيه باطلًا قالوا: والباطل هو الشيطان.

وقوله: ﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾ من قبل الحق ﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ﴾ من قبل الباطل.

وأورد الطبري بإسناد حسن:

عن قتادة: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ﴾ الباطل: إبليس لا يستطيع أن ينقص منه حقًّا، ولا يزيد فيه باطلًا.

قال: وقال آخرون: معناه: إن الباطل لا يطيق أن يزيد فيه شيئًا من الحروف ولا ينقص منه شيئًا منها.

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: معناه: لا يستطيع ذو باطل بكيده تغييره بكيده، وتبديل شيء من معانيه عما هو به، وذلك هو الإتيان من بين يديه، ولا إلحاق ما ليس منه فيه، وذلك إتيانه من خلفه.

وقوله: ﴿تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ يقول تعالى ذكره: هو تنزيل من عند ذي حكمة بتدبير عباده، وصرفهم فيما فيه مصالحهم، ﴿حَمِيدٖ﴾ يقول: محمود على نعمه عليهم بأياديه عندهم.

وقال الحافظ ابن كثير $:

﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١﴾ أي: منيع الجناب، لا يرام أن يأتي أحد بمثله، ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ﴾ أي: ليس للبطلان إليه سبيل؛ لأنه منزل من رب العالمين؛ ولهذا قال: ﴿تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ أي: حكيم في أقواله وأفعاله، حميد بمعنى محمود، أي: في جميع ما يأمر به وينهى عنه الجميع محمودة عواقبه وغاياته.

وقال القرطبي $:

(٤٥٥) أحمر
أسود

(وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١) أي: عزيز على الله، قاله ابن عباس، وعنه: عزيز من عند الله. وقيل: كريم على الله. وقيل: (عَزِيزٞ) أي: أعزه الله فلا يتطرق إليه باطل. وقيل: ينبغي أن يعز ويجل وألا يلغى فيه. وقيل: (عَزِيزٞ) من الشيطان أن يبدله، قاله السدي. مقاتل: منع من الشيطان والباطل. السدي: غير مخلوق فلا مثل له. وقال ابن عباس أيضًا: (عَزِيزٞ) أي: ممتنع عن الناس أن يقولوا مثله. (لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ) أي: لا يكذبه شيء مما أنزل الله من قبل ولا ينزل من بعده يبطله وينسخه، قال الكلبي. وقال السدي وقتادة: (لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ) يعني: الشيطان (مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ) لا يستطيع أن يغير ولا يزيد ولا ينقص. وقال سعيد بن جبير: لا يأتيه التكذيب (مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ). ابن جريج: (لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ) فيما أخبر عما مضى ولا فيما أخبر عما يكون. وعن ابن عباس: (مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ) من الله تعالى: (وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ) يريد من جبريل ، ولا من محمد . (تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢) ابن عباس: (حَكِيمٍ) في خلقه (حَمِيدٖ) إليهم. قتادة: (حَكِيمٍ) في أمره (حَمِيدٖ) إلى خلقه.

❀ ❀ ❀

س: اذكر جواب قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١)؟

ج: أجاب على ذلك الطبري بقوله:

واختلف أهل العربية في موضع تمام قوله: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ) فقال بعضهم: تمامه: (أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٤٤) وجعل قائلو هذا القول خبر (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ) (أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ

﴿٤٤﴾؛ وقال بعض نحويي البصرة: يجوز ذلك ويجوز أن يكون على الأخبار التي في القرآن يستغنى بها، كما استغنت أشياء عن الخبر إذا طال الكلام، وعرف المعنى، نحو قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الرعد: ٣١]. وما أشبه ذلك.

قال: وحدثني شيخ من أهل العلم، قال: سمعت عيسى بن عمر يسأل عمرو بن عبيد ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ أين خبره؟ فقال عمرو:

معناه في التفسير: إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾ فقال عيسى: أجدت يا أبا عثمان.

وكان بعض نحويي الكوفة يقول: إن شئت جعلت جواب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ وإن شئت كان جوابه في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾، فيكون جوابه معلومًا، فترك فيكون أعرب الوجهين وأشبهه بما جاء في القرآن.

وقال آخرون: بل ذلك مما انصرف عن الخبر عما ابتدئ به إلى الخبر عن الذي بعده من الذكر؛ فعلى هذا القول ترك الخبر عن الذين كفروا بالذكر، وجعل الخبر عن الذكر فتمامه على هذا القول؛ وإنه لكتاب عزيز؛ فكان معنى الكلام عند قائل هذا القول: إن الذكر الذي كفر به هؤلاء المشركون لما جاءهم، وإنه لكتاب عزيز، وشبهه بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: هو مما ترك خبره اكتفاء بمعرفة السامعين بمعناه لما تطاول الكلام.

(٤٥٧) أحمر
أسود

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ما يقول لك أهل الشرك والتكذيب إلا كما قال أمثالهم لرسل الله الكرام الذين أرسلوا إليهم، فإن قالوا عنك ساحر فقد قال أسلافهم لرسلهم مثل ذلك، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الذاريات: ٥٢]، أي: فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل، فإن ربك لذو مغفرة لك ولأصحابك ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ مؤلمٌ موجه لمن كذبوك وعاندوك.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ما يقول لك هؤلاء المشركون المكذّبون ما جئتهم به من عند ربك إلا ما قد قاله من قبلهم من الأمم الذين كانوا من قبلك، يقول له: فاصبر على ما نالك من أذى منهم، كما صبر أولو العزم من الرسل، ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨].

وأورد بإسناد حسن:

عن قتادة: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ﴾ يعزي نبيّه ﷺ كما تسمعون، يقول: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾. [الذاريات: ٥٢]

قال الطبري:

وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ﴾ يقول: إن ربك لذو مغفرة لذنوب التائبين إليه من ذنوبهم بالصفح عنهم ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ يقول: وهو ذو عقاب مؤلم لمن أصر على كفره وذنوبه، فمات على

الإصرار على ذلك قبل التوبة.

وقال الحافظ ابن كثير $:

ثـم قـال: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ ﴾ قـال قتـادة، والسـدي، وغيرهما: ما يقال لك من التكذيب إلا كما قد قيل للرسل من قبلك، فكما قد كذبت فقد كذبوا، وكما صبروا على أذى قومهم لهم، فاصبر أنت على أذى قومك لك. وهذا اختيار ابن جرير، ولم يحك هو، ولا ابن أبي حاتم غيره.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ ﴾ أي: لمن تـاب إليه ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ٤٣﴾ أي: لمن استمر على كفره، وطغيانه، وعناده، وشقاقه ومخالفته.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ ﴾ أي: من الأذى والتكذيب ﴿إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ ﴾ يعزي نبيه ويسليه ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ ﴾ لـك ولأصـحابك ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ٤٣﴾ يريد لأعدائك وجيعًا.

وقيل: أي ما يقال لك من إخلاص العبادة لله إلا ما قد أوحى إلى من قبلك، ولا خلاف بين الشرائع فيما يتعلق بالتوحيد وهو كقوله: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر: ٦٥] أي: لم تدعهم إلا إلى ما تدعو إليه جميع الانبياء فلا معنى لإنكارهم عليك.

قال السعدي $:

أي: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ ﴾ أيها الرسول من الأقوال الصادرة، ممن كذبك وعاندك ﴿إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ ﴾ أي: من جنسها، بل ربما إنهم تكلموا بكلام واحد، كتعجب جميع الأمم المكذبة للرسل، من دعوتهم إلى الإخلاص لله وعبادته وحده لا شريك له، وردهم هذا بكل طريق يقدرون

(٤٥٩) أحمر
أسود

عليه، وقولهم: (مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا).

واقتراحهم على رسلهم الآيات، التي لا يلزمهم الإتيان بها، ونحو ذلك من أقوال أهل التكذيب، لما تشابهت قلوبهم في الكفر، تشابهت أقوالهم، وصبر الرسل عليهم السلام على أذاهم وتكذيبهم، فاصبر كما صبر من قبلك.

ثم دعاهم إلى التوبة والإتيان بأسباب المغفرة، وحذرهم من الاستمرار على الغيّ فقال: (إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ) أي: عظيمة، يمحو بها كل ذنب لمن أقلع وتاب (وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴿٤٣﴾) لمن: أصر واستكبر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ).

ج: المعنى-والله تعالى أعلم-: ولو جعلنا هذا القرآن غير عربي لقال أهل الشرك: لولا بُيِّنت آياته ووضحت آياته؛ كيف يكون القرآن أعجمي والرسول عربي؟ فأنزلناه عربيًّا حتى يتلوه عليهم النبي العربي باللسان العربي فيفهمون المراد كما قال تعالى: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ).

[إبراهيم: ٤]

قال تعالى: (قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ) هداية وبيان للطريق وشفاء لما في صدورهم وكذا شفاء لأبدانهم، أما الذين لا يؤمنون به فهم يزدادون به ضلالًا إلى ضلالهم بما يحدثونه من تكذيب لهذا القرآن،

(٤٦٠) أحمر
أسود

ويزدادون عمًى إلى ما هم فيه من العمى كما قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ولو جعلنا هذا القرآن الذي أنزلناه يا محمد أعجميًّا لقال قومك من قريش: ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ يعني: هلا بينت أدلته وما فيه من آية، فنفقهه ونعلم ما هو وما فيه، أأعجميّ، يعني: أنهم كانوا يقولون إنكارا له: أأعجميّ هذا القرآن ولسان الذي أنزل عليه عربي؟

وأورد بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير أنه قال في هذه الآية: ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ قال: لو كان هذا القران أعجميًّا لقالوا: القرآن أعجميّ، ومحمد عربيّ.

وقوله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهم: هو، ويعني بقوله: ﴿هُوَ﴾ القرآن ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله ورسوله، وصدقوا بما جاءهم به من عند ربهم ﴿هُدًى﴾ يعني: بيان للحق ﴿هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ يعني: أنه شفاء من الجهل.

وقال الطبري $:

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ﴾ يقول تعالى

ذكره: والذين لا يؤمنون بالله ورسوله، وما جاءهم به من عند الله في آذانهم ثقل عن استماع هذا القرآن، وصمم لا يستمعونه ولكنهم يعرضون عنه، ﴿وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًى﴾ يقول: وهذا القرآن على قلوب هؤلاء المكذّبين به عمى عنه، فلا يبصرون حججه عليهم، وما فيه من مواعظه.

وقال ابن كثير $:

لما ذكر تعالى القرآن وفصاحته وبلاغته، وإحكامه في لفظه ومعناه، ومع هذا لم يؤمن به المشركون، نبه على أن كفرهم به كفر عناد وتعنت، كما قال: ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ١٩٨ فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ١٩٩﴾ [الشعراء: ١٩٨، ١٩٩]. وكذلك لو أنزل القرآن كله بلغة العجم، لقالوا على وجه التعنت والعناد: ﴿لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ﴾ أي: لقالوا: هلا أنزل مفصلا بلغة العرب، ولأنكروا ذلك وقالوا: أعجمي وعربي؟ أي: كيف ينزل كلام أعجمي على مخاطب عربي لا يفهمه.

هكذا رُوي هذا المعنى عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والسدي، وغيرهم.

وقيل: المراد بقولهم: ﴿لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ﴾ أي: هلا أنزل بعضها بالأعجمي، وبعضها بالعربي.

هذا قول الحسن البصري، وكان يقرؤها كذلك بلا استفهام في قوله ﴿ءَا۬عۡجَمِيّٞ﴾ وهو رواية عن سعيد بن جبير وهو في العناد أبلغ.

ثم قال تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ﴾ أي: قل يا محمد: هذا القرآن لمن آمن به هدى لقلبه وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب، ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ﴾ أي: لا يفهمون ما فيه، ﴿وَهُوَ

(٤٦٢) أحمر
أسود

عَلَيْهِمْ عَمًى) أي: لا يهتدون إلى ما فيه من البيان كما قال تعالى: (وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾) [الإسراء: ٨٢].

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: (أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾).

ج: قال بعض أهل العلم: إن المراد من ذلك أنهم في الدنيا إذا دُعوا إلى الإيمان والقرآن لا يفهمون كالشخص الذي يناديه شخصٌ من مكان بعيد فهو يسمع كلامه ولا يفهم ما يقول. وبنحو هذا قال أهل التأويل.

قال الطبري $:

وقوله: (أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾) اختلف أهل التأويل في معناه، فقال بعضهم: معنى ذلك: تشبيه من الله جلّ ثناؤه، لعمى قلوبهم عن فهم ما أنزل في القرآن من حججه ومواعظه ببعيد، فهم كسامع صوت من بعيد نودي، فلم يفهم ما نودي، كقول العرب للرجل القليل الفهم: إنك لتنادى من بعيد، وكقولهم للفهم: إنك لتأخذ الأمور من قريب.

وقال ابن كثير $:

(أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾) قال مجاهد: يعني بعيد من قلوبهم.

قال ابن جرير: معناه: كأن من يخاطبهم يناديهم من مكان بعيد، لا يفهمون ما يقول.

قلت: وهذا كقوله تعالى: (وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾) [البقرة: ١٧١].

وقال الضحاك: ينادون يوم القيامة بأشنع أسمائهم.

وقال السدي: كان عمر بن الخطاب جالسًا عند رجل من المسلمين يقضي، إذ قال: يا لبَّيكاه. فقال عمر: لِمَ تلبي؟ هل رأيت أحدًا، أو دعاك أحد؟ قال: دعاني داعٍ من وراء البحر. فقال عمر: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴾. رواه ابن أبي حاتم.

قال السعدي $:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴾ أي: ينادون إلى الإيمان، ويدعون إليه فلا يستجيبون. بمنزلة الذي ينادي، وهو في مكان بعيد، لا يسمع داعيًا ولا يجيب مناديًا.

❀ ❀ ❀

س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۗ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴾.

ج: هذه تسليةٌ لرسول الله وتصبيرٌ له وتثبيت وتذكيرٌ بنبي الله الكريم موسى ، ومعنى الآية الكريمة: ولقد آتينا رسولنا موسى غ التوراة كما آتيناك الفرقان يا رسول الله، فلما آتينا موسى التوراة كذب بها أقوام وآمن بها آخرون، وأقبل البعض على العمل بها وأعرض عنها آخرون، ولولا أن الله ٥ قضى أنهم يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة لعوجلوا بالعقوبة في الدنيا ﴿وَإِنَّهُمۡ﴾ أي: وإن المبطلين المكذبين بالتوراة لفي ريبة شديدة وشك شديد من هذه التوراة ومن كونها من عند الله ٥ ويُهتدى بها.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ يا محمد، يعني التوراة، كما آتيناك الفرقان، ﴿فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۗ ﴾ يقول: فاختلف في العمل بما فيه الذين أوتوه من اليهود ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ ﴾ يقول: ولولا ما سبق من قضاء الله وحكمه فيهم أنه أخَّر عذابهم إلى يوم القيامة لقضي بينهم. يقول: لعجل الفصل بينهم فيما اختلفوا فيه بإهلاكه المبطلين منهم.

وقوله: ﴿وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿٤٥﴾ ﴾ يقول: وإن الفريق المبطل منهم لفي شكّ مما قالوا فيه ﴿مُرِيبٖ﴾ يقول: يريبهم قولهم فيه ما قالوا؛ لأنهم قالوا بغير ثبت، وإنما قالوه ظنًّا.

وقال ابن كثير $:

وقوله: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۗ ﴾ أي: كُذِّب وأوذي، ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ **[الأحقاف: ٣٥]**. ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ﴾ **[الشورى: ١٤]** بتأخير الحساب إلى يوم المعاد، ﴿لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ ﴾ أي: لعجل لهم العذاب، بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلًا ﴿وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿٤٥﴾ ﴾ أي: وما كان تكذيبهم له عن بصيرة منهم لما قالوا، بل كانوا شاكين فيما قالوا، غير محققين لشيء كانوا فيه. هكذا وجهه ابن جرير، وهو محتمل، والله أعلم.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ ﴾يعني: التوراة ﴿فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۗ ﴾ أي: آمن به قوم وكذب به قوم. والكناية ترجع إلى الكتاب، وتسلية للنبي □، أي: لا يحزنك اختلاف قومك في كتابك، فقد اختلف من قبلهم في كتابهم. وقيل: الكناية ترجع إلى موسى. ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ ﴾ أي: في

إمهالهم. ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بتعجيل العذاب. ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من القرآن ﴿مُرِيبٍ﴾ أي: شديد الريبة. لأتاهم العذاب كما فعل بغيرهم من الأمم. وقيل: تأخير العذاب لما يخرج من أصلابهم من المؤمنين.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم- من عمل بما أمره الله به وأمره به رسول الله ﷺ من الصالحات فعائدة ذلك على نفسه، فيثاب على ذلك، ومن عمل سيئًا، فخالف الكتاب العزيز والسنة المباركة فعائدة ذلك أيضًا راجعة على نفسه وما ربك بمُبخس لعباده حقوقهم.

وهذا كما في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوفِيكم إِيَّاهَا فَمَن وَجدَ خَيرًا فَلْيَحْمَدِ الله، وَمَنْ وَجَدَ غَيرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَه**»(١).

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: من عمل بطاعة الله في هذه الدنيا، فائتمر لأمره، وانتهى عما نهاه عنه ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ يقول: فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل، لأنه يجازى عليه جزاءه، فيستوجب في المعاد من الله الجنة، والنجاة من النار. ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ يقول: ومن عمل بمعاصي الله فيها، فعلى نفسه جنى، لأنه أكسبها بذلك سخط الله، والعقاب الأليم. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وما ربك يا محمد بحامل عقوبة ذنب

(١) مسلم (٢٥٧٧).

مذنب على غير مكتسبه، بل لا يعاقب أحدًا إلا على جرمه الذي اكتسبه في الدنيا، أو على سبب استحقه به منه، والله أعلم.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ أي: إنما يعود نفع ذلك على نفسه، ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ أي: إنما يرجع وبال ذلك عليه، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ أي: لا يعاقب أحدًا إلا بذنب، ولا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه، وإرسال الرسول إليه.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ شرط وجوابه وكذا ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾. والله جل وعز مستغنٍ عن طاعة العباد، فمن أطاع فالثواب له، ومن أساء فالعقاب عليه. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ نفى الظلم عن نفسه جل وعز قليله وكثيره، وإذا انتفت المبالغة انتفى غيرها، دليله قوله الحق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٤٤] وروى العدول الثقات، والأئمة الأثبات، عن الزاهد العدل، عن أمين الأرض، عن أمين السماء، عن الرب ۴: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا**» الحديث.

وأيضًا فهو الحكيم المالك، وما يفعله المالك في ملكه لا اعتراض عليه، إذ له التصرف في ملكه بما يريد.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ الظلَّام كثير الظلم، فكيف يوجَّه ما قد يفهم من أن الآية لم تنف كل الظلم عن الله ۵؟

ج: الجواب من وجوه

أحدها: أن الله ۵ نفى عن نفسه الظلم كله في مواطن أُخر، قليله وكثيره.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾.

الثاني: لعل الإخبار بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾ أمام قول من قال: إن الله لا يظلم الخلق، وقالوا: من ثمَّ ولكثرة الخلق فإن الظلم يكثر فنفى الله ۵ ما قالوه.

وقد أجاب الشنقيطي على مثل هذا السؤال- بعد أن طرحه – بشيء من التفصيل، فقال $:

وفي هذه الآيات سؤال معروف ، وهو أن لفظة ظلام فيها صيغة مبالغة .

ومعلوم أن نفي المبالغة ، لا يستلزم نفي الفعل من أصله .

فقولك مثلًا: زيد ليس بقتال للرجال لا ينفي إلا مبالغته في قتلهم ، فلا ينافي أنه ربما قتل بعض الرجال .

ومعلوم أن المراد بنفي المبالغة ، في الآيات المذكورة هو نفي الظلم من أصله .

والجواب عن هذا الإشكال من أربعة أوجه :

الأول : أن نفي صيغة المبالغة في الآيات المذكورة ، قد بينت آيات كثيرة ، أن المراد به نفي الظلم من أصله .

ونفي صيغة المبالغة ، إذا دلت أدلة منفصلة على أن يراد به نفي أصل الفعل ، فلا إشكال لقيام الدليل على المراد .

والآيات الدالة على ذلك كثيرة معروفة ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ

مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا) [النساء : ٤٠] الآية . وقوله تعالى : (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾) [يونس : ٤٤] . وقوله تعالى : (وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾) [الكهف : ٤٩] وقوله تعالى : (وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ) [الأنبياء : ٤٧] الآية . إلى غير ذلك من الآيات كما قدمنا إيضاحه في سورة الكهف والأنبياء .

الوجه الثاني: أن الله جل وعلا نفى ظلمه للعبيد ، والعبيد في غاية الكثرة .

والظلم المنفي عنهم تستلزم كثرتهم كثرته ، فناسب ذلك الإتيان بصيغة المبالغة للدلالة على كثرة المنفي التابعة لكثرة العبيد ، المنفي عنهم الظلم ، إذ لو وقع على كل عبد ظلم ولو قليلًا ، كان مجموع ذلك الظلم في غاية الكثرة ، كما ترى .

وبذلك تعلم اتجاه التعبير بصيغة المبالغة ، وأن المراد بذلك نفي أصل الظلم ، عن كل عبد من أولئك العبيد ، الذين هم في غاية الكثرة ، سبحانه وتعالى عن أن يظلم أحدًا شيئًا ، كما بينته الآيات القرآنية المذكورة .

وفي الحديث: « **يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي** » الحديث .

الوجه الثالث: أن المسوغ لصيغة المبالغة، أن عذابه تعالى بالغ من العظم والشدة، أنه لولا استحقاق المعذبين لذلك العذاب بكفرهم، ومعاصيهم لكان معذبهم به ظلامًا بليغ الظلم متفاقمه ، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا .

وهذا الوجه والذي قبله أشار لهما الزمخشري ع سورة الأنفال .

الوجه الرابع : ما ذكره بعض علماء العربية وبعض المفسرين ، من

أن المراد بالنفي في قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ نفي نسبة الظلم إليه ، لأن صيغة فعال تستعمل مرادًا بها النسبة فتغني عن ياء النسب كما أشار له في الخلاصة بقوله :

ومع فاعل وفعَّال فَعِلْ في نَسَب أغنى عَنِ اليا فقبِلْ

ومعنى البيت المذكور ، أن الصيغ الثلاثة المذكورة فيه التي هي فاعل كظالم وفعَّال كظلَّام ، وفعِل كفرح ، كل منها قد تستعمل مرادًا بها النسبة ، فيستغنى بها عن ياء النسب ، ومثاله في فاعل قول الحطيئة في هجوه الزبرقان ابن بدر التميمي :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فالمراد بقوله: الطاعم الكاسي النسبة ، أي ذو طعام وكسوة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم- أن أهل العلم والأنبياء وغيرهم من أهل الإيمان،بل والملائكة إذا سُئلوا عن يوم القيامة وموعده لم يعلموا ما وعده بل يردون العلم بذلك إلى الله كما قال رسول الله ﷺ لما سئل عن الساعة: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»، وكذا فإن الله ۵ يعلم من تخرج الثمار من أوعيتها وأغلفتها ويعلم متى تحمل النسوة ومن يضعن، فاذكر يوم القيامة وما فيه يوم ينادى الله العباد قائلًا: «أين شركاءي الذين كنتم تعبدونهم من دوني، قال المشركون: ﴿ءَاذَنَّٰكَ﴾ أعلمناك يا ربنا – وأنت

(٤٧٠) أحمر
أسود

أعلم – وأخبرناك أنه ما منا من أحدٍ يشهد أن لك شريكًا.

وقال بعض أهل العلم: إن قوله: (قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ) قالته الأصنام، فالله أعلم.

هذا، والأظهر أن قائل ذلك هم المشركون لأن السياق في شأنهم.

وقولـه تعـالى: (وَضَلَّ عَنۡهُم) أي: غـاب عـن أهـل الشـرك مـا كـانوا يعبدون من الأصنام والأوثان، وحينئذٍ تيقن أهل الشرك أنه لا مهرب لهم ولا مفر من دخول النار، عياذًا بالله.

وبنحو هذا قال أهل التأويل:

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: إلى الله يرد العالمون به علم الساعة، فإنه لا يعلم متى قيامها غيره. (وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا) يقول: وما تظهر من ثمرة شجرة من أكمامها التي هي متغيبة فيها، فتخرج منها بارزة.

(وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ) يقول: وما تحمل من أنثى من حمل حين تحمله، ولا تضع ولدها إلا بعلم من الله، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

وقوله: (وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي) يقول تعالى ذكره: ويوم ينادي الله هؤلاء المشركين به في الدنيا الأوثان والأصنام: أين شركائي الذين كنتم تشركونهم في عبادتكم إياي؟. (قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ) يقول: أعلمناك (مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ﴿٤٧﴾) يقول: قال هؤلاء المشركون لربهم يومئذ: ما منا من شهيد يشهد أن لك شريكًا.

وقال:

في تأويل قوله تعالى: (وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ﴿٤٩﴾)

يقول تعالى ذكره: وضلّ عن هؤلاء المشركين يوم القيامة آلهتهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا، فأخذ بها طريق غير طريقهم، فلم تنفعهم، ولم تدفع عنهم شيئا من عذاب الله الذي حلّ بهم.

وقوله: ﴿وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ۝٤٨﴾ يقول: وأيقنوا حينئذ ما لهم من ملجأ: أي ليس لهم ملجأ يلجئون إليه من عذاب الله.

وقال ابن كثير $:

ثم قال: ﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: لا يعلم ذلك أحد سواه، كما قال □، وهو سيد البشر لجبريل وهو من سادات الملائكة ـحين سأله عن الساعة، فقال: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**»، وكما قال تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ۝٤٤﴾ [النازعات: ٤٤]، وقال: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقوله: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ أي: الجميع بعلمه، لا يعزب عن علمه من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. وقد قال تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال جلت عظمته: ﴿يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ۝٨﴾ [الرعد: ٨]، وقال: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝١١﴾ [فاطر: ١١].

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ أي: يوم القيامة ينادي الله المشركين على رءوس الخلائق: أين شركائي الذين عبدتموهم معي؟ ﴿قَالُوا آذَنَّاكَ﴾ أي: أعلمناك، ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ۝٤٧﴾ أي: ليس أحد منا اليوم يشهد أن معك شريكا، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ﴾ أي: ذهبوا فلم ينفعوهم، ﴿وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ۝٤٨﴾ أي: وظن المشركون يوم القيامة، وهذا بمعنى اليقين،

(٤٧٢) أحمر
أسود

(مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾) أي: لا محيد لهم عن عذاب الله، كقوله تعالى: (وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾) [الكهف: ٥٣].

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ) أي حين وقتها.

وذلك أنهم قالوا: يا محمد إن كنت نبيًّا فخبرنا متى قيام الساعة فنزلت:

(**وما تخرج من ثمرة**) «من» زائدة أي وما تخرج ثمرة.

(مِّنْ أَكْمَامِهَا) أي: من أوعيتها، فالأكمام أوعية الثمرة، واحدها كمة وهي كل ظرف لمال أو غيره، ولذلك سمي قشر الطلع أعني كفراه الذي ينشق عن الثمرة كمة، قال ابن عباس: الكمة الكفرى قبل أن تنشق، فإذا انشقت فليست بكمة.

وسيأتي لهذا مزيد بيان في سورة «الرحمن».

وقرأ نافع وابن عامر وحفص (مِن ثَمَرَٰتٍ) على الجمع.

الباقون «ثمرة» على التوحيد والمراد الجمع، لقوله: (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ) والمراد الجمع، يقول: (۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ) كما يرد إليه علم الثمار والنتاج.

(وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ) أي: ينادي الله المشركين (أَيْنَ شُرَكَآءِى) الذين زعمتم في الدنيا أنها آلهة تشفع. (قَالُوٓاْ) يعني الأصنام. وقيل: المشركون.

ويحتمل أن يريدهم جميعا العابد والمعبود (ءَاذَنَّٰكَ) أسمعناك وأعلمناك.

يقال:

آذن يؤذن: إذا أعلم، قال:

﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ۝٤٧﴾ أي: نعلمك ما منا أحد يشهد بأن لك شريكًا.

لما عاينوا القيامة تبرءوا من الأصنام وتبرأت الأصنام منهم كما تقدم في غير موضع.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ أي بطل عنهم ﴿مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿وَظَنُّوا۟﴾ أي: أيقنوا وعلموا ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ۝٤٨﴾ أي فرار عن النار.

و«ما» هنا حرف وليس باسم، فلذلك لم يعمل فيه الظن وجعل الفعل ملغى، تقديره: وظنوا أنهم مالهم محيص ولا مهرب.

يقال: حاص يحيص.

حيصا ومحيصا إذا هرب.

وقيل: إن الظن هنا الذي هو أغلب الرأي، لا يشكون في أنهم أصحاب النار ولكن يطمعون أن يخرجوا منها.

وليس يبعد أن يكون لهم ظن ورجاء إلى أن يؤيسوا.

قال السعدي $ في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ۝٤٧﴾ أي: أعلمناك يا ربنا، واشهد علينا أنه ما منا أحد يشهد بصحة إلهيتهم وشركتهم، فكلنا الآن رجعنا إلى بطلان عبادتها، وتبرأنا منها، ولهذا قال: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ﴾ من دون الله، أي: ذهبت عقائدهم وأعمالهم، التي أفنوا فيها أعمارهم على عبادة غير الله، وظنوا أنها تفيدهم، وتدفع عنهم العذاب، وتشفع لهم عند الله، فخاب سعيهم، وانتقض ظنهم، ولم تغن عنهم شركاؤهم شيئًا ﴿وَظَنُّوا۟﴾ أي: أيقنوا في تلك الحال ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ۝٤٨﴾ أي: منقذ ينقذهم، ولا مغيث، ولا ملجأ،

فهذه عاقبة من أشرك بالله غيره، بينها الله لعباده، ليحذروا الشرك به.

وقال الشنقيطي $:

قوله تعالى : (وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾).

الظن هنا بمعنى اليقين ، لأن الكفار يوم القيامة إذا عاينوا العذاب ، وشاهدوا الحقائق ، علموا في ذلك الوقت أنهم ليس لهم من محيص ، أي ليس لهم مفر ولا ملجأ .

والظاهر أن المحيص مصدر ميمي ، من حاص يحيص بمعنى حاد وعدل وهرب .

وما ذكرنا من أن الظن في هذه الآية الكريمة بمعنى اليقين والعلم ، هو التحقيق إن شاء الله ، لأن يوم القيامة تنكشف فيه الحقائق ، فيحصل للكفار العلم بها لا يخالجهم في ذلك شكٌّ ، كما قال تعالى عنهم ، إنهم يقولون يوم القيامة (رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾) [السجدة : ١٢]. وقال تعالى : (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا) [مريم : ٣٨]. وقال تعالى : (فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾) [ق : ٢٢]. وقال تعالى : (وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ) [الأنعام : ٣٠] وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة النمل في الكلام على قوله تعالى: (بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ) [النمل : ٦٦] الآية .

ومعلوم أن الظن يطلق في لغة العرب ، التي نزل بها القرآن على معنيين :

أحدهما : الشك كقوله: (إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ) [يونس : ٣٦] ، وقوله تعالى عن الكفار : (إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾) [الجاثية: ٣٢] .

(٤٧٥) أحمر
أسود

والثاني : هو إطلاق الظن مرادًا به العلم واليقين ، ومنه قوله تعالى هنا : ﴿وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٤٨﴾﴾ [فصلت : ٤٨] أي أيقنوا ، أنهم ليس لهم يوم القيامة محيص ، أي لا مفر ولا مهرب لهم من عذاب ربهم ، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى : ﴿ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾ [الكهف : ٥٣] أي أيقنوا ذلك وعلموه ، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة : ٤٦] وقوله تعالى : ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] وقوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحاقة: ١٩، ٢٠]، فالظن في الآيات المذكورة كلها بمعنى اليقين .

ونظير ذلك من كلام العرب قول دريد بن الصمة :

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد

وقول عميرة بن طارق :

بأن تفتروا قومي وأقعد فيكم وأجعل مني الظن غيبًا مرجما

والظن في البيتين المذكورين بمعنى اليقين ، والفعل القلبي في الآية المذكورة التي هي قوله : ﴿وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٤٨﴾﴾ [فصلت : ٤٨] معلق عن العمل في المفعولين بسبب النفي بلفظة ما في قوله : ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٤٨﴾﴾ كما أشار له في الخلاصة بقوله :

***والتزم التعليق قبل نفي « ما » ***

(٤٧٦) أحمر
أسود

قال الله تعالى:

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ
﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ
أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ
فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ
﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو
دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ
كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ
ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ
بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ
أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾

[فصلت: ٤٩-٥٤]

(٤٧٨) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(لَّا يَسْـَٔمُ - دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ - مَّسَّهُ - ٱلشَّرُّ - فَيَـُٔوسٌ - قَنُوطٌ - أَذَقْنَٰهُ - رَحْمَةً - ضَرَّآءَ - قَآئِمَةً - لَلْحُسْنَىٰ - فَلَنُنَبِّئَنَّ - غَلِيظٍ - أَعْرَضَ - وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ - دُعَآءٍ عَرِيضٍ - شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ - ءَايَٰتِنَا - ٱلْءَافَاقِ - يَتَبَيَّنَ - مِرْيَةٍ - بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ)؟

ج:

الكلمة	معناها
(لَّا يَسْـَٔمُ)	لا يمل – لا يتعب
(دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ)	دعاء ربه بسعة الرزق والعافية- سؤال ربه المال والصحة
(مَّسَّهُ)	أصابه
(ٱلشَّرُّ)	الفقر أو المرض
(فَيَـُٔوسٌ)	يؤوس من رحمة الله – ويؤوس من إجابة الدعاء – يظن أنه لن يستجاب له دعاء
(قَنُوطٌ)	يظن أن ما به لن يكشف ولن يزول ويظن أنه سيدوم
(أَذَقْنَٰهُ)	أنعمنا عليه – تفضلنا عليه
(رَحْمَةً)	سعة في الرزق وعافية في البدن ووجاهة وسلطانا
(ضَرَّآءَ)	بلاء – قلة مال وشدة مرض
(قَآئِمَةً)	آتية – واقعة
(لَلْحُسْنَىٰ)	للجنة – لسعة في الرزق وعافية في البدن ووجاهة وسلطانا
(فَلَنُنَبِّئَنَّ)	فلنخبرن
(غَلِيظٍ)	شديد

(أَعۡرَضَ)	انصرف عن طاعة ربه
(وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ)	تباعد وصدَّ بوجهه
(دُعَآءٍ عَرِيضٍ)	دعاء كثير
(شِقَاقِۭ بَعِيدٍ)	فراق للحق بعيد، وأصله أن يكون الشخص في شق، واتجاه والحق في شق واتجاه آخر
(ءَايَٰتِنَا)	حججنا والدلائل على وحدانيتنا
(ٱلۡأٓفَاقِ)	نواحي السموات والأرض وأقطار السموات والأرض
(يَتَبَيَّنَ)	يظهر
(مِرۡيَةٍ)	شك وريب
(بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ)	عالم بكل شيء وقادر على كل شيء

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ﴿٤٩﴾).

ج: لا يمل الإنسان ولا يتعب من سؤال ربه ﷻ السعة في الأرزاق والعافية في البدن والعز والسلطان وإن أصيب بشيء من الفقر، أو شيءٍ من المرض أو فقدان المنصب والجاه يظن أن ما به لن ينكشف أبدًا وحينئذٍ ييأس من روح الله، ويقنط من رحمته. فحاله إذا أصيب بالفقر والمرض أنه يؤوس من زوال البلاء قنوط يظن أن ما به لن يزول، هذا، وقد قال بعض أهل العلم أن المراد بالإنسان هنا الكافر والله أعلم.

قال الطبري ؒ:

(٤٨٠) أحمر
أسود

وقوله: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ يقول تعالى ذكره: لا يمل الكافر بالله من دعاء الخير، يعني من دعائه بالخير، ومسألته إياه ربه. والخير في هذا الموضع: المال وصحة الجسم، يقول: لا يملّ من طلب ذلك. ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ يقول: وإن ناله ضرّ في نفسه من سُقم أو جهد في معيشته، أو احتباس من رزقه ﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ يقول: فإنه ذو يأس من روح الله وفرجه، قنوط من رحمته، ومن أن يكشف ذلك الشرّ النازل به عنه.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: لا يمل الإنسان من دعائه ربه بالخير – وهو: المال، وصحة الجسم، وغير ذلك، ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾، وهو: البلاء أو الفقر ﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ أي: يقع في ذهنه أنه لا يتهيأ له بعد هذا خير.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾.

ج: هذا حال الإنسان الكافر والعياذ بالله لئن بدل الله ٥ حاله وكشف ما به من ضرٍّ وأبدله مكان الفقر والقلة سعةً وغنى، ومكان المرض والبلاء صحة وعافية، ورفعه بعد أن كان ذليلًا وأعزّه (في الدنيا) بعد أن كان وضيعًا إذا به يتعالى على ربه ويتعاظم على الخلق فيقول: إنني حقيق وجدير بأن يحدث لي مثل هذا فأنا أستحقه بجدارةٍ وقد أوتيته بعلمي وبفهمي، ويتمادى في ضلاله فيقول: وما أعتقد أن القيامة ستقوم، فلا بعث ولا نشور، وعلى فرض أنه سيكون هناك بعث ونشور، ورجعنا يوم

(٤٨١) أحمر
أسود

القيامة أحياءً فالذي أكرمني في الدنيا سيكرمني في الآخرة بالمال وسعة الرزق والعافية والجنة.

يقول تعالى متوعدًا هذا الذي هذه حاله، بقوله: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٥٠﴾ أي: فلنخبرنهم يوم القيامة بما عملوه في دنياهم ولندخلنهم عذابًا شديدًا، وهو جهنم والعياذ بالله وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: ولئن نحن كشفنا عن هذا الكافر ما أصابه من سقم في نفسه وضرّ، وشدّة في معيشته وجهد، رحمة منا، فوهبنا له العافية في نفسه بعد السقم، ورزقناه مالا فوسعنا عليه في معيشته من بعد الجهد والضرّ. ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ عند الله، لأن الله راض عني برضاه عملي، وما أنا عليه مقيم.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ يقول: وما أحسب القيامة قائمة يوم تقوم. يقول: وإن قامت أيضا القيامة، ورددت إلى الله حيا بعد مماتي. يقول: إن لي عنده غنى ومالا.

﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾ يقول تعالى ذكره: فلنخبرن هؤلاء الكفار بالله، المتمنين عليه الأباطيل يوم يرجعون إليه بما عملوا في الدنيا من المعاصي، واجترحوا من السيئات، ثم لنجازين جميعهم على ذلك جزاءهم.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٥٠﴾ وذلك العذاب الغليظ تخليدهم في نار جهنم، لا يموتون فيها ولا يحيون.

وقال الحافظ ابن كثير $:

(٤٨٢) أحمر
أسود

(وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى) أي: إذا أصابه خير ورزق بعد ما كان في شدة ليقولن: هذا لي، إني كنت أستحقه عند ربي، (وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً) أي: يكفر بقيام الساعة، أي: لأجل أنه خُوِّل نعمة يفخر، ويبطر، ويكفر، كما قال تعالى: (كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧) [العلق: ٦، ٧].

(وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ) أي: ولئن كان ثَمّ معاد فليُحسننّ إلي ربي، كما أحسن إلي في هذه الدار، يتمنى على الله، ۵، بعد إساءته العمل وعدم اليقين. قال تعالى: (فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٠) يتهدد تعالى من كان هذا عمله واعتقاده بالعقاب والنكال.

وقال القرطبي $:

قوله تعالى: (وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا) عاقبة ورخاء وغنى (مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ) ضر وسقم وشدة وفقر. (لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى) أي هذا شئ أستحقه على الله لرضاه بعملي، فيرى النعمة حتما واجب على الله تعالى، ولم يعلم أنه ابتلاه بالنعمة والمحنة، ليتبين شكره وصبره. وقال ابن عباس: (هَٰذَا لِى) أي: هذا من عندي. (وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ) أي: الجنة، واللام للتأكيد. يتمنى الأماني بلا عمل. قال الحسن بن محمد بن علي ابن أبي طالب: للكافر أمنيتان أما في الدنيا فيقول: (وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ)، وأما في الآخرة فيقول: (يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٧) [الأنعام: ٢٧] و(يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ۝٤٠) [النبأ: ٤٠].(فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟) أي: لنجزينهم. قسم أقسم الله عليه. (وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٠) شديد.

(٤٨٣) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾؟

ج: في معناها قول صاحب الجنتين المذكور أمره في سورة الكهف ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف: ٣٦].

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾ [مريم: ٧٧].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، وإذا أنعمنا على الإنسان الكافر بنعمة منا أعرض عن الإيمان وانصرف متباعدًا متنائيًا عن طاعة ربه ﷻ، وإذا أصابه الشر إذا به يدعو دعاءً طويلًا كثيرًا لكشف ما حلّ به من ضرٍّ، فالكافر يعرف ربه في البلاء ولا يعرفه في الرخاء وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري ؒ:

يقول تعالى ذكره: وإذا نحن أنعمنا على الكافر، فكشفنا ما به من ضرّ، ورزقناه غنى وسعة، ووهبنا له صحة جسم وعافية، أعرض عما دعوناه إليه من طاعته، وصدّ عنه ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ يقول: وبعد من إجابتنا إلى ما دعوناه إليه، ويعني بجانبه بناحيته.

وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾ يعني بالعريض: الكثير.

وقال ابن كثير ؒ:

ثم قال: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ أي: أعرض عن الطاعة، واستكبر عن الانقياد لأوامر الله، ٥، كقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ﴾ [الذاريات: ٣٩].

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ أي: الشدة، ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ٥١﴾ أي: يطيل المسألة في الشيء الواحد فالكلام العريض: ما طال لفظه وقل معناه، والوجيز: عكسه، وهو: ما قل ودل. وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ﴾ [يونس: ١٢].

❀ ❀ ❀

س: المال والصحة والعافية كل ذلك يطغى في كثيرٍ من الأحيان دلّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ٥١﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ٨٣﴾ [الإسراء: ٨٣].

وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٢﴾.

ج: المعنى، والله أعلم قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين لك والمعاندين

(٤٨٥) أحمر
أسود

للحق، والمعرضين عن القرآن، أرأيتم يا هؤلاء إن كان هذا القرآن حقًّا، وهو حق بلا ريب – ومن عند الله قد نزل، فكيف ستكون حالكم يوم القيامة وقد تبين لكم صدق ما فيه وتحقق ما فيه من الوعد والوعيد كيف ستكون حالكم؟!

إنها ستكون كما أخبر الله ٥، ستكونون في النار خالدين مخلدين، ثم قال تعالى من أضل ممن هو في شقاق بعيد، من هو أشد ضلالًا ممن هو في شقٍّ بعيد والحق في شق آخر بعيد عنه.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد : (قُلْ) يا محمد للمكذّبين بما جئتهم به من عند ربك من هذا القرآن (أَرَءَيْتُمْ) أيها القوم (إِن كَانَ) هذا الذي تكذبون به (مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ) ألستم في فراق وبعد من الصواب، فجعل مكان التفريق الخبر، فقال: (مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾) إذا كان مفهوما معناه.

وقوله: (مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾) يقول: قل لهم من أشد ذهابا عن قصد السبيل، وأسلك لغير طريق الصواب، ممن هو في فراق لأمر الله وخوف له، بعيد من الرشاد.

وقال ابن كثير $:

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالقرآن: (أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ) هَذَا الْقُرْآنُ (مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ) أي: كيف تُرَون حالكم عند الذي أنزله على رسوله؟ ولهذا قال: (مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾)؟ أي: في كفر وعناد ومشاقة للحق، ومَسْلَك بعيد من الهدى.

(٤٨٦) أحمر
أسود

وقال القرطبي $:

قولـه تعـالى: (قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ) أي: قل لهم يا محمد (أَرَءَيۡتُمۡ) يا معشر المشركين. (إِن كَانَ) هذا القرآن (مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ) أي: فأي الناس أضل، أي لا أحد أضل منكم لفرط شقاقكم وعداوتكم.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: (سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣ أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ٥٤).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، سنري الخلق علامات على وحدانيتنا وقدرتنا في اتجاهات السموات والأرض ونواحيها من الأحداث التي تحدث في السموات والأرض والتقلبات التي تحدث من شمس وقمر وخسوفٍ لهما وكسوف، وحرٍّ وبردٍ وليل ونهار ورياح وأمطار ورعد وبرق وصواعق وضباب، ونبات وأشجار وجبال وأنهار وبحار بما فيها من فيضانات، وغير ذلك مما يعتري السماء والأرض، وكذلك سنريهم الأدلة على وحدانيتنا في أنفسهم بما يعتريهم من مرض وصحة وضحك وبكاء، وقوةٍ وضعف، وبما يكتشفون في أنفسهم من الدلائل على وحدانية الله ۵ وقدرته وكذلك نريهم انتصارات نبينا وتحقق ما وعده الله به من الفتوحات وكذلك سنريهم من المعجزات ودلائل النبوة ما به يظهر صدق نبينا وصدق ما جاء به أما قوله: (حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ) فالحق هو القرآن، وهو أيضًا صدق رسول الله وتحقق أنه رسول من عند الله، وأيضًا هو الإسلام، أما قوله: (أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣)

(٤٨٧) أحمر
أسود

فيدخل في معناه أو لم يجتزئ هؤلاء ويكتفون بشهادة ربك على صدق ما جاء به رسوله وأنه الحق وكذلك يدخل في معناه التحذير أو لم يخش هؤلاء عقابًا ويكتفوا بما حاصله أن الله شاهد عليهم وسيجازيهم على سيء صنيعهم؟!

ويدخل في معناه: أو لم يكفهم ربك سبحانه وتعالى بما ساقه لهم من الآيات الدالة على وحدانيته وأنه شهيدٌ عليهم إذا كذَّبوا وسيجازيهم على ذلك!

* أما قوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ فحاصل معناه أن أهل الكفر ومع ما جاءهم من الآيات في شك دائم من البعث ومن لقاء الله يوم القيامة.

﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾ قد أحاط علمًا ربُّنا ٥ بكل شيء، وكذا من إحاطته بكل شيء قدرته على فعل ما يريد بهم والانتقام منهم، وفي الآية ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ [يونس: ٢٢] أي: أحاطت بهم أسباب الهلاك من كل جوانبهم.

وقوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٢] أي: هلك ثمره وأُبيد والله تعالى أعلم.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: سنري هؤلاء المكذّبين، ما أنزلنا على محمد عبدنا من الذكر، آياتنا في الآفاق.

واختلف أهل التأويل في معنى الآيات التي وعد الله هؤلاء القوم أن يريهم، فقال بعضهم: عني بالآيات في الآفاق وقائع النبيّ بنواحي بلد

المشركين من أهل مكة وأطرافها، وبقوله: (وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ) فتح مكة.

وأورد بإسنادٍ حسن:

عن المنهال، في قوله: (سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ) قال: ظهور محمد على الناس.

وقال آخرون: عنى بذلك أنه يريهم نجوم الليل وقمره، وشمس النهار، وذلك ما وعدهم أنه يريهم في الآفاق. وقالوا: عنى بالآفاق: آفاق السماء، وبقوله: (وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ) سبيل الغائط والبول.

وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الأول، وهو ما قاله السديّ، وذلك أن الله ۵ وعد نبيّه أن يري هؤلاء المشركين الذين كانوا به مكذّبين آيات في الآفاق، وغير معقول أن يكون تهدّدهم بأن يريهم ما هم رأوه، بل الواجب أن يكون ذلك وعدا منه لهم أن يريهم ما لم يكونوا راؤه من قبل ظهور نبيّ الله على أطراف بلدهم وعلى بلدهم، فأما النجوم والشمس والقمر، فقد كانوا يرونها كثيرا قبل وبعد ولا وجه لتهددهم بأنه يريهم ذلك.

وقوله: (حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ) يقول جلّ ثناؤه: أري هؤلاء المشركون وقائعنا بأطرافهم وبهم حتى يعلموا حقيقة ما أنزلنا إلى محمد، وأوحينا إليه من الوعد له بأنا مظهرو ما بعثناه به من الدين على الأديان كلها، ولو كره المشركون.

وقوله: (أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣) يقول تعالى ذكره: أولم يكف بربك يا محمد أنه شاهد على كل شيء مما يفعله خلقه، لا يعزب عنه علم شيء منه، وهو مجازيهم على أعمالهم، المحسن

بالإحسان، والمسيء جزاءه.

وفي قوله: (أَنَّهُۥ) وجهان:

أحدهما: أن يكون في موضع خفض على وجه تكرير الباء، فيكون معنى الكلام حينئذ: أولم يكف بربك بأنه على كلّ شيء شهيد؟ والآخر: أن يكون في موضع رفعا رفع، بقوله: يكف، فيكون معنى الكلام: أولم يكف بربك شهادته على كل شيء.

وقال في تأويل قوله تعالى : (أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ٥٤).

يقول تعالى ذكره: ألا إن هؤلاء المكذّبين بآيات الله في شكّ من لقاء ربهم، يعني أنهم في شك من البعث بعد الممات، ومعادهم إلى ربهم.

وقوله: (أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ٥٤) يقول تعالى ذكره: ألا إن الله بكل شيء مما خلق محيط علما بجميعه، وقدرة عليه، لا يعزب عنه علم شيء منه أراده فيفوته، ولكن المقتدر عليه العالم بمكانه.

وقال الحافظ ابن كثير $:

ثم قال: (سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ) أي: سنظهر لهم دلالاتنا وحُجَجنا على كون القرآن حقا منزلا من عند الله، ٥، على رسوله □ بدلائل خارجية (فِي ٱلۡأٓفَاقِ)، من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان.

قال مجاهد، والحسن، والسدي: ودلائل في أنفسهم، قالوا: وقعة بَدْر ، وفتح مكة، ونحو ذلك من الوقائع التي حَلّت بهم، نصر الله فيها محمدا وصحبه، وخذل فيها الباطل وحِزْبَه.

(٤٩٠) أحمر
أسود

ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأخلاط والهيئات العجيبة، كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى. وكذلك ما هو مجبول عليه من الأخلاق المتباينة، من حسن وقبيح وبين ذلك، وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله، وقوته، وحِيَله، وحذره أن يجوزها، ولا يتعداها، كما أنشده ابن أبي الدنيا في كتابه «التفكر والاعتبار»، عن شيخه أبي جعفر القرشي حيث قال - وأحسن المقالة -:

وَإذا نَظَرْتَ تُريدُ مُعْتَبَرا ... فَانظَرْ إليْكَ فَفِيكَ مُعْتَبَرُ
أنتَ الذي يُمْسِي وَيُصْبحُ في ... الدنيا وكُلّ أمُوره عبَرُ
أنتَ المصرّفُ كانَ في صِغَرٍ ... ثُمّ استقَلّ بِشَخْصِكَ الكِبَرُ
أنتَ الذي تَنْعَاه خلْقَتُه ... يَنْعاه منه الشَّعْرُ والبَشَرُ
أنتَ الذي تُعْطَى وَتُسْلَب لا ... يُنْجيه مِن أنْ يُسْلَبَ الحَذَرُ
أنْتَ الذي لا شَيءَ منه لَهُ ... وَأحَقُّ منْه بِمَالِه القَدَرُ

وقال ابن كثير أيضًا:

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾؟ أي: كفى بالله شهيدا على أفعال عباده وأقوالهم، وهو يشهد أن محمدًا صادق فيما أخبر به عنه، كما قال: ﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء: ١٦٦].

وقوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ۗ﴾ أي: في شك من قيام الساعة؛ ولهذا لا يتفكرون فيه، ولا يعملون له، ولا يحذرون منه، بل هو عندهم

هَدَرٌ لا يعبئون به وهو واقع لا ريب فيه وكائن لا محالة.

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا خلف بن تميم، حدثنا عبد الله بن محمد بن سعيد الأنصاري: أن عمر بن عبد العزيز صَعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، أيها الناس، فإني لم أجمعكم لأمر أحدثته فيكم، ولكن فكرت في هذا الأمر الذي أنتم إليه صائرون، فعلمت أن المصدق بهذا الأمر أحمق، والمكذب به هالك ثم نزل.

ومعنى قوله، ﬁ: «أن المصدق به أحمق» أي: لأنه لا يعمل له عمل مثله، ولا يحذر منه ولا يخاف من هوله، وهو مع ذلك مصدق به موقن بوقوعه، وهو مع ذلك يتمادى في لعبه وغفلته وشهواته وذنوبه، فهو أحمق بهذا الاعتبار، والأحمق في اللغة: ضعيف العقل.

وقوله: «والمكذب به هالك» هذا واضح، والله أعلم.

ثم قال تعالى -مقررا على أنه على كل شيء قدير، وبكل شيء محيط، وإقامة الساعة لديه يسير سهل عليه تبارك وتعالى-: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ٥٤﴾ أي: المخلوقات كلها تحت قهره وفي قبضته، وتحت طي علمه، وهو المتصرف فيها كلها بحكمه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

قال السعدي $:

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ﴾ أي: في شك من البعث والقيامة، وليس عندهم دار، سوى الدار الدنيا، فلذلك لم يعملوا للآخرة، ولم يتلفتوا لها.

﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ٥٤﴾ علمًا وقدرة وعزة.

(٤٩٢) أحمر
أسود

(٤٩٣) أحمر
أسود